www.christianlib.com

رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس

مقدمة

تُعتبر الرسالتان الأُولى والثانية إلى الكنيسة في كورنثوس بقلم الرسول بولس من أهم الرسائل التي كتبها. وسبب أهميتهما أن الأُولى رسالة كنسيَّة بامتياز، والثانية رسالة شخصية بامتياز. ففي الرسالة الأولى، يتبحَّر بولس في مسائل الممارسات المتعلقة بحياة المؤمنين في الكنيسة، وكيفية تنظيم مراسم العبادة فيها؛ وفي الرسالة الثانية، يكشف فيها بقلمه معدن شخصيته، وسِعة أُفقه، وعمق تكريسه، ومدى معاناته.

ومن الضروري لفهم رسالتَي بولس إلى كورنثوس الاطلاع على حال الكنيسة هناك وحال المدينة التي نبتت فيها. ولنبدأ بحال المدينة.

مدينة كورنثوس

في القرن الأَول المسيحي كانت بلاد اليونان تنقسم إلى إقليمين: مقدونية في الشمال، وأَخائية في الجنوب. وكانت مدينة كورنثوس أَكبر مدن إقليم أَخائية وتقع على الطرف الغربي الجنوبي للبرزخ (أَرض ضيقة في البحر تصل بين برَّين) الذي يمتد إلى شبه جزيرة بيلوبونيسوس التي تقع جنوب اليونان. وتقع كورنثوس إلى الغرب من مدينة أَثينا، وتبعد عنها نحو ستين كيلومترًا.

وبعد تاريخ عريق ابتدأ قبل نحو أَلفي سنة قبل المسيح، ازدهرت فيه كورنثوس حتى بلغت الذروة في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم ابتدأَت تتراجع بعد أَن برزت مدينة أَثينا في ذلك العصر وفازت عليها. وانتهى أَمر كورنثوس إلى تدميرها بالكامل، وتشتت سكانها، عام ١٤٦ ق. م. إثر تمردها على روما.

وعادت مدينة كورنثوس إلى الحياة والازدهار عندما أَمر يوليوس قيصر بإعادة بنائها عام ٤٦ ق. م. وجعلها مستعمرة رومانية وأَسكن فيها العديد من المواطنين الرومانيين مع عائلاتهم. وعند ذاك رجع اليونانيون للعيش في كورنثوس وكانوا الأَكثرية فيها. كما جاء عدد من العائلات اليهودية وأَقاموا فيها، منهم أَكيلا وبريسكلَّا، وبنوا لهم مجمعًا فيها (أَع ١٨: ١-٤). وزادت الهياكل الوثنية في كورنثوس على العشرة، وكانت تقام فيها المآدب في المناسبات الدينية (١كو ٨: ١٠) ويلف العابدون بالزياحات حول الهياكل وأَصنامها (١كو ١٢: ٢). وكان في المدينة سوق كبيرة ودكاكين لبيع اللحوم (١كو ١٠: ٢٥)، ومحكمة (١كو ٦: ١)، وملاعب رياضية (١كو ٩: ٢٤-٢٧)، وقصر الحاكم وعرشه «كرسي الولاية» (أَع ١٨: ١٢). وكانت عاصمة إقليم أَخائية في القرن الأَول للميلاد.

وبسبب موقع كورنثوس على البرزخ الواقع بين بحرين، أَصبحت ممرًا لا يهدأُ فيه العمل لنقل شحنات السفن من إيطاليا إلى مدن اليونان وأَسيًا (تركيا)، مثل أَفسس وسميرنا وتسالونيكي وأَثينا، الواقعة على شواطئ بحر إيجه، ومنها إلى إيطاليا. وازدهرت كورنثوس، جراء ذلك، وغدت مدينة تذخر بالبضائع المكدَّسة الآتية إليها من كل صوب، ونمت فيها التجارة والصناعة والحرف اليدوية. ثم ارتفع عدد سكان كورنثوس، وتنوعت أُصولهم، بسبب ما يمر خلالها من التجار والمسافرين والجنود والبحارة. ولم تكن كورنثوس مدينة ثقافة وفلسفة، كما اشتُهرت أَثينا، فلم يظهر فيها اسم لفيلسوف، أَو أَديب، أَو شاعر.

وكما في كل مدينة يكثر فيها الغرباء، ازداد الفساد في كورنثوس وكثرت الدعارة والسرقة والمقامرة والخطف، وانحطت الأَخلاق. وعدا ما كان يرافق العبادة الوثنية من فجور ودعارة استدرارًا لعطف الآلهة، ومنها أَفروديت وكانت كاهناتها عاهرات وعددهن بالمئات. وكان بولس يُسمي الطمع (بأَعمال الزنا والفجور) عبادة أَوثان (١كو ٥: ١١؛ أَف ٥: ٥؛ كو ٣: ٥)، حتى أَمسى اسم كورنثوس مرادفًا لأَعمال الدعارة واقتراف الفحشاء، وعندما يُقال في العالم الروماني «امرأَة كورنثيَّة» كانوا يَعنون بها العاهرة. ويُسمع صدى انتشار الزنا ومرادفاته في كورنثوس في رسالة بولس الأُولى ٥: ١، ٩-١١؛ و٦: ٩-١١.

الكنيسة في كورنثوس

كان بولس يتَّبع خطة عامة أَساسية في عمله الكرازي وهي التركيز على تأْسيس الكنائس على المدن الكبرى الرئيسة في الأَقاليم الرومانية. فنلاحظ مثلاً، تركيزه على برجة (أَع ١٣: ١٣)، وفيلبي (أَع ١٦: ١٢)، وتسالونيكي (أَع ١٧: ١)، وأَثينا (أَع ١٧: ١٥)، وكورنثوس (أَع ١٨: ١)، أَفسس (أَع ١٨: ١٩)، وروما (أَع ٢٨:

www.christianlib.com

١٦)، أمَّا المدن الصغيرة فكان يرسل مندوبين عنه لرعايتها وتدبير أحوالها، مثل كولوسي (كو ١: ٧)، ولاودكيَّة (كو ٢: ١؛ ٤: ١٥–١٦)، ودلماطية (٢تي ٤: ١٠).

وفي هذا المسار، كانت كورنثوس، زمن بولس، مدينة كبيرة ومزدهرة، لذلك عزم على الذهاب إليها والمناداة بالإنجيل فيها. وبشأن كورنثوس يقول الرب: «لأن شعبًا كثيرًا في هذه المدينة» (أع ١٨: ١٠). فقد كان بولس هو أول من عمل في كورنثوس على تأسيس الكنيسة (١كو ٤: ١٥؛ ٩: ١–٢). وإن الإثبات الأقوى على فعاليَّة الإنجيل في تغيير الإنسان والمجتمع هو ما جرى في مدينة كورنثوس، هذه المدينة الغارقة في الدعارة والسرقة والسُّكر، ومن هؤلاء الذين يُمارسون هذه الذنوب قوم قبلوا البشارة واعتمدوا، فبُرِّروا وأصبحوا قديسين باسم الرب يسوع وبعمل الروح القدس (١كو ٦: ١٠–١١).

علاقة بولس بالكنيسة في كورنثوس

أسس بولس بجهده وكفاحه الكنيسة في كورنثوس، وكما العادة يلتفُّ الناس حول المؤسس ويُجلُّوه. غير أن «شهر العسل» لم يدم طويلاً بين بولس وأهل كنيسة كورنثوس، وذلك بسبب تدخل عوامل عديدة ساهمت في إحداث شرخ في العلاقة بين الفريقين. ومن هذه العوامل تواتر أنباء بلغت مسامع الكنيسة تشكِّك بصحة رسولية بولس، الأمر الذي اضطرَّه للدفاع عن رسوليته التي بلاها لا سلطان له مع أنه لا يطالب بحقوقه الرسولية (١كو ٩). ثم بسبب نشاطه الكرازي، كان بولس يجول من مدينة إلى أُخرى، ولا يمكث طويلاً في المكان نفسه إلا حسب الحاجة، كما فعل في كورنثوس ذاتها (أع ١٨: ١١). وبسبب تنقلاته، كان يأتي خدَّامٌ للكلمة ويمكثون مدة من الزمن يعظون ويُعلمون، مثل أبلوس (أع ١٨: ٢٤، ٢٧)، فتتعلق القلوب بهم وتنشأ تحزبات (١كو ١: ١٢؛ ٣: ٤، ٢٢؛ ١٦: ١٢). ويبرز قوم يقارنون بين فصاحة أبلوس وبلاغته في الكلام وبين بساطة بولس، فيتَّهمون هذا الأخير بأن حضوره ضعيف وكلامه حقير (٢كو ١٠: ١٠)، فيضطر بولس للدفاع عن نفسه فيقول إن كلامه ليس بسمو الكلام ولا بأساليب الحكمة البشرية المقنعة، بل ببرهان الروح والقوة (١كو ٢: ١، ٤؛ ٢كو ١٠: ٧، ١١؛ ١١: ٦). وهو ما يناقض ما ينادي به مناصرو الختان الذين يأتون من أورشليم، ويجولون على الكنائس التي أسسها بولس بين غير اليهود من الأمم، ويطلبون منهم التمسك بأحكام شريعة موسى لأنه بنظرهم لا يكفي الإيمان بيسوع المسيح للخلاص (٢كو ١١: ٣، ١٣؛ في ٣: ٢، ١٨–٢٠).

وبسبب هذه العوامل توترت العلاقة بين بولس والكنيسة في كورنثوس، وصب الخصوم الزيت على النار، فتأزمت الأمور وضعُفت الثقة، فكان بولس يعمل جاهدًا على رأب الصدع وتسوية الأوضاع، مرةً بالقسوة، ومرةً باللِّين (١كو ٤: ٢١). وكم تودَّد إليهم في الرسالتين بمخاطبتهم مرات ومرات بعبارة: أيها الإخوة (١كو ١: ١٠؛ ٢كو ١: ٨)، ويا إخوتي الأحباء (١كو ١٥: ٥٨؛ ٢كو ٧: ١). وقال لهم إنه بمثابة أب لهم لا مجرد مرشد (١كو ٤: ١٥؛ ٢كو ١٢: ١٤)، وإنه يُنفق نفسه حتى الرمق الأخير في سبيلهم لأنه يحبهم كثيرًا (٢كو ١٢: ١٥).

رسائل بولس إلى كورنثوس وترتيبها الزمني

هذه العلاقة الشائكة بين الرسول والكنيسة استدعت، بالإضافة إلى الزيارات، القيام بالكتابة إليهم لمعالجة الأمور العالقة وترطيب الأجواء، الأمر الذي نتج عنه كتابة عدد من الرسائل، لا رسالتان فقط، كما نرى في التحليل الأدبي التالي اعتمادًا على الأدلَّة الداخلية والمعطيات التي يبوح بها نص الرسالتين.

الرسالة الأولى

يذكر بولس في ١كو ٥: ٩ أنه كتب رسالة إلى كنيسة كورنثوس يحضُّهم فيها ألا يُخالطوا الزناة، وهذا يؤكد أن هناك رسالة سبقت الرسالة التي نسميها الأولى. ما هو مصير هذه الرسالة؟ لا أحد يعرف! ولكن لأن الفقرة في ٢كو ٦: ١٤–٧: ١ تتحدث عن «عدم مخالطة الزناة» (أية خلطة للبر والإثم)، وهي تظهر غريبة عن سياقها، وإذا نُزعت من النص لا يتأثر تتابع فكر الكاتب، بل يبقى ما ورد قبلها منسجمًا مع ما ورد بعدها، ساد الاعتقاد بأنها الرسالة المفقودة، أو أن هذه الفقرة هي الجزء الأهم منها.

الرسالة الثانية

الرسالة الثانية هي الرسالة التي نسميها الأولى، وقد كتبها بولس بعد أن تواترت إليه أخبار الشقاق في كنيسة كورنثوس (١كو ١: ١٠–١٣). وحيث إن بولس يعالج في هذه الرسالة موضوع الشقاق بإسهاب من الفصل الأول حتى نهاية الرابع، وبعد ذلك تحوَّلت الرسالة إلى معالجة قضايا محددة، مثل: التأديب والفصل من الكنيسة (ف. ٥)، والمحاكمات بين المؤمنين (ف. ٦)، وقضايا العزوبة والزواج والطلاق والترمُّل (ف. ٧)، وأكل ما ذبح للأوثان (ف. ٨)، والعبادة وعشاء الرب (ف. ١١)، والمواهب وممارستها (ف. ١٢–١٤)، والقيامة (ف. ١٥)، اعتبر عديد من العلماء أن هذه الرسالة كانت رسالتين: واحدة تتألف من الفصول ١–٤، وأخرى من الفصول ٥–١٦، ثم جرى بعد ذلك دمجهما في رسالة واحدة.

وحيث إن القسم الثاني من كورنثوس الأولى، الفصول ٥–١٦، يوجد فيه فقرات تتشابه في مواضيعها ومبعثرة مثل الفقرات ٦: ١٢–٢٠؛ ٨: ١–١٣؛ ١٠: ١–٣٣؛ وكلها حول الأوثان، كما أن

www.christianlib.com

الفصل التاسع الذي يُدافع فيه بولس عن رسوليته يقطع السياق بين الفصل الثامن والفصل العاشر، جعَلتنا هذه الوقائع نُرجِّح أن تكون أوراق الرسالة اختلطت قبل عملية نسخها، ثم جرى تحريرها، فبدت كما هي بين أيدينا اليوم.

الرسالة الثالثة

يذكر بولس أنه كتب رسالة سببت الحزن للكنيسة في كورنثوس لأنها كانت قاسية اللهجة، وقد ندم على أنه كتبها (٢كو ٧: ٨). ويُستبعَد أن تكون كورنثوس الأولى بشقَّيْها هذه الرسالة القاسية. ولكن يُرجَّح أن تكون الفصول ١٠-١٣ من الرسالة التي نسميها الثانية هي الرسالة القاسية. وذلك لأن مادة هذه الفصول تُظهر لوم بولس وعتبه عليهم، لأنهم يستهينون بحضوره (٢كو ١٠: ٧)، ويحتقرون أسلوبه في الكلام (٢كو ١٠: ١٠؛ ١١: ٦)، ولا يحسبونه بين الرسل (٢كو ١١: ٥؛ ١٢: ١١-١٢). ثم يتهكم عليهم «فإنكم بسرور تحتملون الأغبياء إذ أنتم عقلاء» (٢كو ١١: ١٩)، «أم أخطأت خطية إذ أذللت نفسي» (٢كو ١١: ٧)، و«سامحوني بهذا الظلم» (٢كو ١٢: ١٣)، «على سبيل الهوان أقول كيف أننا كنا ضعفاء» (٢كو ١١: ٢١). ويُوبخهم على «النجاسة والزنا والعهارة التي فعلوها» (٢كو ١٢: ١٩-٢١)، ويُهددهم بأنه سيُعاقبهم (٢كو ١٠: ٤-٦، ١١)، وبأنه «إذا جئت أيضًا لا أشفق» (٢كو ١٣: ٢)، حتى إنه يُشكِّك في إيمانهم (٢كو ١٣: ٥). وكل هذا يُرجح أن تكون الفصول ١٠-١٣ من الرسالة المسمَّاة الثانية هي هذه الرسالة القاسية.

الرسالة الرابعة

الرسالة الرابعة هي الفصول ١-٩ من الرسالة التي نسميها الثانية. وتقع في ترتيبها الزمني بعد الرسالة التي أسميناها الثالثة (٢كو ١٠-١٣)، وهي الرسالة القاسية التي يذكرها في هذا القسم (٢كو ٧: ٨)، فمن الطبيعي أن تأتي الفصول ١-٩ بعد الفصول ١٠-١٣. في هذه الرسالة يحاول بولس أن يتودد إلى أهل كورنثوس بعد أن أحزنهم وكان قاسيًا عليهم في الرسالة الثالثة (٢كو ١: ٦-٧، ١٤-١٥؛ ٥: ١١؛ ٦: ١١-١٣؛ ٧: ٢-٤، ٧، ١٦).

وهناك حجة أخرى تُقدَّم للتأكيد على أن الفصول ١٠-١٣ كانت رسالة سبقت الفصول ١-٩، وهي أن بولس في ٢كو ١٢: ١٨ يتكلم عن إرساله تيطس إليهم، وفي ٢كو ٧: ١٣-١٥ يتكلم عن عودة تيطس من كورنثوس وكيف استقبلوه هناك بوقار وتهيُّب، وكيف أن روحه استراحت عندهم.

أقول في ختام هذا البحث في عدد الرسائل، إن هناك جدلاً فيه أخْذ ورَدٌّ حول الشكل الأدبي للرسالتين، غير أني ذكرت هنا ما رأيته ثابتًا على وجه العموم.

الكاتب

يبرز اسم بولس في مطلع الرسالتين على أنه مؤلفهما (١كو ١: ١؛ ٢كو ١: ١)، وقد وقَّع الثانية بيده (١كو ١٦: ٢١). وتُجمع المُعطيات التاريخية بين وقائع أعمال الرسل والأدلة الداخلية الواردة في الرسالتين على أن رسالتَي كورنثوس هما بقلم بولس. فإن أسلوب بولس الإنشائي في الرسالتين، حسب تحليل العلماء، يشبه تمامًا أسلوبه في الرسائل التي لا يُشك في أنه كتبها كرسائل رومية وغلاطية وفيلبي وتسالونيكي الأولى وفليمون. وشهادة التاريخ الباكر تؤكد أنها له بسبب اقتباس إكليمندُس من الرسالة الأولى في نهاية القرن الأول المسيحي مُشيرًا إلى أن مؤلفها بولس.

مكان الكتابة

تُظهر الوقائع المُستنتجة من أعمال الرسل (ف. ١٨-٢٠)، ومن رسالتَي كورنثوس أن بولس كان في مدينة أفسس لمـّا كتبهما (١كو ١٦: ٨، ١٩)، ولربما الرسالة القاسية ٢كو ١٠-١٣، كتبها من مكدونية قبل وصوله إلى أفسس (٢كو ١: ١٦). وبفحص الوقائع التاريخية يتبين أن الرسالة الأولى كُتبت نحو ٥٤-٥٥ م. والرسالة الثانية (بقسمَيها) بين ٥٥-٥٦ م.

البنية الأدبية

رسالة كورنثوس الأولى

١: ١-٩ مطلع الرسالة مع شكر ودعاء
١: ١٠-١٦ معالجة الشقاق في الكنيسة
١: ١٧-٣١ الكرازة بالصليب والافتخار بالرب
٢: ١-١٦ البشارة عند بولس لا بحكمة الناس بل بحكمة الله
٣: ١-٢٣ معالجة الشقاق بعدم التحزُّب للقادة
٤: ١-٢١ ضرورة المُساءلة الذاتية وعدم الانتفاخ كبرًا
٥: ١-١٣ فصل مرتكبي الشرور من الكنيسة
٦: ١-١١ الكنيسة تقضي في الشكاوى الصغرى
٦: ١٢-٢٠ الهرب من الزنا
٧: ١-٤٠ إرشادات بشأن الزواج والخطوبة والعزوبة
٨: ١-١٣ مسألة الأكل من الذبائح المقدمة للأوثان
٩: ١-٢٧ التنازل عن الحقوق في سبيل خير البشارة
١٠: ١-١١: ١ رفض عبادة الأوثان والاشتراك في موائد أتباعها
١١: ٢-١٦ غطاء الرأس بالنسبة للرجل والمرأة خلال ممارسة المواهب
١١: ١٧-٣٤ ترتيب ممارسة العشاء الرباني

www.christianlib.com

١٢: ١-٣١ المواهب الروحية: مصدرها وتنوعها
١٣: ١-١٣ المحبة الطريق المثلى
١٤: ١-٤٠ المواهب الروحية: ممارسة التكلم بالألسنة والتنبؤ
١٥: ١-٥٨ قيامة الأموات
١٦: ١-٢٤ إرشادات وتوصيات وبركة الختام

رسالة كورنثوس الثانية

١: ١-١١ مقدمة الرسالة
١: ١٢-٢: ١٣ بولس يُعالج المشكلة بينه وكنيسة كورنثوس
٢: ١٤-٣: ٦ بولس يدافع عن رسوليته
٣: ٧-٤: ٦ مقارنة بين خدمة الناموس وخدمة العهد الجديد
٤: ٧-٥: ١٠ الشهادة للمسيح مكافأتها القيامة
٥: ١١-٦: ١٣ معاناة خدَّام المسيح وشرف رسالتهم
٦: ١٤-٧: ١ دعوة للمؤمنين ليكونوا قديسين وهيكلاً لله الحي
٧: ٢-١٦ بولس يناشد أهل كورنثوس الانفتاح عليه
٨: ١-٩: ١٥ جمع الهبات لفقراء القديسين
١٠: ١-١٣: ١٠ التحدِّيات مستجدة في العلاقة بين بولس وكورنثوس
١٣: ١١-١٤ مناشدة ختامية مع تحية وبركة

التفسير

١: ١-٩ مطلع الرسالة مع شكر ودعاء

١: ١-٣ مطلع الرسالة يبدأ بولس رسالته (ع. ١) بالتأكيد على رسوليته، وهذا ما فعله في رو ١: ١، وغل ١: ١، وأف ١: ١، وكو ١: ١، وفي مطالع الرسائل الراعوية: تيموثاوس الأولى والثانية وتيطس، ويدل ذلك على أنه كان يشدد على مقامه الرسولي في الرسائل المتأخرة تاريخيًّا بعدما ثار جدل حول صحة رسوليته. فإن الرسولية عند بولس ليست مجرد لقب، إنما دعوة، فلقد دعاه المسيح يسوع ليكون رسولاً وذلك بمشيئة الله. ويُشرك بولس معه في مطلع الرسالة لطفًا منه سوستانيس الأخ الذي كان يرافقه، وقد يكون هو رئيس المجمع اليهودي سابقًا (أع ١٨: ١٧)، ولا يعني ذلك أنه شريك في تأليف الرسالة.

ويوجِّه بولس رسالته إلى جماعة المؤمنين في مدينة كورنثوس (ع. ٢)، ويسميهم «كنيسة الله»، ومن محتوى الرسالة نستنتج أنه يوحي لهم بأنهم ليسوا تابعين لأحد، لا له ولا لغيره؛ بل هم يخصُّون الله، وقد قدَّسهم (فرزهم) بالمسيح يسوع، ودعاهم ليكونوا قديسين، والفرز عن العالم الموبوء بالشر قداسة. ولا يقصر بولس الرسالة على الشعب المؤمن في كورنثوس فقط، بل هي لكل الذين يعترفون باسم الرب يسوع حيثما وصل الإنجيل ونال القبول. وعبارة «لهم ولنا» معطوفة على الرب تفيد أن يسوع المسيح هو رب هؤلاء كما هو رب كنيسة كورنثوس، وإذا عُطفت على المكان، كما فهمها يوحنا فم الذهب، وجيروم في ترجمة الفولغاتا، وتوما الأكويني، يكون معناها: عندهم وعندنا. ويُنهي بولس عبارته الافتتاحية (ع. ٣) بتوجيه دعاء يستمطر فيه النعمة والسلام على أهل كنيسة كورنثوس من لدن الله الآب والرب يسوع المسيح؛ وبذكر مصدرين للنعمة والسلام، يريد بولس أن يؤكد على الوحدة بينهما، فالآب والابن وإن تمايزا يعملان عملاً واحدًا.

١: ٤-٩ شكر ودعاء أنعم الله بالمواهب والبركات الروحية على كنيسة كورنثوس بوفرة، سواء كان ذلك بأساليب الكلام أو بأنواع المعرفة «بكل كلمة وكل علم» (ع. ٥)، فارتفع الحمد على فم بولس إلى الله (ع. ٤) لغنى عطائه حتى الامتلاء (ع. ٧). ويشيد الرسول بثبات الكنيسة على أساس الإنجيل (شهادة يسوع)، أو حافظت الكنيسة على التبشير بالإنجيل (الشهادة ليسوع) (ع. ٦)، والانتظار بشوق رجوع المسيح بمجد (ع. ٧). وفي (ع. ٨)، الذي يثبِّت هو الله، أو المسيح، و«إلى النهاية» تشير إلى يوم المسيح (را. ٥: ٥؛ ١تس ٣: ١٣) واستعلانه. وسيأتي يسوع لمحاسبة شعبه (في ١: ١٠)، فعليهم أن يكونوا بلا لوم، أي لا أحد يقدم شكوى عليهم (ع. ٨). فلقد دعانا الله إلى شركة ابنه وهو أمين ليحفظنا مخلصين له إلى أن نلتقي (ع. ٩).

١: ١٠-١٦ معالجة الشقاق في الكنيسة

يذكر بولس في الأعداد التسعة الأولى من رسالته هذه عبارة «الرب يسوع المسيح» تسع مرات، وهذه الكثافة تمهد لما يريد أن يدلي به الآن من حثٍّ على عدم التحزب للقادة في الكنيسة (ع. ١٢)، بل على الإخلاص للربّ يسوع المسيح، محور الإيمان. ويأتي هذا الحث بناء على ما سمعه عن أحوال الكنيسة في كورنثوس من أناس يعملون لدى سيدة (مؤمنة؟) غنية وذات مقام في المدينة تُدعى خُلوي (ع. ١١). هؤلاء أخبروا الرسول بولس عن الشقاق والخصام في الكنيسة، وعن نشوء أحزاب أربعة كل يناصر قائدًا مثل: بولس، وأبلوس، وبطرس (كيفا أو صفا)، ومنهم بقي على ولائه الأول للمسيح (ع. ١٢). فكان جواب بولس لعلاج هذه المسألة يتألف من نصيحتين:

الأولى: أن يكونوا على قول واحد وفكر واحد، وينبذوا الشقاق (ع. ١٠). فالمسيح يعني المحبة (ف. ١٣)، والوحدة، والتعاون. ولم ينقسم المسيح ليتوزعوا شيَعًا وفئات تتخاصم وتتبعثر (ع. ١٣). فلم يُصلب أيٌّ من قادتهم من أجلهم، ولا اعتمدوا باسم أي منهم (ع. ١٣)! فلماذا يتبعوه؟ فلا ينبغي لأحد أن يحلَّ محلَّ المسيح في ولاء

www.christianlib.com

الكنيسة. فالشقاق في أية كنيسة سببه تحزب القادة فيها، وعلاجه في الموت عن الذات، ووضع الرب يسوع نصب العينين لا غيره (غل ٣: ١؛ عب ١٢: ٢).

الثانية: أن يفتخروا بالرب لا ببشر زائل (ع. ٢٩، ٣١)، وفي هذا صدى لما ورد في سفر إر ٩: ٢٣- ٢٤.

ولكي يُبرِّئ نفسه من تهمة اتخاذ أتباع لنفسه، لا ليسوع المسيح (ع. ١٥)، يشدِّد بولس على أنه عمَّد فقط اثنين من المؤمنين في كورنثوس (ع. ١٤)، ثم يتذكر أُسرة استفانوس، أو خدمته (ع. ١٦؛ ١٦: ١٧). وفي ثنايا كلامه في هذه الفقرة دليل على أن الكتابة الرسولية في اختباره لم تكن وحيًا إملائيًا، بل تفاعل دينامي حر بين فكره والروح القدس، بحيث يسجل خبرته التاريخية، بما فيها من تذكُّر ونسيان، والروح القدس «يذكِّر» (يو ١٤: ٢٦).

١: ١٧- ٣١ الكرازة بالصليب والافتخار بالرب

١: ١٧- ٢٥ الكرازة بالصليب في عالم يستهجنه كان بولس يدرك في العمق مركزية الصليب في البشارة المسيحية، فلولا الصليب لا خلاص للبشر. ومن أجل ذلك يرغب في أن يبلِّغ البشارة خالية من أساليب الحكمة البشرية وبلاغة الكلام خشية أن تفقد رسالة الصليب قوتها ويتعطل مفعولها (ع. ١٧). وكانت رسالة الصليب مستغربة ومستهجنة (ولا تزال)، فاليهود ما كانوا يتخيَّلون المسيح مخلصهم المنتظر يموت على آلة إعدام هي صليب من خشب على يد الرومان. فمن ناحية من يموت معلقًا على خشبة هو تحت لعنة الله (را. تث ٢١: ٢٣)، ومن ناحية أُخرى كان المتوقع من المسيح أن يُبيد المحتل الغاصب لا أن يموت هو على يده. ومن أجل ذلك يستعمل بولس عبارة «حجر العثرة» لوصف ردة فعل اليهود لمفهوم الصليب (ع. ٢٣). وكذلك في نظر الوثنيين (وقد كان اليهود يُطلقون لفظة اليونانيين على كل سكان الإمبراطورية الرومانية لأنهم ينطقون باليونانية، ولأن هؤلاء يعبدون الأوثان، صار اسمهم يرادف الوثنيين)، وبخاصة سكان بلاد اليونان الأصليين منبع الفلسفة، وأصل المنطق، وأساليب البلاغة في الكلام. فلم يجد هؤلاء في رسالة الصليب (موت فرد مهما كان اعتباره فداء عن العالم) منطقًا مقنعًا، فاعتبروها «جهالة»، أو «حماقة» (ع. ١٨). ولهذا السبب يشير بولس إلى الفريقين اليهود واليونانيين بقوله: «لأن اليهود يطلبون المعجزات، واليونانيين الحكمة، غير أننا ننادي بمسيح مصلوب لليهود عثرة ولليونانيين جهالة (ع. ٢٢- ٢٣). فالمسيح المصلوب هو حكمة الله وقوة الله، وإنْ لم يفهمه العالم وظنه «جهالة» (ع. ٢٤). فلقد رسم الله بحكمة لديه أن لا يعرفه العالم من طريق الحكمة والفلسفة، بل من طريق «جهالة البشارة» (ع. ٢١)، من أجل ذلك «جهَّل الله حكمة هذا العالم» (ع. ٢٠)، ورفض حكمة الحكماء والفهماء (ع. ١٩؛ إش ٢٩: ١٤).

فإن رسالة المسيح المصلوب بالنسبة إلى الذين دعاهم الله إليه، هي قوة الله وحكمة الله؛ فما يبدو ضعفًا لدى الله هو أقوى من قوة البشر؛ وما يبدو جهالة، هو أحكم من حكمة البشر (ع. ٢٤- ٢٥).

١: ٢٦- ٣١ الافتخار الصائب هو الافتخار بالرب في هذه الفقرة، يدعم بولس وجهة نظره التي استفاض بشرحها أعلاه حول حكمة الله وحكمة البشر بإيضاح استلهمه من واقع الذين يُقبلون إلى الإيمان. فلو تأمل هؤلاء في أنفسهم (ع. ٢٦) لما رأوا بينهم كثيرًا من ذوي السلطة والفلاسفة ومن طبقة النبلاء والأعيان، لأن معظمهم من الناس العاديين والفقراء والعبيد (٧: ٢١). وهذا دليل على أن الله اختار أدنياء العالم، والمزدرى بهم، ومن لا وجودَ لهم، ليُعدِم من لهم وجود (ع. ٢٨)، والغاية: لكيلا يفتخرَ أيُّ بشر أمامه (ع. ٢٩). فإن المناداة برسالة الصليب المعتبرة جهالة عند البشر تُلغي الكبرياء والتفاخر، وتجعل الإنسان يتواضع أمام الله، ويقبل الخلاص بالنعمة من قبل الله وبالإيمان من جهته، لا بالحكمة والسَّفسَطة وبلاغة الكلام (٢: ١).

ويُنهي بولس كلامه هنا بالتأكيد على أن الحكمة الحقيقية والأسمى هي في المسيح يسوع؛ وليس الحكمة فقط، بل ومعها البر والقداسة والفداء (ع. ٣٠). وحين يقول «إن المسيح صار لنا من الله» (ع. ٣٠)، فهو يريد بهذا أن المسيح هو حكمتنا، وبرنا، وقداستنا، وفداؤنا. فالنضجان الروحي والفكري بنظر بولس مؤسس على هذه الأركان الأربعة، لا على الحكمة وحدها، كما بنظر الثقافة السائدة بذلك العهد. فإذا كانت الحكمة لا تنتج في الإنسان القداسة والبر، فهي باطلة، أمَّا المسيح، فينتج الإنسان المتكامل. وبسبب أن الكل من الله: الوجود في المسيح (ع. ٣٠أ)، ثم الهبات الأربع التي وُهبت لنا من الله بيسوع: الحكمة، والبر، والقداسة، والفداء (ع. ٣٠ب)، لا يبقى مجال للافتخار لدى الإنسان، لذلك، يختم بولس بالقول (ع. ٣١): «من افتخر فليفتخر بالرب» (إر ٩: ٢٤).

٢: ١- ١٦ البشارة عند بولس لا بحكمة الناس بل بحكمة الله

٢: ١- ٥ أسلوب بولس في البشارة عند وصوله إلى كورنثوس يباشر بولس هذه الفقرة بعبارة تودد: أيها الإخوة، ويستعملها لرابع مرة (را. ١: ١٠، ١١، ٢٦)، وفيها ما فيها من رغبة للتواصل معهم، والإبقاء على خيوط العلاقة قائمة. ثم يُحدِّد الأسلوب الذي اتَّبعه في كرازته بالإنجيل في مدينة كورنثوس، وذلك دعمًا لموقفه في الفقرات السابقة. فلقد تميَّز أسلوبه بما يلي:

أولاً- بساطة الكلام: فلم يستعمل بولس بليغ الكلام، ولم يقدم مبادئ الحكمة في مناداته إياهم للخلاص بالمسيح (ع. ١)، ولم يسعَ إلى إقناعهم بصحة ما يقول من طريق حكمة يتداولها البشر (ع. ٤). فقد كان بولس يتهيب الدخول في مجال يقع خارج الرسالة التي

www.christianlib.com

يحمل مسؤولية إبلاغها، فيعترف أنه كان خائفًا ومرتعدًا، ويشعر بالضعف، وبخاصة أن كورنثوس تجاور أثينا عاصمة الفلسفة عند اليونانيين (ع. ٣). وكان بولس يُلام على حاله في كورنثوس: «حضورك ضعيف والكلام حقير» (٢كو ١٠: ١٠).

ثانيًا– التركيز على المسيح المصلوب: فقد كان بولس يعي خطر الانزلاق في مهاوي الحكمة البشرية، لذلك عقد العزم ألا يقدِّم في بشارته سوى المسيح المصلوب (ع. ٢). وهذا ما سبق فقاله من جهة أنه يتجنب الحكمة لكيلا يتعطل صليب المسيح (١: ١٧). ويسمي بولس الكرازة بالمسيح المصلوب «سر الله» (ع. ١ب). وهذه القراءة في النص اليوناني أجدر بالقبول من «شهادة الله»، ويُريد بولس «بالسر» ما كان مخفيًا عن شعب العهد القديم من جهة دور المسيح في فداء غيرهم من الشعوب، وأنه هو ذاته كشف الله له السر بإعلان (أف ٣: ٣)، وسر الله هو المسيح (كو ٢: ٢)، وهذا السر يخص الأمم، أي غير اليهود، ويتعلق بخلاصهم «المسيح للأمم رجاء المجد» (كو ١: ٢٥– ٢٧). فإن رسالة المسيح المصلوب صعبة القبول لدى اليهود ولدى الأمم الأخرى الوثنية، غير أن هذه الرسالة لا بد من إبلاغها لخلاص الفريقين «لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجانًا بنعمته بالفداء بالمسيح» (رو ٣: ٢٢– ٢٤).

ثالثًا– برهان الروح والقوة: كان بولس يعوِّل على نشاط الله بأعمال الخلاص عندما يتحرك إيمان الإنسان باتجاه خالقه. وثمة مجال غير مرئي وغير مدرك يخص الحقل الروحي في علاقة الله بالإنسان وبالعكس. فعلى هذا المستوى الذي يفوق حكمة العقل، يعمل الروح القدس بقوته الفعَّالة ويُنتج في البشر قبول سر رسالة الله بسبب القوات والآيات التي ترافقها (ع. ٤ب). ويذكر بولس كيف أن المسيح يعمل بواسطته الآيات والعجائب بقوة روح الله لكي يُقبل الأممُ إليه ويُطيعوه، وذلك في رو ١٥: ١٨– ١٩. وكان بولس يعتمد برسالته على برهان الروح وقوته لكي يتأسس إيمان كنيسة كورنثوس لا على حكمة البشر (ع. ٥).

٢: ٦– ١٦ دفاع بولس عن الحكمة التي من الله هذه الفقرة هي واحدة من الفقرات المهمة في هذه الرسالة، ذلك لأن بولس خلال دفاعه عن الحكمة التي من الله، يكشف أربعة جوانب تتعلق بها، وهي:

أولاً: حكمة الله أسمى من قدرة البشر على إدراكها: فيجدر في البداية أن نقوم بتعريف مضمون هذه الحكمة التي من الله، وهذا التعريف مُستَلٌّ من ثنايا هذه الفقرة. فالحكمة هي مشروع الله الخلاصي المـُعدُّ منذ الأزل (ع. ٧)، ليُنجز بموت المسيح على الصليب في الزمن (ع. ٨)، وغايته النهائية تمجيدنا نحن المؤمنين (ع. ٧). ومضمون هذه الحكمة ليس من نتاج هذا العالم ولا من بنات أفكار عظمائه، فهم زائلون (ع. ٦)؛ إنما هو خطة لها قصد، مخفية في سر يخص الله (ع. ٧)، لا يمكن لأحد من عظماء هذا العالم أن يعرفه، فلو عرفوه لما صلبوا المسيح (ع. ٨). وهذا تأكيد من بولس على أن «أمور الله لا يعرفها أحد» من البشر (ع. ١١).

ثانيًا: حكمة الله يُعلنها الروح القدس: فهذه الحكمة العليا العصيَّة على الإدراك من قبل البشر، يبشرنا بولس بأنها ممكنة الإدراك بإعلان الروح القدس؛ لأن ما لا يُدرك بالحواس ولا يخطر على البال (ع. ٩)، يعلنه الله لنا بروحه (ع. ١٠). فكيف يعرف الإنسان أمور الله الموهوبة له، أمن روح العالم، أم من روح الله (ع. ١٢)؟ نعم، بروح الله، لأن أمور الله لا يعرفها أحد غير روح الله (ع. ١١).

ثالثًا: حكمة الله يدركها الروحانيون: وهذه الحكمة العليا لا يفهمها سوى الناضجين إيمانيًا؛ فما لم ينطق به بولس أمام المتحذلقين من حكماء هذا الدهر، أفصح به لهؤلاء المؤمنين (ع. ٦). والإنسان الطبيعي عند بولس لا يقبل أمور روح الله بسبب اعتباره إياها جهالة، ولا يقدر أن يعرفها لأن الحكم فيها يكون بالروح (ع. ١٤)؛ ولذلك فالإنسان الروحاني وحده قادر على فهمها (ع. ١٥). ثم يقتبس بولس من إشعياء ليؤكد أن لا أحد يعرف فكر الرب (إش ٤٠: ١٣)، ويقصد طبعًا أهل هذا الدهر؛ ثم يتابع بقوله «أمَّا نحن فلنا فكر المسيح» (ع. ١٦)، مشيرًا إلى الذين يُعلن الروح القدس لهم سر الله (ع. ٧).

رابعًا: حكمة الله الروحية يُنادَى بها بأساليب كلام روحية: يحرص بولس على ألاَّ يعطل البشارة التي هي حكمة الله برفيع الكلام وبلاغة التعبير وبأقوال تعلمها حكمة بشرية (١: ١٧؛ ٢: ١، ٤). وهنا يضيف مبدأً مفاده أن الوسيلة ينبغي أن تتلاءم مع الغاية وتناسبها، لأن «الأشياء التي وهبها لنا الله، نتكلم بها أيضًا لا بعبارات تعلمها حكمة إنسانية، بل بما يعلمه الروح، شارحين الأمور الروحية بعبارات روحية» (ع. ١٢– ١٣).

وبعد هذه المطالعة حول الحكمة الإلهية، نتقدم لعرض ما تختزنه هذه الفقرة من إعلان حيال إلهية المسيح وإلهية الروح القدس مما يجعلها فقرة ثالوثية بامتياز.

المسيح رب المجد

في عبارة نادرة لم ترد في الكتاب المقدس بعهديه يصف بولس المسيح بأنه «رب المجد». ووردت عبارة «رب المجد» وصفًا ليهوه الله في كتاب أخنوخ (١أخنوخ ٢٢: ١٤؛ ٢٥: ٣، ٧؛ ٢٧: ٣– ٤). وهناك تعبير قريب من «رب المجد» هو «إله المجد»، ويرد على لسان استفانوس عندما قال: «ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو في ما بين النهرين . . . أرض الكلدانيين» (أع ٧: ٢). وعندما نقول استفانوس نعني قلم لوقا رفيق بولس، وهذا يكشف التقارب بين التعبيرين.

www.christianlib.com

فإن العبارة «رب المجد» تشير إلى الربوبية (رب) والألوهة (الرب الذي له المجد)، ولا يتردد المطلع على ما ورد عن ابن الإنسان في دا ٧: ١٣– ١٤، كالرسول بولس، في أن يصف المسيح يسوع برب المجد. ألم يكتب هو العبارة التالية: «معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كو ٤: ٦).

وهنا يجدر الانتباه إلى قيمة المقابلة الفكرية بين الصلب وبين رب المجد، فما لم يكن في الحسبان بنظر اليهود، أن ابن الإنسان (دا ٧)، أو رب المجد، يموت مصلوبًا على آلة إعدام من خشب (تث ٢١: ٢٣)، حدث فعلاً ليسوع. والسبب أن رؤساء هذا الدهر، بمن فيهم رؤساء الكهنة اليهود، لم يعرفوه أنه المسيح، لأنهم لو عرفوا أنه رب المجد لما صلبوه (ع. ٨).

ألوهيّة الروح القدس

يسمي بولس الروح القدس (ع. ١٣) بروح الله (ع. ١٠، ١١، ١٤)، وبالروح الذي من الله (ع. ١٢)، وأنه «يفحص كل شيء حتى أعماق الله» (ع. ١٠)، وأن «أمور الله لا يعرفها أحد إلاّ روح الله» (ع. ١١)، وأن ما أعده الله للذين يحبونه يعلنه الله لنا بروحه (ع. ٩– ١٠)، وأنه، أي بولس، يتكلم «بما يعلمه الروح القدس» (ع. ١٣)، وأن الروح القدس له أموره الخاصة «ما لروح الله» (ع. ١٤).

فإن طبيعة الروح القدس الإلهية تؤكدها (أ) تسميته بروح الله، فكما أن الإنسان وروحه واحد، كذلك الله وروحه واحد (ع. ١١). وتؤكدها (ب) كون الروح صادرًا من الله («الروح الذي من الله»، ع. ١٢)، وحرف الجر «من» يدل على المصدرية، فالروح ينبثق (يخرج، يصدر) من الآب. فإن المصدرية تؤكد المماثلة في الطبيعة والجوهر (إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق). وتؤكدها (ج) أن الروح القدس يفحص أعماق الله (ع. ١٠)، فكيف يُمكن للروح القدس أن يفحص أعماق الله لو لم يكن من الطبيعة الإلهية ذاتها، ولو لم يكن منبثقًا (صادرًا) من الله؟ ثم تتأكد أيضًا (د) عندما يُسمَّى روح الله بالروح القدس (ع. ١٣)، أي القدوس، وهذه صفة لله، أفلا يدل إطلاقها على روح الله أنه مساوٍ لله؟

وتعلن لنا المُحصَّلة الواردة أعلاه أن الروح القدس هو ذات إلهية (أقنوم)، أي شخصية قائمة بذاتها غير منفصلة عن الله، لا مجرد قوة يمنحها الله، أو قوة يستعملها الله. فلاحظ الأفعال الإرادية والواعية والمميزة التي يقوم بها الروح القدس: إنه يفحص أعماق الله (ع. ١٠)، ويعرف أمور الله (ع. ١١)، ويُعلِّم أموره الخاصة (ع. ١٣)، ويملك أموره الخاصة (ع. ١٤). وهذه كلها تؤكد أقنوميته، وذاتيته الخاصة. وإذا رغب الله أن يوصل إلينا أمرًا أعده لنا في مشيئته الأزلية، فإنه يعلنه لنا بروحه (ع. ١٠).

عبارات في الفقرة تحتاج إلى تفسير

عظماء هذا الدهر: ترد هذه العبارة في العددين ٦ و٨، وعظماء حرفيًا رؤساء (مفردها في اليونانية أرخون). ذهب بعضهم إلى أن المُراد بالرؤساء الملائكة الذين هم بإمرة الشيطان (أف ٦: ١٢؛ ١بط ٣: ٢٢)، إله هذا الدهر (٢كو ٤: ٤). ولكن هذا التفسير لا ينسجم مع السياق: لو عرفوه لما صلبوه (ع. ٨)، فإن الشيطان يرغب في هلاك المسيح. وذهب غيرهم إلى أن المُراد بالرؤساء الملائكة الذين لم يحفظوا رئاساتهم (يه ٦)، ونزلوا إلى الأرض وعاثوا فيها فسادًا واتخذوا لأنفسهم نساء أيَّ من اختاروا (تك ٦). وهذا أيضًا تفسير مردود لأن هذا النوع من الملائكة عاقبه الله بقيود أبدية (يه ٦)، ولم يكن نشطًا في زمن يسوع.

والتفسير الواقعي لهذه العبارة هو أن المُراد برؤساء هذا الدهر الحكام وذوو السلطة مثل: هيرودس أمير الجليل (لو ٢٣: ٦– ١٢)، وقيافا رئيس الكهنة (مت ٢٦: ٥٧؛ مر ١٤: ٥٣– ٦٥)، وبيلاطس الوالي الروماني (مر ١٥: ١٥)، وجميعهم اشتركوا بعملية صلب المسيح من ناحية أو أخرى، وجميعهم لو عرفوه لما صلبوه. ونختم بعبارة بطرس: «أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم (على صلب المسيح) كما رؤساؤكم أيضًا» (أع ٣: ١٧).

كما هو مكتوب (٩): إن الاقتباس الذي جاء بعد هذه العبارة غير واضح المصدر إذ لا يرد بحرفيته في كتب العهد القديم، ولعل بولس استوحاه من إشعياء ٦٤: ٤؛ ٥٢: ١٥؛ ٦٥: ١٧؛ وإرميا ٣: ١٦؛ وسيراخ ١: ١٠.

الإنسان الطبيعي (١٤): كلمة «الطبيعي» هنا في اليونانية «النفسانيُّ، *psukhikos*»، أي الإنسان بطبيعته الأساسية الغرائزية بلا روح، وتُرجمت «النفسانيُّ» بلفظة «الحيوانيُّ» (١كو ١٥: ٤٤)، لتؤدي المعنى ذاته. ويكشف يهوذا هذا المعنى بكل وضوح بقوله: «نفسانيُّون لا روح لهم» (يه ١٩). ويستعملها بولس هنا (ع. ١٤) في مقابل «الروحانيُّ» بقوله: «أما الروحاني فيحكم في كل شيء» (ع. ١٥)، وهذا يؤكد المعنى نفسه، أي أن الإنسان غير المؤمن النفسانيَّ بلا الروح القدس في حياته «لا يقبل ما لروح الله لأن الروح جهالة عنده» (ع. ١٤).

٣: ١– ٢٣ معالجة الشقاق بعدم التحزب للقادة

٣: ١– ٤ عودة إلى معالجة الشقاق في الكنيسة يعود بولس في هذه الفقرة فيتابع ما بدأه من علاج في ١: ١٠– ١٦. ويباشر كلامه بعبارة وداد «أيها الإخوة» ليتحملوا وصفه لهم بالجسديين وبأنهم أطفال في المسيح (ع. ١). فإن علامات المؤمن الجسدي تظهر بمساوئ مثل الحسد والخصام والسلوك حسب البشر غير المؤمنين (ع. ٣)، وبالتحزب لفلان أو لغيره من القادة في الكنيسة (ع. ٤).

www.christianlib.com

فإن عتب بولس على المؤمنين في كنيسة كورنثوس يرجع إلى عدم نموهم في المسيح، إذ رغم تقدمهم في سني الإيمان بقوا أطفالاً في وعيهم لخُلُقهم المسيحي (ع. ١)، وما نضجوا إلى الروحانية المطلوبة منهم «لم أستطع أن أكلمكم كروحانيين» (ع. ١). فكان بود بولس أن يكونوا قد نضجوا في المسيح ليكلمهم بأمور الله العميقة (٢: ١٠)، لكنهم خيبوا أمله، فلم يستطع أن يقدم لهم طعامًا روحيًا قويًا فسقاهم لبنًا حليبًا، في زيارة سابقة لهم، ثم يضيف أنهم لا يزالون إلى الآن على هذه الحال من عدم البلوغ (ع. ٢).

ويميز بولس في هذه الفقرة بين نوعين من البشر، النوع الأول هم المسيحيون المؤمنون ويسميهم «الروحانيين» (ع. ١)، والنوع الثاني هم البشر العاديون (ع. ٣) ويسميهم الطبيعيين (٢: ١٤). ثم يميز في النوع الأول بين فئتين: الروحانيين والجسديين. فإنه في إقراره بوجود هذين النوعين يؤكد حقيقة ثابتة، فإذا كان بإمكان البشر البعيدين عن الله أن يصيروا مؤمنين بالمسيح، فكم بالأحرى يكون الجسديون من المسيحيين قادرين أن يصيروا روحانيين؟ فعندما يذكر بولس الجسديين فهو لا يريد أن يخلق فئة من هذا النوع، بل يريد أن يصف هذه الفئة لتدرك تقصيرها وترتفع إلى مصاف الروحانيين، حيث المحبة والتفاهم والتعاون والتكامل وملء البركة.

٣: ٥ – ١٧ العمل معًا عند الله في الزراعة والبناء والحفاظ على الهيكل يعرض بولس في هذه الفقرة (٥ – ١٧) ثلاثة تشابيه تتعلق بالفلاحة والبناء وهيكل الله، ولكنه يتوسَّع في التشبيه الثاني حول البناء أكثر من التشبيهين الآخرين. ويركز بولس على ضرورة التعاون بين العاملين في حقل الرب، فإن «الغارس والساقي هما واحد» (ع. ٨)، ويعملان معًا عند صاحب عمل الذي هو الله (ع. ٩)، ومن يتهاون في البناء ويُتلف هيكلَ الله فسيُتلفه الله (ع. ١٧). وإذا فهم المؤمنون في كورنثوس هذا المبدأ فسينتقلون من الحالة الجسدية إلى الحالة الروحية.

تشبيه في مجال الزراعة

في مطلع الفقرة درس مهم في التواضع يخُطُّه بولس بتقديم أبلُّوس على نفسه: «فمن هو أبلوس؟ ومن هو بولسُ؟» (ع. ٥) لا كما رغب أحد النسَّاخ لاحقًا في أن يذكر الرسول أولاً. وتأكيدًا على تواضعه يقول بولس: «بل هما خادمان آمنتم بواسطتهما» (ع. ٥)، فمع أنه رسول يسمي نفسه «الخادم» (في اليونانية، *diakonos*) ويضع نفسه جنبًا إلى جنب بجوار أبلُّوس. جاء بولس إلى كورنثوس أولاً وغرس النباتات في حقل الرب عندهم، ثم لحق به أبلُّوس فسقاها (ع. ٦)، وهذان العملان هما منحة من الرب لكل منهما (ع. ٥)، ولكن هل كان ما عملاه لينجح لولا أن الرب كان يُنمي (ع. ٦)؟

ويذكر بولس أن للعمل في حقل الرب أُجرةً بمقدار التعب (ع. ٨)، وهذا تشجيع للعاملين، ويجعلنا نصحح ترجمة العبارة «نحن عاملان مع الله» (ع. ٩) لتصبح: «نحن عاملان معًا لله»، أو عند الله، طالما أننا سنأخذ أجرًا. لو كان بولس وأبلُّوس شريكي الله في العمل لما قال بولس: «فلا الغارس بشيء ولا الساقي، بل الله الذي يُنمي» (ع. ٧). إنهما ليسا شريكَي الله، عاملَيْن معه، بل هما عاملان معًا عنده. ويختم بولس بعبارة مفادها أن الكنيسة كشعب هي بمثابة حقل يخص الله (ع. ٩)، وبولس أو غيره يعملان في فلاحة هذا الحقل والاهتمام بزرعه.

تشبيه في مجال البناء

ثم ينتقل بولس للحديث عن خدمة الرب مشبِّهًا إياها بعملية البناء (ع. ٩ب). وينطلق بولس من الأساس، فيقول إنه هو من وضع الأساس (ع. ١٠)، لأنه ولدهم في المسيح بالإنجيل (٤: ١٥)، ومن يأتي بعده ليخدم ويعلِّم في كورنثوس يبني على الأساس الذي وضعه بولس (ع. ١٠أ). فإن الأساس هو المسيح، ولا آخر سواه (ع. ١١)، وبولس كبنَّاء ماهر جعل يسوع الأساس (٢: ٢)، وطلب ممن يبني بعده عليه أن ينتبه كيف أو ماذا يبني عليه (ع. ١٠ب).

وقسم بولس هنا (ع. ١٢) مواد البناء إلى قسمين، القسم الأول: الذهب، والفضة، والحجارة الكريمة. والقسم الثاني: الخشب، والعشب، والقش. ومواد القسم الأول لا تأكلها النار؛ ومواد الثاني تلتهمها النار التهامًا. وبناء عليه يتقدم بولس في توسيع التشبيه (ع. ١٣) فيقول إن النار ستمتحن عمل كل واحد في ذلك اليوم (١: ٨)؛ ويقصد يوم الحساب أمام كرسي المسيح (٢كو ٥: ١٠)، أو أمام كرسي الله (رو ١٤: ١٠– ١٢). وحيث إن هناك امتحانًا، فعمل كل واحد سينكشف وتظهر قيمته الحقيقية (ع. ١٣أ)، فإذا بقي عمل أحد، مما بُني على الأساس بعد توجيه النار إليه، فسينال المكافأة (ع. ١٤). وهذا يعنى أن مواد البناء كانت من الذهب، والفضة، والحجارة الكريمة. وإن احترق عمل أحد، وهذا يعنى أن مواد البناء كانت من الخشب، والعشب، والقش، فسيخسر المكافأة، والعامل نفسه لن يخسر خلاصه، لا! إنه سيُخَلَّص، ولكن هكذا كما من خلال النار (ع. ١٥). وهذا التشبيه يُماثل العبارة الواردة في عاموس: «كشُعلَة منتشَلة من الحريق» (عا ٤: ١١؛ را. زك ٣: ٢). فإن موقف بولس هنا مُستمدٌّ من فكره اللاهوتي، فالمؤمن لا يخسر خلاصه نتيجة التقصير في خدمته أو عمله، أو نتيجة لسقطة عابرة (٥: ٥)، وإنما نتيجة إصراره على إنكار الرب يسوع وعمله الفدائي لأجله، وبالتالي السقوط في مهاوي الرذيلة والبِدَع (١تي ٦: ٩– ١٠؛ تي ٣: ١٠– ١١).

www.christianlib.com

تشبيه في مجال هيكل الله

وحيث إن الشيء بالشيء يُذكر، ينتقل بولس من مثال البناء إلى مثال الهيكل. ورغبة في أن يكون تطبيقه عمليًّا ومفيدًا، يوجه بولس سؤالاً تشبيهيًّا إلى قرائه (ع. ١٦): «ألا تعلمون أنكم هيكل الله»؟ ثم يقدِّم إنذارًا سلبيًّا: «إنْ حاول أحد أن يُتلفَ هيكلَ الله، فسيُتلفه الله» (ع. ١٧)، بدلاً من تطبيق إيجابي: من يبني هيكل الله يبنيه الله. ويريد بولس أن يقول إن هيكل الله هم المؤمنون «أنتم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم». إذًا، فعمل بولس في بناء الكنيسة يقتضي منه اختيار أفضل مواد البناء: الذهب، والفضة، والحجارة الكريمة. وكان يخاف أن يأتي أحد بعده، أو يقوم جيل في كورنثوس للخدمة في الكنيسة، ويبني بمواد رخيصة تُتلف الخدمة والبناء الروحي للمؤمنين، فوجه هذا الإنذار: من يُتلف الكنيسة يُتلفه الله.

٣: ١٨– ٢٣ عودة إلى حكمة العالم والافتخار بالناس بعدما ترك بولس ما ذكره في الفصل الأول عن حكمة العالم (١: ١٧– ٢٥)، وعن الافتخار بالرب لا بالناس (١: ٢٦– ٣١)، يعود فيذكِّر به في هذه الفقرة بإيجاز، ولكنه مهم. ويقتبس من العهد القديم مرتين ليدعم وجهة نظره، وهذا ضروري لكنيسة فيها أجواء تشكيك به وبدعوته كرسول، وابتدأت تدرك قيمة العهد القديم كأساس للبشارة المسيحية. فالمرة الأولى (ع. ١٩): «الآخذ الحكماء بمكرهم» (أي ٥: ١٣)، وتعني أن الله يُمسك الحكماء بما يمكرون به. والمرة الثانية (ع. ٢٠): «يعلم الرب أفكار الحكماء أنها باطلة» (مز ٩٤: ١١). وهذا الكلام يقع في إطار مفاده أن «حكمة هذا العالم جهالة عند الله» (ع. ١٩)، ويؤكد بولس على التناقض بين حكمة الله وحكمة هذا الدهر، بحيث إن من يرغب أن يصير حكيمًا في نظر الله عليه أن يصير جاهلاً بحكمة هذا الدهر، لأنهما لا يلتقيان (ع. ١٨). وهذا المبدأ الذي يُعلِّمه بولس هنا، سار عليه رجال الفكر في الكنيسة من زمن الآباء الأوائل، وأوغسطينُس، وأثناسيُوس، ويوحنا الدمشقي، مرورًا بتوما الأكويني، ثم لوثر، وكالفن، إلى كارل بارت، وجوزيف راتسينجر، كل هؤلاء نادوا بأن الفلسفة (حكمة هذا الدهر)، هي دائمًا في خدمة الإيمان والإعلان الإلهي ولا تسود عليه.

وينتقل بولس هنا (ع. ٢١– ٢٣) إلى النصح حول الافتخار بالبشر، مبتدئًا كلامه بحرف جواب «إذًا»، بمعنى «بناء على ما سبق». فمن الطبيعي أن نربط «إذًا» كحرف جواب، لا بالفقرة السابقة (ع. ١٨– ٢٠)، بل بالأسبق (ع. ٤– ٥)، حيث يقول: من هو أبلوس ومن هو بولسُ. فإن منطقه حول عدم الافتخار بالناس مؤسس على أن المؤمنين في كورنثوس ليسوا لبولس وبطرس وأبلوس، هؤلاء الذين خدموهم، بل إن الرسل وخدام البشارة هم للمؤمنين، لا الرسل وحدهم، بل العالم وكل ما في الحياة الحاضرة والمقبلة هو للمؤمنين. ما من تعبير أقوى من هذا يُعطي الكنيسة، جسد المسيح، حقها، ويُحوِّل التركيز عن القادة إلى الشعب، فالقادة في خدمة الشعب، لا الشعب في خدمة القادة. وعندما يتفانى القادة في خدمة شعبهم، يتفانى الشعب في إكرام قادته. وفي الخلاصة النهائية، ولكيلا يقول الشعب: إن كان الرسل لنا، فنحن لسنا لأحد، وبالتالي لا أحد فوقنا، يضيف بولس: «أما أنتم فللمسيح والمسيح لله» (ع. ٢٣)، فكما يخضع المسيح لله (١٥: ٢٨)، تخضع الكنيسة للمسيح (أف ٥: ٢٤).

٤: ١– ٢١ ضرورة المُساءلة الذاتية وعدم الانتفاخ كبرًا

٤: ١– ٥ المُساءلة تحفظ الوكيل أمينًا حتى يأتي الرب يريد بولس في هذه الفقرة أن يُظهر لكنيسة كورنثوس أنه أمين في خدمته لهم أمام الرب. ويبادرهم بطلب لأن يحسبوه هو والباقين من الرسل «كخدام المسيح ووكلاء أسرار الله» (ع. ١)، حتى إذا فعلوا، تتم النتيجة المنطقية وهي: يجب أن تجري مُساءلة للوكلاء، أي فحص أعمالهم ومراقبة إنتاجهم وسلامة دفاتر حسابهم، وبهذه الطريقة يلتزمون الأمانة في أعمالهم، ويُصبحون أهلاً للثقة (ع. ٢). فمن يقوم بمُساءلة بولس وفحص خدمته؟ يقدم بولس ثلاث محاكم تفحص في أمره:

المحكمة الأولى: مؤمنو كورنثوس. يقول بولس أنتم تقدرون أن تحكموا في أمري، وتفحصوا حياتي وخدمتي، فأنتم شاهدتموني بينكم وسمعتم تعليمي، وأُذني مستعدة حتى لتصغي لرأيكم فيَّ، ولكن محكمتكم هي أدنى محكمة بنظري؛ بل ولا يهمني أمرها كثيرًا، لا هي ولا أية محكمة بشرية «يوم بشر» (ع. ٣). فيقرُّ بولس بهذه المحكمة، ولكنه لا يُعيرها كثير إهتمام.

المحكمة الثانية: بولس يُحاكم بولس. يقول بولس: «لا أحكم في أمري» (ع. ٣ب)، وهذا لا يعني أنه لا يُحاكم نفسه، أو يفحص ضميره، لأنه يقول: لا أشعر بشيء ألامُ عليه في ذاتي (ع. ٤)، وهذا يؤكد أنه يفحص نفسه، ولكن لا يسمح لنفسه أن تعطي الكلمة الأخيرة في أمره. فلاحظ قوله: إذا كان ضميري لا يؤنبني، فلا يعني هذا أني بريء (ع. ٤). وجيد للإنسان ألا يدين نفسه فيما يستحسنه (رو ١٤: ٢٢)، ولكن بولس يطلب أن تتم مُحاكمته لدى محكمة أرفع من محكمة الذات، لدى محكمة الرب.

المحكمة الثالثة: محكمة الرب. وهذه المحكمة (ع. ٤ب) هي العليا، ويخضع لها الجميع «كل واحد» (ع. ٥ب). فإن ما يخفى على مؤمني كورنثوس، وعلى ضمير بولس، لا يخفى على الرب الذي يشع نوره فيكشف ما خفي في الظلام، ويُظهر آراء القلوب (ع. ٥). ولذلك ينصح بولس أهل كنيسة كورنثوس ألا يتسرعوا في إصدار

www.christianlib.com

الأحكام؛ بل ينتظروا رجوع الرب يسوع، وعندئذ يكون المدح لكل واحد من قبل الله.

٤: ٦– ١٣ بولس ينتهي من علاج مشكلة الافتخار بالبشر ابتدأ بولس من مطلع الرسالة (١: ١٠– ١٣) بعلاج مشكلة الشقاق بسبب تحبيذ قائد على آخر في الكنيسة، ومن هناك توزعت همومه بين حكمة الله وحكمة هذا الدهر والافتخار بالرب، وأمثلة حول الزراعة والبناء استغرقت الفصول الثلاثة الأولى من الرسالة، وينتهي هنا بقفل موضوع علاج الشقاق ليبدأ في معالجة شؤون أخرى تحتاجها الكنيسة في كورنثوس من الفصل الخامس إلى السادس عشر.

بعد عبارة التحبب، يوضح بولس الغاية من ذكره نفسه وأبلوس فيما سبق، فيقول: نسبتُ هذه الأمور إلينا على سبيل التورية (التشبيه)، من أجلكم، لتتعلموا بنا (ع. ٦). ويُراد بالتورية تحويل الأمر مجازًا ليضمنه المعنى الذي يريده. ويبدو أن بولس أراد باستعمال التورية مخاطبة القادة في الكنيسة في معرض الحديث عن نفسه وأبلوس، وذلك لخيرهم، أو للتستير عليهم. وكذلك لكي يتعلموا «عدم تجاوز ما كُتب» حتى لا يفتخر أحد بسبب تفضيله أحد القادة على غيره، الأمر الذي يؤدي إلى الشقاق. وعبارة «عدم تجاوز المكتوب» يراد بها إمَّا ما كُتب عن الافتخار والحكمة الروحية في هذه الرسالة (را. ١: ١٩، ٣١؛ ٢: ١٦؛ ٣: ١٩– ٢٠)؛ أو هي قول شائع في كورنثوس للتمسك قولاً وفعلاً بما جاء في كلمة الله، وعدم الحياد عنه.

وهنا يضع بولس مبدأً روحيًّا ينتزع من أي إنسان حق الافتخار بنفسه، وهو التالي: لا يملك الإنسان شيئًا (جاء إلى العالم عُريانًا، أي ١: ٢١)، وكل ما لديه ناله من الرب (الرب أعطى، أي ١: ٢١)، فكيف يفتخر بأن ما لديه ملكه، وأنه لم ينل شيئًا من الرب واهب النِّعَم؟ فإن كان الإنسان نال من الرب كل ما لديه من هبات، فلا مجال للافتخار بأنه لم ينلْها منه، وأنها من عمل يديه (ع. ٧). وقول بولس هذا صار مثلاً يُضرَب. وعبارة «مَن يُميزك» (ع. ٧) تعني «مَن أجاز لنفسه أن يقول إنك أفضل من غيرك»، إذ إنَّ الله وحده له هذا الحق!

ويستدير بولس في الأعداد ٨– ١٣ ليواجه بعضًا من أهل كنيسة كورنثوس مباشرة بلا تورية كما في السابق (ع. ٦)، وهم قد انتفخوا كبرًا بسبب ما لديهم من وفرة مواهب روحية وإحساس بالاستعلاء جراء ذلك. ويُلاحظ أن حالة الاستعلاء التي يعيشها أهل الإيمان في كورنثوس ناتجة أيضًا من تصورات غير واقعية لحالة المجد الآتي وكأنها حاصلة الآن «قد ملكتم من دوننا» (ع. ٨). فيعاتبهم بولس بكلام شديد اللهجة، ممزوجًا بالتهكُّم، مقارنًا الحالة المزرية التي يعيشها هو في مقابل بقية الرسل الذين يعيشون حالة فخمة.

وهنا عتابُه: «أنتم في الواقع اكتفيتم! وقد اغتنيتم!» وهذا يعني لا حاجة لكم لشيء أو لأحد، بل «لقد ملكتم من دوننا!» أي غدوتم في ملك المسيح المنتظر وتعيشونه الآن، بينما نحن في ضيق لا يوصف. «ويا ليتكم قد ملكتم فعلاً، فكُنَّا نملك نحن أيضًا معكم!» لأن بركات مجد الملك مع المسيح تشمل الجميع. وحيث إنها لم تشمل الرسل، فيتمنى بولس لو أنهم قد ملكوا فعلاً ليملك هو والرسل معهم، وينالوا نصيبًا مما يتمتع به هؤلاء (ع. ٨). ولكن على نقيض ذلك، يقول بولس: «فإني أعتبرُ أن الله عَرَضنا نحن الرسلَ في آخر موكب الإعدام كالمحكوم عليهم بالموت» على عادة ما يجرى في ساحات مدرجات ملاعب الرومان في أنحاء الإمبراطورية، وهذا وصف لحالة يُرثى لها من الذل والمهانة «لأننا صرنا مشهدًا للكَوْن: للملائكة من جهة، وللناس من جهة أخرى» (ع. ٩). ويعتبر يوحنا فم الذهب أن الملائكة هنا هم الملائكة الأخيار الذين يتابعون عمل الله الخلاصي في الأرض من خلال عمل الرسل، ويعتقد غيره أنهم الملائكة الأشرار لأن الذين يحضرون مشهد المحكوم عليهم بالموت في الملاعب الرومانية كانوا من قساة القلوب والمتعطشين لرؤية الدماء تُسفك والأرواح تُزهق، كما أن الناس في مقابل الملائكة تشير على الأرجح إلى سائر الناس غير المؤمنين، وبالتالي يكون الملائكة أردياء من صنفهم.

ثم يتابع بولس عتابه فيعرض مقابلة بين وضع قرائه وبين وضعه والرسل، مرددًا التعابير التي استعملها في ١: ٢٧– ٢٨:

نحن جهَّال من أجل المسيح، أما أنتم فعقلاء في المسيح.

نحن ضعفاء، أما أنتم فأشدَّاء.

أنتم مُحترَمون، أما نحن فمُحتقَرون.

ولا يُمكن لأحد إلاَّ أن يلاحظ تهكم بولس عليهم بقوله: عقلاء في المسيح. ويتابع بولس وصف المعاناة: حتى الساعة الحاضرة: نجوع، ونعطش، ونَعرى (نلبس الثياب البالية التي لا تقي برد الشتاء)، ونُلكم (نُضرب ونُعامل بخشونة)، ونتشرَّد (هائمين من مكان إلى مكان بلا إقامة ثابتة)، ونتعب في العمل بأيدينا (لتحصيل قوتنا، فمن لا يشتغل لا يأكل ٢تس ٣: ٨– ١١). ثم يعود إلى قالب المقابلة الثلاثي الذي استعمله أعلاه:

نُشتَم، فنبارك.

نُضطهَد، فنَحتمل.

يُفترى علينا، فنتودَّد.

وفي المقابلة الأولى: «نُشتم فنبارك» صدى لتعليم يسوع والرسل (لو ٦: ٢٨؛ رو ١٢: ١٤؛ ١بط ٣: ٢٣). وفي المقابلة الثالثة: «يُفترى علينا، فنتودَّد» أي نُتهم زورًا ويُشنَّع بنا، فنحاول بالكلام الليِّن إزالة سوء الفهم وإظهار الحقيقة. ويختم بولس كلامه بوصف عمق ما انحدروا إليه من مهانة كرسل: أمسينا كأقذار العالم ونُفاية الجميع إلى الآن (ع. ١٣)، وهذا مصير من يتبع مسيحًا مرفوضًا يُحكم عليه بالموت ويُصلب على آلة إعدام يستعملها الرومان لقتل المجرمين والخارجين على القانون. وفي وصف معاناة بولس خلال خدمته ليسوع درسٌ لنا نحن أبناء هذا العصر الذين يظنون أن خدمة المسيح

www.christianlib.com

جاه وكرامة ونجاح اجتماعي واقتصادي. شتَّانَ!

٤: ١٤– ٢١ بولس يُمهد لزيارة تالية إلى كورنثوس رغم الأجواء غير المؤاتية بعد اللهجة المتهكمة والجافة التي خاطبهم بها أعلاه، يعمد بولس إلى تطرية الأجواء مع قرائه، فبدلاً من عبارة «أيها الإخوة» التي اعتاد أن يخاطبهم بها، ينحو إلى «أولادي الأحباء». وعندما يقول: لا لأُخجِّلكم، يقترب من الاعتذار لهم، ويضيف «لأُحذركم» كتبت ما كتبت (ع. ١٤). ففرق شاسع بين الآباء والمرشدين في تعاملهم مع البنين، وبولس يؤكد أبوته لهم لكونه ولدهم ليعيشوا في المسيح بواسطة البشارة التي سمعوها منه (ع. ١٥). وكما يتمثل الأولاد بوالديهم يطلب بولس أن يقتدوا به وبسيرته لكونه من هذه الناحية والدهم (ع. ١٦).

وحصل سوء تقدير لبولس من قبل كنيسة كورنثوس بسبب تردده في القيام بزيارة ثانية لهم (٢كو ١: ١٥)، فاتهموه بأنه رجل متقلقل، عنده نعم ولا (٢كو ١: ١٧)، ويستخدم حكمة جسدية في التعامل معهم، الأمر الذي نفاه (٢كو ١: ١٢)، وصرَّح أنه إشفاقًا عليهم لم يقم بهذه الزيارة التي وعدهم بها (١كو ١: ٢٣). وهنا كان بولس لا يزال في الوضعية ذاتها، ولم يقم بعد بالزيارة المرتقبة، ولمَّا أرسل إليهم تيموثاوس (ع. ٢٧، يبدو أنه لم يصل بعد ١٦: ١٠) اعتقدوا أن بولس لن يأتي بنفسه إليهم، فتأيد ظنهم بشخصيته المترددة وانتفخوا كِبْرًا إذ خلت الساحة لهم (ع. ١٨). غير أن بولس لن يترك بعض القادة العابثين في الكنيسة يجولون ويصولون في غيابه كما يحلوا لهم، فكتب: «ولكني سآتي إليكم قريبًا، إن شاء الرب، فأتبيَّنَ لا كلامَ المنتفخين كِبرًا، بل قوتهم» (ع. ١٩). فخدمة ملكوت الله عند بولس ليست بالكلام في الهواء، بل بالعمل الفعلي «بالقوة» (ع. ٢٠). وينتهي بتوجيه إنذار بقبضة من حديد مغلفة بالحرير «أبالعصا آتي إليكم، أم بالمحبة؟» (ع. ٢١).

٥: ١– ١٣ فصل مرتكبي الشرور من الكنيسة

من هنا، من مطلع الفصل الخامس، وبشكل مركز الآن، يبدأ بولس سلسلة من العلاجات لعدد من الشؤون الأخلاقية والحياتية والعقيدية والعبادية التي سمع بها أو سأله الكورنثيون في أمرها، ويستمر حتى نهاية الرسالة.

و«يُشاع خبر مُؤكَّد أن بينكم زنى»، هكذا يبدأ بولس كلامه ليعالج مسألة الزنى الحادثة بينهم (ع. ١). وهذه المسألة الفاحشة لا يُسمح بها بين الأمم الوثنية التي لا تعرف الله ولا تعرف الشريعة. ويُقتبس موقف القاضي الروماني الشهير غايُس، وكذلك خطيب روما الكبير شيشرون، في هذا المجال، فهما يستفظعان الزواج أو العلاقة الجنسية بين الابن وزوجة أبيه، أو بين الصهر وحماته. ويستغرب بولس موقف الكنيسة من هذا الأمر، فيتساءل: «أفأنتم منتفخون كِبْرًا، وألا يجدر بالأولى أن تنوحوا ليُنزَع من وسطكم الذي ارتكب هذا الفعل؟» (ع. ٢). ويَشرع في وضع ترتيب يُتَّبع في مثل هذه الحالة تفصيله التالي: أن تجتمع الكنيسة باسم المسيح، وبسلطان المسيح تُصدر قرارًا بفصل مرتكب الفاحشة من شركة الكنيسة، وهذا الفصل هو بمثابة تسليمه للشيطان، لأنه الآن خارج دائرة الحماية الإلهية، فيتعرض لضربات وأمراض من قبل الشيطان تُتلف جسده، (ع. ٤– ٥)، وهكذا يثوب إلى رشده ويتوب عن شره (١بط ٤: ١ب)، فتخلص روحه في يوم الحساب أمام كرسي الرب يسوع المسيح (را. شرح، ٣: ١٢– ١٤).

ويذكر بولس ما سمعه من جهة هذا الأمر ويُعالجه، وفي ثنايا علاجه دروسٌ ينبغي الانتباه إليها:

أولاً: لا ينبغي التغاضي عن الشرور في حياة أعضاء الكنيسة إذا وصلت إلى حد الفضيحة بارتكابها علنا أو الجهر بها بلا حياء (ع. ٢). «فخميرة قليلة تخمر العجين كله» (ع. ٦)، وإذا لم يُضبط الشر ينتشر ويدمِّر.

ثانيًا: إن ظهور الشرور بين جماعة الإيمان مدعاة للنوح واللطم والبكاء، لا للافتخار والتباهي (ع. ٢، ٦).

ثالثًا: إن الغاية من فصل المرتكب هي إصلاحه «لكي تخلص روحه» (ع. ٥)، لا الانتقام منه وهلاكه.

رابعًا: إن اجتماع الكنيسة لإجراء عملية الفصل عظةٌ لجميع أعضائها (ع. ٤)، فبسبب أن القرار بهذا الشأن جماعي يكون عبرة للجميع.

خامسًا: إن عملية التنقية في الكنيسة يجب أن تُجرى كلما دعت الحاجة لكي تبقى حياتها جديدة (ع. ٧).

سادسًا: يجب ألاَّ يغيب الصليب عن مركز اهتمامنا في كل قرار، لأن المسيح هو الحمل الخاص بفصحنا وقد ذُبح لأجلنا (ع. ٧).

سابعًا: إن الحياة المسيحية احتفال بهيج نعيشها عيدًا خاليًا من أفعال السوء والشر ومشحونًا بالإخلاص والحق (ع. ٨).

ثم يُذكِّر بولس أهل كنيسة كورنثوس أنه كتب لهم «في الرسالة» ألاَّ يُخالطوا الزناة (ع. ٩)، وقد تكون الرسالة التي أشار إليها هي هذه الرسالة، وهو المرجح، بسبب أل التعريف. ويبقى السؤال لا نجد في الرسالة حتى الآن نهيًا عن مخالطة الزناة فكيف تكون الرسالة المُشار إليها هي هذه؟ إلاَّ إذا حدث إعادة ترتيب لمحتويات الرسالة عن قصد أو بشكل عفوي. ويرى بعضهم أن الرسالة هي تلك الفقرة الواقعة في الرسالة الثانية (٦: ١٤– ٧: ١)، حيث جاء في مطلعها: أية خلطة للبر والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة؟ (را. المقدمة، رسائل بولس إلى كورنثوس وترتيبها الزمني)

إن عدم مخالطة الزناة، أي الذين يمارسون الشرور الجنسية على أنواعها، يُلزم المؤمنين أن يخرجوا من العالم، بسبب تفشِّي هذه

www.christianlib.com

الموبقات في جميع طبقات المجتمع، وليس هذا ما يريده الرب يسوع (يو ١٧: ١٥). فالعالم مليء بالزناة وعبدة الأوثان والسكيرين (ع. ١٠)، وعلى المسيحيين أن يشاركوهم خبر البشارة فيتحررون.

في البداية يكتب بولس بشأن مخالطة زناة العالم وأشراره (ع. ٩، ١٠)، ثم يكتب ثانية «فكتبت»، (ماض يُستعمل في الرسائل يراد به الحاضر)، بشأن موقف المؤمنين من أناس يُسمَّون مسيحيين (مدعو أخًا)، ولكنهم يرتكبون كبير المعاصي، وهم في الكنيسة الباكرة نُدرة (إن كان أحد)، فهؤلاء يجب على المؤمنين ألاَّ يُخالطوهم، ولا يصادقوهم، ولا يأكلوا معهم (ع. ١١ب). وهذا يعني عدم قبولهم في شركة الكنيسة. وإذا كان تناول الطعام مع هؤلاء العصاة محظورًا، فكم بالأحرى يكون اشتراكهم مع المؤمنين في العشاء الرباني محظورًا؟ (لا تؤاكلوا- لا تأكلوا مع- مثل هذا). ومن المفيد النظر إلى هذه المقاطعة الروحية والاجتماعية من باب أنها تساعد هؤلاء المنحرفين عن طريق المسيح على الندم والعودة إلى طريق الإيمان. فإن الحزن يُنشئ توبة (٢كو ٧: ١٠).

يغتنم بولس فرصة حديثه عن تأديب مرتكب الفعل الشنيع وفصله من الكنيسة، فيوسِّع قائمة الذين من المفترض ألا يوجدوا في الكنيسة، وإن وُجدوا فينبغي فصلهم من شركتها (ع. ١١، ١٣). وهذه القائمة تحتوي على:

الزناة: وتشمل الذي يخونون عهد الزواج، كما المعتدين جنسيًّا على غيرهم من إناث وذكور، ومن يتضاجعون خارج الزواج ولو برضاهم، ومن يتعاطى العهارة لقاء أجر، وغير هذه من الأمور المـُعيبة.

والطمَّاعين: وهم الذين لديهم رغبة جامحة في التملُّك، ويسوقهم نهم لا يشبع. ويتثبَّت معنى الطمع هذا من سياق الكلام، فإذا كان السياق سياق مال ومقتنيات، أخذ المعنى طابع الطمع بالمال (لو ١٢: ١٥)، وإذا كان السياق يتحدث عن الزنى وما شابه، أخذ الطمع معنى الشهوة الجامحة، ورادف الشبق والفجور بلا شبع (أف ٤: ١٩؛ ٥: ٣- ٤؛ كو ٣: ٥).

وعابدي الأوثان: وكان يُرافق عبادة الوثن فجور ودعارة في الهياكل (غل ٥: ١٩- ٢٠؛ أف ٥: ٥؛ ١بط ٤: ٣- ٥)، وهذا نلاحظه في الأُطر الكلامية التي تحيط بذكر عبادة الأوثان في هذه القرائن. وهذا يدل على أن عيب عابد الوثن كان ذا شقين: عبادة غير الله الواحد، والانحطاط الأخلاقي.

والشتَّامين: هؤلاء يؤذون غيرهم بالكلام شتمًا وطعنًا وإهانة وتشنيعًا وسخرية ولعنًا.

والسِّكِّيرين: يُدمنون على شرب المـُسكر فيتملكهم شرب الخمر والكحول، فتهتز ركائز العقل، فينطلق اللسان بلا لجام والتصرفات بلا زمام. إن السكر يرادف الخلاعة (أف ٥: ١٨).

والخاطفين: السارقين، النهَّابين، النشَّالين، المغتصبين مال الآخرين بالقوة أو بالحيلة (لو ١٨: ١١)، الخاطفين الأطفال لبيعهم، الخاطفين البشر للمطالبة بفدية. يُشبهون الذئاب (مت ٧: ١٥).

وأخيرًا يطلب بولس من كنيسة كورنثوس أن تنزع أمثال هؤلاء من شركتها «اعزلوا الخبيث (العضو الفاسد) من بينكم (را. تث ١٧: ٧؛ ١٩: ١٩؛ ٢٢: ٢٤؛ ٢٤: ٧). ويشجع الكنيسة على ممارسة التأديب لسبب أن لها الحق أن تدين من في داخلها، أمَّا الذين خارج الكنيسة فالله يدينهم (ع. ١٢- ١٣).

وتأكيدًا لما ورد هنا يكرر بولس الصفات ذاتها تقريبًا في ٦: ٩- ١٠، ويقول أن هؤلاء لا يرثون ملكوت الله. ونسأل: ما الفارق بين الزاني من خارج الإيمان والزاني الذي فصلته الكنيسة منها، أليس لهما مكان في الكنيسة؟ بلى، شأن الواحد شأن الآخر بشرط التوبة المـُختبرة (٦: ١٠).

٦: ١- ١١ الكنيسة تقضي في الشكاوى الصغرى

ينتقل بولس من التعليم عن حق الكنيسة في أن تدين أخلاقيًّا أعضاءها بفصلهم من شركتها في حال ارتكبوا شرورًا فاضحة، إلى التعليم عن حق الكنيسة في حل الشكاوى الصغرى بين أعضائها، مثل: عدم إيفاء قرض، أو اختلاس خلال عمل، أو خلاف بين أنسباء مؤمنين على اقتسام إرث والعمل على فضِّه، ويسميها بولس المحاكم الصغرى (ع. ٢)، أي التي تتعلق بمشاكل المعيشة في الحياة اليومية «أمور هذه الحياة» (ع. ٤). ولا يتطرق بولس إلى الشكاوى الكبرى مثل القتل والنهب والاغتصاب، فقضايا كهذه لها تشريع في الدولة ولها أحكام جزائية كالإعدام والسجن والتعويض الإلزامي، وهذه الأحكام الجزائية لا تقوم بها الكنيسة؛ حتى هذه الشرور التي لها أحكام جزائية من النادر جدًّا أن يرتكبها المسيحيون، ومن يخالف القانون منهم تحاكمه الدولة لا الكنيسة. فإن انغماس الكنيسة في أوروبا في القرون الوسطى في حل الشكاوى الكبرى حلل لها السعي إلى إقامة نظام يسيطر فيه الدين على الدولة. فقد قاوم يسوع دمج الدين بالدولة بقوله لمن جاء يطلب منه أحدهم مقاسمة أخيه الميراث: «من أقامني عليكما قاضيًا أو مُقسِّمًا . . . إنما تحذَّروا من الطمع» (لو ١٢: ١٤- ١٥)، وقصَر دوره على تعليم المبادئ الأخلاقية والقيَم التي ترفع المجتمع من انحطاطه.

ويدل استعمال بولس لكلمة أيتجاسر على أن سوْق المؤمنين بعضهم بعضًا إلى محاكم الدنيا أمر محظور عليهم أن يقوموا به، وكأنه انحراف كبير. فإن الذين سوف يدينون العالم (ع. ٢أ) والملائكة (ع. ٣أ) يُفترض بهم أن يكونوا جديرين بحل الدعاوى الصغرى بين المؤمنين (ع. ٢ب)، وعلاج الشكاوى القانونية الناشئة من تعقيدات الحياة اليومية ومشاكلها (ع. ٣ب). ويستغرب بولس

www.christianlib.com

(ع. ٥): ألا يوجد بينكم واحد حكيم يقضي بين إخوته؟ ثم يسخر بهم: أجلسوا الإخوة المحتقرين في الكنيسة قضاة، أي الإخوة الأقل شأنًا الذين بلا علم أو ثقافة أو دراية بتدبير الأمور، وخذوا ما يُدهشكم من تحقيق للعدالة (ع. ٤)، كما يمكن فهم المحتقرين بالذين تزدريهم الكنيسة، أي محاكم الدولة، فتصبح ترجمة العدد (ع. ٤) على النحو التالي: فإن كانت بينكم دعاوٍ في شؤون المعيشة، أتذهبون إلى الذين تزدريهم الكنيسة (قضاة الأرض)، ولدى هؤلاء تتاقضون؟ وفي الحالتين لإخجالهم يقول ما يقول.

وبصراحة كاملة يقول بولس إن مجرد حصول محاكمات بين المؤمنين لعيب فاضح وخسارة فادحة لهم (ع. ٧). فبدلاً من تحمل بعض الظلم أو بعض الخسارة من إخوتهم، ويحلّون مشاكلهم فيما بينهم، يجرُّون بعضهم بعضًا إلى المحاكم التابعة للدولة حيث يظلمون بعضهم بعضًا ويسلبون بعضهم بعضًا (ع. ٨). فعدا أن عدالة الدولة يشوبها بعض المظالم، فليس جميع القضاة مستقيمين ونزيهين «يُحاكم عند الظالمين» (ع. ١). وينذرهم في نهاية كلامه فيقول: إن الظالمين لا يرثون ملكوت الله (ع. ٩).

والخلاصة، على المؤمنين ألاَّ يذهبوا إلى محاكم الدولة لحل المشاكل الصغرى فيما بينهم، فهذه يجب أن يحلّوها بأنفسهم ولديهم من الحكمة وسعة الصدر ما يساعدهم على علاج قضايا الخلاف بينهم بمحبة وسلام. أمَّا بشأن الدعاوى الكبرى التي تتطلب إجراءات جزائية فلا ضير، بل من الواجب أن يقدِّم الواحد شكواه إلى محاكم الدولة، ولو ضد أخيه المسمَّى مؤمنًا، في سبيل تحقيق العدالة وردع الظالم من أن يستفيد من سماح المؤمنين وروحهم الغفورة، ويستغل طيبة الودعاء ويوقع الكثيرين في براثنه. فيحذر بولس في هذه الفقرة بشأن الشكاوى إلى المحاكم بين المؤمنين من الذهاب إلى المحاكم فقط في القضايا الصغرى كما سبق الشرح، ولا يمنع الذهاب إلى المحاكم في الدعاوى الكبرى الجزائية، فهذا الدور لا تلعبه الكنيسة، بل الدولة.

ويذكر بولس في العددين ٢ و٣ أن القديسين سوف يدينون العالم والملائكة، وحيث إن بولس لم يتطرق إلى هذا الموضوع في أي من رسائله، فقد لفَّ الغموض مقصده هنا. فيعود بنا استعمال بولس لعبارة «القديسين» إلى ما قاله دانيآل: «وأُعطي الدين (الدينونة) إلى قديسي العلي» (دا ٧: ٢٢، ٢٧)، فيدينون رؤوس المملكة الرابعة (دا ٧: ٢٣) التي حكمت العالم في ذلك الزمان. ويوجد إشارة قالها يسوع أن رسله الاثني عشر سوف يدينون أسباط بني إسرائيل (مت ١٩: ٢٨؛ لو ٢٢: ٣٠).

أمَّا من جهة أننا سوف ندين الملائكة (ع. ٣)، فثمة إشارة إلى دينونة تنتظر الملائكة الذين لم يحفظوا رئاستهم، ولربما هنا يكون دور للقديسين بالمشاركة في دينونتهم (يه ٦)، أمَّا الشياطين فقد تمت إدانتهم فالنار الأبدية معدة لإبليس وملائكته (مت ٢٥: ٤١). أتكون دينونة ومحاكمة للملائكة الأخيار؟ فقد جاء في سفر أيوب أن الملائكة غير كاملين ويرتكبون جهالات (أي ٤: ١٨)، فإذا افترضنا أن الله سوف يُحاسبهم على أغلاطهم، فلربما يفعل هذا من خلال المؤمنين عندما يملكون مع المسيح ويكون لهم حق القضاء. ولا تكون محاسبة الملائكة الأخيار لهلاكهم، بل لكيلا يحسب أحد من الخليقة أنه مُعفى من المحاسبة، سواء البشر غير المؤمنين (رؤ ٢٠: ١١– ١٥)، أم المؤمنون (رو ١٤: ١٠– ١٢)، أم الملائكة الأخيار (٦: ٣).

وعبارة «الظالمين» (ع. ١، ٩)، و«تظلمون» (ع. ٧– ٨)، هي من الاسم «*adikia*» في اللغة اليونانية، ومعناه عدم البر أو عدم العدل، ومن هنا ترجمته بالإثم (عدم البر) أحيانًا (رو ٣: ٥؛ عب ٨: ١٢؛ ١يو ١: ٩)، وبالظلم (عدم العدل) أحيانًا أخرى (رو ٩: ١٤؛ ٢كو ١٢: ١٣). فإذًا هذه العبارة تُترجَم حسب السياق، وحسنًا فعل المترجم هنا في الفصل السادس، وبخاصة في قسم الحديث عن المحاكم.

وحيث إن الكلمة «*adikia*» لها معنى الظلم ومعنى الإثم وهما فيها متجاوران، فيستعملها بولس بهذا المعنى المزدوج ويوسع معنى الظلم إلى مختلف أنواع الآثام في ٩ و١٠. ويضع قائمة بصفات الذين لا يرثون ملكوت الله مشابهة لما سبق وذكره في ٥: ١١؛ ولكنه هنا يزيد صفة «الفاسقين» وهي ترادف الزاني والخائن العهد (يع ٤: ٤). وكذلك المخنَّثين (المأبونين)، وهؤلاء برضاهم أو لقاء أجر (تث ٢٣: ١٧– ١٨) يستسلمون لمضاجعي الذكور. ويزيد بولس على تلك القائمة السارقين. ومن لا يرث ملكوت الله مستقبلاً لا يكون عضوًا في الكنيسة الآن؛ فالكنيسة التي هي ملكوت الله الآن. فتحرر البشارة بيسوع الإنسانَ من مختلف أنواع الآثام وقيود الشر «هكذا كان أُناس منكم» (ع. ١١)، ولكن غُسلتم، بل قُدِّستم، بل بُرِّرتم، باسم الرب يسوع المسيح وبروح إلهنا. وهذه الجملة الأخيرة وعباراتها تجعلك تشعر وكأنك تحضر احتفال معموديتهم.

٦: ١٢– ٢٠ الهرب من الزنا

وحيث إن ما يدور حول الزنا هو محور ما جاء في الفقرة السابقة (٦: ٩– ١١)، يتابع بولس في هذه الفقرة التأكيد على المؤمنين أن يهربوا من الزنا (ع. ١٨). ويستدرك بولس بقوله إن كنتم تحسبون، يا مؤمني كورنثوس، أن كل شيء يحل لكم، لأنكم ما عدتم تعيشون تحت الشريعة، فاعلموا أن ليس كل شيء يوافق الخير العام أو الخاص، وأن المؤمن لا يتسلط عليه شيء (ع. ١٢). وإذا كان المنطق الذي يقودكم يقول إن الغرائز يجب أن تُشبَع «الأطعمة

www.christianlib.com

للمعدة والمعدة للأطعمة» (ع. ١٣)، فهذا لا يستتبعه القول إن «الزنا للجسد والجسد للزنا». لا، الجسد ليس للزنا، إنما يستتبعه القول إن «الجسد للرب والرب للجسد» (ع. ١٣). فإن الغرائز فينا لها غايات سامية، مثل: الأكل، والتنفس، والحفاظ على الحياة، وممارسة الجنس، فجميعها غايتها الحفاظ علينا كبشر والحفاظ على نوعنا، ورتب الله أن تُشبَع غرائزنا من خلال مقاصده الجليلة لنا مثل: الزواج وإشباع الجسد والنفس. فإذا لم يسيطر العقل، هبة الله، على غرائزنا يمكن أن تنحرف إلى ما لا تُحمَد عُقْباه، سواء كان ذلك على صعيد الجسد، أم على صعيد النفس والروح.

يستخدم بولس لفظة «الرب» في العبارة «الجسد للرب والرب للجسد» ويريد بها الرب يسوع المسيح بالتحديد، بناء على قوله بعدها: «والله قد أقام الرب وسيقيمنا بقوته»، ويرغب بهذا القول أن يُشجع المؤمنين أنهم إن حافظوا على جسدهم للرب وحافظوا على أنفسهم من الزنا، فإن الله الذي أقام الرب يسوع سيقيمهم أيضًا بقوته (ع. ١٤). ويؤكد بسؤال بلاغي أن أجساد المؤمنين تنتمي عضويًا إلى جسد المسيح، فهُم الكنيسة، أي جسدُه، فهل يجوز أن يأخذ أحد المؤمنين جسدَه المعتبر أعضاء المسيح ويجعله أعضاء امرأة زانية (ع. ١٥)، وذلك بالتصاقه بها وتوحيد نفسه بها بالمضاجعة (ع. ١٦)؟ ويستنكر بولس الأمر بقوله: حاشا، حرفيًا: عساه لا يحدث، وتُعادل قولنا: لا سمَح الله! ومَعاذَ الله!

يَستند بولس في حجته للنهي عن الزنا إلى قول الكتاب «ويكونان جسدًا واحدًا (تك ٢: ٢٤)، بمعنى أن التصاق الزوجين بالمضاجعة يوحِّدهما، والتصاق رجل وامرأة غير متزوجين بالمضاجعة يوحِّدهما كذلك، فلهذا السبب لا يجوز أن المسيحي يرتكب الزنا لئلاَّ يوحِّد نفسه، وهو عضو المسيح، بامرأة زانية، فتكون النتيجة أنه بعمله هذا يوحِّد المسيح بزانية. فبدلاً من توحيد الجسد بزانية، يناشد بولس المؤمنين أن يلتصقوا بالرب يسوع روحيًا، فيكونون هم وهو «روحًا واحدًا»، في مقابل «الجسد الواحد» (ع. ١٧). ويبدو أن بولس يواجه فكرًا يقول إن الزنا لا يؤذي الجسد ولا يضرُّه بشيء، لذلك يرد بالقول: إن الذي يزني يُخطئ إلى جسده (ع. ١٨)، والمعنى هنا يتناول الإنسان بكامله لا جسده فقط. فإن الدعارة تتلف الجسد بالأمراض، والنفس بعقدة الذنب، وتُتلف علاقة الروح بالله.

ويحضُّ بولس المؤمنين في الختام على الهرب من الزنى لأن جسدهم هو هيكل للروح القدس الذي يسكن فيهم، والروح القدس هبة لهم من الله، وإنهم ليسوا لأنفسهم، بسبب أنهم اشتُروا بثمن، بفداء المسيح (ع. ١٩- ٢٠). فإذًا، أيها المؤمنون، «مجِّدوا الله بجسدكم».

الزنا

الزنا بصفة عامة هو الاتصال الجنسي غير الشرعي ولم تكن الحضارات الوثنية القديمة تؤثمه وخاصة بالنسبة للرجل، وفي الكلمة المقدسة يشير إلى أي تعايش طوعي لشخص متزوج مع أي أحد آخر غير شريكته/ شريكها الشرعي وقد حرم تحريمًا تامًا (خر ٢٠: ١٤، تث ٥: ١٨، إر ٧: ٩، ملا ٣: ٥) ووفق الشريعة هو الفعل الذي ينتهك حرمه تبعية امرأة لرجلها أو خطيبها (لا ٢٠: ١٠، تث ٢٢: ٢٢- ٢٤). ويميز العهد الجديد في لغته الأصلية (اليونانية) بين لفظين *pornoi* الإنجليزية *fornicators*، *moichoi* الإنجليزية - *adulterers* وباللغة العربية زناة، فاسقون (١كو ٦: ٩).

-عندما خلق الله ادم وحواء والدينا الأوائل أوجد علاقة الزواج. تلك العلاقة التي فيها يترك الرجل والديه ويتحد بامرأته ويكونان جسدًا واحدًا (تك ٢: ٢٤). لذا في كل من العهدين القديم والجديد يُنظَر للزنا كخطية خطيرة وآثارها مدمره.

- في مت ١٩: ٥- ٦ اقتبس الرب يسوع هذا العدد من سفر التكوين ووضح أن الخالق هو الذي صنع هذا الإعلان. ثم أضاف أنه نتيجة هذا الاتحاد لم يعد الزوج والزوجة اثنين بل واحدًا وأن هذا الجمع الإلهي لا يفرقه إنسان. فعلاقة زواج «الجسد الواحد» تعني ارتباط الرجل والمرأة معًا في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعاطفية والجسدية وبذلك يصبح الزنا بمثابة انتهاك وكسر لعلاقة الجسد الواحد هذه. وأيضًا يصبح كل سلوك جنسي خارج إطار الزواج متناقضًا ومتنافرًا مع قصد الله في وجوب قصر التعبير الجنسي على علاقة الزواج.

- في الأغلب الأعم في الفقرات الكتابية التي استخدمت فيها كلمة «زنا» كانت تشير إلى فعل جسدي إلا أن يسوع امتد بالمصطلح ليدخل إلى دائرة الفكر ونية القلب (مت ٥: ٢٧ - ٢٨) حيث إن فعل الزنا يتم في أغلب الأحيان بسبب منح الجاذبية المحرمة مساحة للتحرك من دائرة الفكر إلى دائرة الفعل، لذا عرف يسوع نظرة الاشتهاء كرأس جسر لفعل الزنا. فهذه النظرة المشتهية تمثل الخطوة الأولى في رحلة عدم الولاء للشريك. خطية الزنا تبدأ في القلب والعقل (مت ١٩: ١٥، مر ٧: ٢١). فما أخطر أن يترك الشخص عينه وخياله مركزًا على الجاذبية الجنسية لشخص آخر (عد ٦: ٢٣-٢٩)، (٢بط ٢: ١٤) حيث تتوالى مراحل نزول السلم حتى ساحة الممارسة الجسدية الفعلية للزنا. وتجنبا لهذه الخطيئة (١كو ٦: ٩) يوصي الرسول بولس بوجوب أن نجد في المحبة المنبع الحقيقي للأمانة (رو ١٣: ٩ -١٠) وبذلك نتجنب تدنيس قدسيه الزواج (عب ١٣: ٤).

www.christianlib.com

علاقة الزنا بالبغاء المقدس في الوثنية

يستخدم الكتاب المقدس «الزنا» بمعنى روحي في إشارة إلى عدم أمانة الشعب في حفظ العهد مع الله مما قادهم إلى التحول من عبادة «يهوه» إلى عبادة آلهة أخرى. الأصل في هذه الاستعارة يقع في البغاء الطقسي المصاحب لبعض العبادات الوثنية.

في الرغبة الشديدة للتأكد من خصوبة الأرض الأمر الذي يعني وفرة المحاصيل كانت بعض الحضارات القديمة تلزم أهلها بالارتباط باتصال جنسي مباشر مع عاهرات مقدسات لخدمة إله الخصوبة هذا. وبذلك يتكون لديهم اليقين أن الأرض ومنتجاتها ستأتي بغلة وافرة. الأمر الذي منح العاهرات المقدسات قدرًا وافرًا من الاحترام بسبب دورهن المفترض في جلب الخير للأرض. هذه الممارسة من البغاء المقدس كانت تمتد من بابل إلى قبرص ومن اليونان إلي كنعان حيث كانت تمثل بصفة خاصة سمه هامة لعباده «البعل».

لذا كان هناك تحذيرًا إلهيًا مبكرًا ومتكررًا لموسى من الخطر الحقيقي الذي سيتعرض له شعب إسرَايل من خلال الساكنين الأصليين للأرض التي كان الرب يقودهم إليها (حز ٢٣: ٢٣، ٢٤، ٣٣، ٣٤: ١٢ - ١٦، لا ١٨: ٣، ٢٠: ٢٣، تث ٧: ١-٥، ١٢: ٢٩ - ٣١، تث ٢٩: ١٦ -١٨) ولقد توقع الرب أن الشعب سيزنون مع آلهة أُخر وبالتالي يقع غضبه عليهم (تث ٣١: ١٦ - ٢١). وقبل أن يدخل الشعب إلى الأرض الموعود بها وهم بعد في البرية أيام موسى قدم ذبائح للأوثان وزنوا ورائها (لا ١٧: ٧، تث ٣٢: ١٥ - ١٨). قدموا ذبائح للبعل وعبدوه وتم إغوائهم وانجذابهم لبنات موآب ومارسوا لا أخلاقيات جنسية معهن (عد ٢٥: ١-٣، تث ٤: ٣، مز ١٠٦: ٢٨، هو ٩: ١٠). قدموا الذبائح إلى «مولك» (لا ٢٠: ٥). تحولوا إلى التوابع والأرواح (لا ٢٠: ٦). لذا كان هناك حظر واضح في شريعة موسى علي الإسرَائيليات أن يصبحن عاهرات مقدسات أي يمارسن البغاء المقدس (تث ٢٣: ١٧)

وكتأكيد لعمق واتساع تأثير هذا النوع من البغاء المقدس كممارسة مرتبطة بعبادات وثنية، أنه حتى بعد الاستيلاء علي كنعان بواسطة يشوع مع بقاء بعض المجتمعات الكنعانية في الأرض أصبحت هذه التجمعات بمثابة فخ تجربة لشعب إسرَايل (قض ١: ٢٧-٣٦، ١ أخ ٥: ٢٥) فكان من السهل عليهم إقناع الشعب أن «بعل» هو إله الأرض ومصدر الخصب والخير وليس «يهوه» حتى وصل بالشعب إلى الإيمان بأنه بالاتصال الجنسي مع واحدة من البغايا المقدسات سيتشارك في الألوهية. وأصبحت بالتدريج ومرور الزمن عبادة البعل وما يرتبط بها من ممارسات جنسية مشكلة حقيقية أمام الأنبياء ورجال الله في إسرَايل الذين كانوا في مواجهة معها ورفض متكرر لها (٢أخ ٢٥: ١٤ - ١٦) وعلى سبيل المثال مواجهه إيليا النبي مع أخآب ملك إسرَايل وأنبياء البعل علي جبل الكرمل (١ مل ١٨: ١٦ - ٤٦) وتحطيم ياهو ملك إسرَايل لعباده البعل بها (٢مل ١٠: ١٨ - ٢٨)

لهذا وكما سبق القول كان هناك أمر إلهي وتحذير من الزواج من بنات الأرض لئلا تقودن أزواجهن إلى عبادة آلهتهن (خر ٣٤: ١٥ - ١٦، تث ٧: ٤). ولعله أوضح مثل لهذا التأثير المدمر هو ما تم مع الملك سليمان الذي بدأ حكمه بطلب الحكمة الإلهية والذي تمم الله به العديد من الإنجازات العظيمة لشعبه وتم بناء الهيكل في عهده وكانت في وقته مملكة إسرَايل في أوج مجدها وعظمتها وغناها واستقرارها لكن في عدم طاعته لهذه الوصية وتهاونه فيها وزواجه من العديد من الزوجات الأجنبيات حولن قلبه نحو آلهتهن (١مل ١: ١-١١) لذا كان نحميا بعد العودة من السبي مدركًا تمامًا لهذا الخطر فاتخذ موقفًا شديد الحسم تجاه هذا النوع من الزواج متخذًا مما حدث مع سليمان عبرة وعظة (نح ١٣: ٢٣ - ٢٧).

الزنا في معناه الروحي

إن مشاركة شعب إسرَايل في البغاء المقدس وفق مفاهيم الأمم المحيطة قاده إلى الوثنية. فكما كانت تستلزم الطقوس الدينية الكنعانية الاتصال الجنسي بالعاهرات المكرسات لهذه الخدمة، كذلك رأى أنبياء العهد القديم ارتداد إسرَايل عن «يهوه» الإله الحقيقي بمثابة زنا روحي (إش ٥٧: ٣-٩). حيث نتج عن الزنا الفعلي للعديد من شعب إسرَايل مع البغايا المقدسات بدء استخدام لغة الزنا الروحي والتي تعبر عن تحول طريق إسرَايل من يهوه إلى آلهة غريبة.

إن العهد الذي ينبغي أن يجمع بين الإنسان والله برباط محبة أمينة مستمرة يقدمه الأنبياء في رمز الزواج غير القابل للفسخ (هو ٢: ٢١ -٢٢، إش ٥٤: ٥ -٦) لذا فإن خيانة الشعب للرب هي بمثابة زنا وفجور (هو ٢: ٤) لأن فيها يستسلم الشعب لعبادة الأصنام كما تستسلم الزانية لغير زوجها لتحقيق مصلحة ذاتية (هو ٢: ٧، ٤: ١٠، إر ٥: ٧، ١٣: ٢٧، حز ٢٣: ٤٣ -٤٥).

يقدم الأنبياء صورًا حية واضحة عن الجمع بين عبادة البعل وعشتاروث وعبادة الرب «يهوه» فقد صور إرميا النبي علاقة شعب إسرَايل مع الله في الخروج كمثل عروس تحب زوجها وتبعته خلال الصحراء لكنها عادت وتحولت عنه لآلهة أخرى لا تستحق (٢: ٥، ٢، ٨، ١١، ١٧ -٣٣، ٣: ١ -٢١، ١٣: ٢٥ -٢٧، ٣١: ٣٢) والنبي حزقيال أيضًا وصف إسرَايل كعروس ليهوه ثم أصبحت زوجة متعددة الأزواج وزانية (حز ٢٣، ١٦) وهوشع النبي الذي تنبأ قبل الغزو الأشوري للملكة الشمالية ومن خلال زواجه من امرأه زانية في طاعة لوصية إلهية قدم صورة تشبيهية حية لعلاقة الله المحب مع إسرَايل غير الأمينة (١: ٦، ٨، ٩، ٢: ٢، ١١: ٨- ٩، ١: ٧، ١٠، ١١، ٢: ١٤- ٢٠، ٢٣).

www.christianlib.com

وفي كتابات العهد الجديد يعود الرب يسوع يستخدم نفس الصورة التشبيهية في إعلان رفضه لقلة الإيمان فيدعو القوم العديمي الإيمان الذين يطالبون بالمعجزات بأنهم «جيل فاسق» (مت ١٢: ٣٩، ١٦: ٤، مر ٨: ٣٨). ولقد تم تصوير المسيح كعريس وشعب الله كعروس (مت ٩: ١٥، ٢٥: ١–١٠، مر ٢: ١٩–٢١، لو ٥: ٣٤–٣٥، لو ٣: ٢٩، ٢كو ١١: ٢، أف ٢: ٢٢–٣٣، رؤ ١٩: ٧، ٢١: ٢، ٢٢: ١٧) والرسول يعقوب يصف كل مساومة بين محبة الله ومحبة العالم بأنها «فجور» (يع ٤: ٤).

وفي النهاية فكرة الزنا الروحي فكرة ذات دلالة لاهوتية كبيرة فهي تلفت الانتباه بقوة لطبيعة العلاقة الصحيحة مع الله كعلاقة لصيقة يفيض فيها بالمحبة العظيمة تجاه شعبه والتي فيها لا يقبل ولا يرضى بوجود آخر معه.

الزنا وبالرغم من اختلاف الحضارات في النظر إليه والتعامل معه تهويلًا أو تهوينًا واستهانةً يبقي وفق المفهوم الكتابي خطية تكسر وتشوه العلاقات الإنسانية كما أرادها الله.

لنحذر كل الحذر التهاون والتساهل في ترك الأبواب المفتوحة لالتقاط العين والذهن ما يثير الشهوات ليبدأ معها سلم الانحدار إلى الزنا الفعلي.

المراجع

بباوي، وليم وهبة، تحرير. **دائرة المعارف الكتابية**. الجزء الرابع. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٢.

اليسوعي، فاضل سيداروس، وسليم دكاش اليسوعي. **معجم اللاهوت الكتابي**. بيروت: منشورات دار المشرق، ١٩٨٦.

Alexander, T. Desmond; Brian S. Rosner. *New Dictionary of Biblical Theology*. Downers Grove: InterVarsity Press, 2000.

Elwell, Walter A. *Evangelical Dictionary of Theology*. Grand Rapids: Baker Academic, 2001.

القس محسن منير

٧: ١–٤٠ إرشادات بشأن الزواج والخطوبة والعزوبة

يُعتبر الفصل السابع في رسالة كورنثوس الأولى من الفصول الصعبة للغاية، سواء كان ذلك بسبب تضارب الآراء حول الخلفية التاريخية للمواضيع التي يُعالجها الرسول بولس فيه، أو بسبب صعوبة الفهم الصحيح لبعض ما جاء في تعليمه، فثمة عبارات مبهمة في إنشائه وتعسُر ترجمتها وتفسيرها. وأفضل مقاربة لهذا الفصل هو شرحه بشكل جار، ثم تقديم الخلاصات المستنتجة مع التطبيقات العملية.

ويكتب بولس هذا الفصل إجابة عن أسئلة أرسلها بعض من في كنيسة كورنثوس طلبًا لنصحه في شؤون تتعلق بالزواج (ع. ١)، فيسيل قلمُه نُصحًا وإرشادًا، ولربما تناول أمورًا في نصحه لم يكتبوا له بشأنها، إنما كان يعرفها بسبب ما يتواتر إليه من أخبار. ومن يتفحَّص المواضيع المعالَجة في هذا الفصل يشعر وكأن الرسول يكتب دليلاً مُجدوَلاً لشؤون الزواج يجد فيه كل من يسأل جوابًا لمشكلته.

فيبدأ بولس كلامه بعبارة: «حسن للرجل أن لا يمسَّ امرأةً» (ع. ١)، وفيها تلطيف كي لا يستعمل لفظة المضاجعة، والمعنى النهائي لها: حسن للرجل ألاَّ يتزوج. ويصعب تحديد صاحب هذا القول: أهو مبدأ طوَّره بعض القادة «الأنبياء» في كنيسة كورنثوس في غياب بولس منعوا بموجبه المؤمنين من الزواج، وهم الآن يسألونه إن كان موقفهم هذا صحيحًا؟ أم هو موقف بولس الشخصي من موضوع الزواج البارز في عددي ٧ و٣٨؟ إذا فُهم القول أنه يَنهى عن الزواج بشكل مُطلق، فلا يكون هذا القول لبولس، فإن بولس، رغم كونه يُفضِّل العزوبة على الزواج (ع. ٣٨، ٤٠)، ويعتبرها دعوة خاصة (ع. ٧ب)، غير أنه يسمح بالزواج ولا يُعارضه (ع. ٩، ٢٨، ٣٨). وإذا فُهم أن كلمة «حسن» في مطلع القول تقع في باب التفضيل، يمكن نسبة هذا القول إلى بولس، فإن كلامه يرشح بهذا المعنى كما ذكرنا آنفًا. لا يُمكن لبولس بهذا القول (أو يسمح لغيره) أن يمنع المؤمنين من الزواج، فإنه بذلك يُعارض قول الله: «ليس جيدًا أن يكون آدم وحده» (تك ٢: ١٨).

٧: ٢–٧ واجبات الزواج بين طرفَيْن مؤمنَين ويقول بولس إنه يُفضِّل العزوبة (ع. ١) ولكن «لسبب الزنا»، أي تلافيًا للوقوع في شهوات، وارتكابات جنسية متنوعة، يَنصح الرجلَ أن يتزوجَ وكذلك المرأة «ليكن لكل واحد قرينه» (ع. ٢). وخوفًا من حصول أي تجاوزات لحدود الأمانة الزوجية، يَطلب من الزوجين أن يوفي الواحد منهما ما يتوجب عليه للآخر (ع. ٣). إن من الضروري أن يُشبع الواحد حاجة الآخر لأن جسد الرجل حق لزوجته، وجسد المرأة حق لزوجها، وهنا يستعمل بولس كلمة قوية «تسلُّط» من سلطة، فلا يجوز في هذه الحالة أن يمنع الواحد جسده عن الآخر (ع. ٤). ويتابع بولس فيقول: «لا يسلب أحدكم الآخر»، وهنا يسلب بمعنى لا يحرم الواحد منكما نفسه من الآخر، أي لا يمتنع عن إيفاء ما وجب عليه (ع. ٣)، وعدم الإيفاء سلب.

متى يُسمح أن يمتنع الواحد عن الآخر؟ يُسمح في حالة التفرغ للصلاة، شرط اتفاق الزوجين على هذا الترتيب، وشرط أن يكون لمدة محدودة «إلى حين» (ع. ٥). فلم ترد كلمة الصوم مع الصلاة في أقدم المخطوطات اليونانية العريقة، إنما وردت في مخطوطات متأخرة جدًّا ومنها ما ينتمي إلى أسرة المخطوطات البيزنطية، ولربما بتأثير من يوحنا فم الذهب ورهبان ذلك العصر. ويذكر بولس سبب

www.christianlib.com

تحديد مدة انقطاع الواحد عن الآخر «لكيلا يجربكما الشيطان بسبب جموح أهوائكما»، أو عدم انضباطكما (عدم نزاهتكما، ع. ٥).

ويدور جدل حول عبارة «أقول هذا» الواردة فيما يلي: «وإنما أقول هذا على سبيل السَّماح لا على سبيل الأمر» (ع. ٦). فهل يشير بها إلى ما يأتي بعدها، أم إلى ما جاء قبلها مباشرة بشأن «الامتناع المؤقت الواحد عن الآخر»، أم إلى ما جاء في عدد ٢ «ليكن لكل واحد زوجة ولكل واحدة زوج»؟ يبدو أنه يشير إلى عدد ٢ لئلا يُفهم من كلامه أن الزواج أمر تلزم إطاعته، بينما رأيه في عدد ٧ أن لكل واحد موهبة من الله في أمر الزواج أو عدمه، إذ يقول: «فأنا أريد أن يكون جميع الناس مثلي؛ ولكن لكل واحد موهبته الخاصة من الله، فبعضهم له هذه، وبعضهم له تلك».

والخلاصة هنا هي: إن انتظام الحياة الجنسية بين الزوجين والمتعة المرافقة لها، تبني علاقة حميمة نفسية وروحية تبعًا لذلك، وتحمي الطرفين من أي رغبة في طرف آخر، قد تنشأ بسبب الحرمان.

٧: ٨– ٩ غير المتزوجين والأرامل ينصح بولس غير المتزوجين (صيغة المذكر) والأرامل (صيغة المؤنث) أن يبقوا مثله من دون زواج وهذا خير لهم (ع. ٨). فقد يكون غير المتزوجين هم أرامل ذكور، لأنه لا يوجد في يونانية العهد الجديد لفظة «أرمل» بصيغة المذكر، وكأن بولس يعني بهذه العبارة: أقول للأرامل رجالاً ونساءً.

ثم يضيف بولس: «أمَّا إذا لم يضبطوا أنفسهم (را. شرح، ع. ٥)، فليتزوجوا، لأن التزوُّج أفضل من التحرُّق» (ع. ٩). وفسَّر ترتليانوس «التحرُّق» بمعنى الاحتراق بنار الجحيم؛ ولكن المعنى المباشر هو التحرُّق بنار الشهوة. أتكون غاية الزواج إطفاء نار «التحرُّق» الجنسي فقط؟ أما يوجد شوق لدى الإنسان للحياة المستقرة عاطفيًّا ونفسيًّا وأُسرويًّا واجتماعيًّا، ولإشباع النفس بالأبوة والأمومة، وبالصداقة والشركة والتكامل والإعانة والعيش معًا نفيًا للوحدة والوحشة (تك ٢: ١٨)؟ يبدو أن بولس مهتم هنا بمعالجة ناحية واحدة تناسب الوضع المتفلت جنسيًّا في مدينة كورنثوس، أما صورته العامة والأبهى عن الزواج فنجدها في أف ٥: ٢٢– ٣٣. وسيعود بولس إلى الحديث عن العزَّاب في الأعداد ٢٥– ٢٨؛ وعن الأرامل في الأعداد ٣٩– ٤٠.

٧: ١٠– ١١ لا طلاق ولا فراق بين المتزوجين يعالج بولس في هذه الفقرة موضوع الطلاق، هل هو جائز؟ وجاء في النص: «أمَّا المتزوجون، فأوصيهم، لا أنا، بل الرب، ألاَّ تفارق المرأة رجلها، –وإن فارقته، فلتبقَ غير متزوجة أو فلتصالحْ رجلها– وألا يترك الرجلُ امرأته». ويتكلم بولس هنا بوصية نطق بها الرب يسوع: الذي جمعه الله لا يفرِّقه إنسان، ومن طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها (مر ١٠: ٩– ١٢). فإن عبارة «تفارق المرأة»، وعبارة «يترك الرجل» كلتاهما يشير إلى الطلاق، وفي حدهما الأدنى الهجر. ويشير بولس في رسائله إلى أنه تلقَّى تعليمه من الرب (١كو ١١: ٢٣؛ ٩: ١٤؛ ١٤: ٣٧؛ ١تس ٤: ١٥)، وعندما كان يُدلي برأيه يشير إلى ذلك «أنا، لا الرب» (ع. ١٢، ٢٥، ٤٠).

إن عبارة «وإن فارقته»، أي طلَّقته، ليس من الضروري أن تشير إلى أن الطلاق حصل وهي مؤمنة، فقد تكون طلقت قبل إيمانها بالمسيح. وفي مثل هذه الحالة يجب ألاَّ تتزوج، بل أن تصالح زوجها الذي طلقته، إذا رضي الرجوع إليها بعد أن أصبحت مسيحية (ع. ١٢– ١٣). وإذا كان بولس يخاطب أهل الإيمان، فيكون كلامه من باب الافتراض النادر حدوثه. فإن الزواج وأحكامه قائمة منذ بدء الخليقة، وتُحترم قوانين الزواج وحدوده من قِبل المسيحي، أكان أجراه قبل صيرورته مسيحيًّا أم بعد ذلك.

٧: ١٢– ١٦ مصير الزواج في حال إيمان أحد الطرفين في ذلك العصر الباكر من حياة الكنيسة، كان اليهود والوثنيون يُقبلون إلى الإيمان المسيحي، وبعض من هؤلاء متزوجون أو متزوجات. ويحدث أن أحد الزوجين يُقبل إلى الإيمان بالمسيح والآخر يبقى غيرَ مُبالٍ أو مقاومًا، وما كان الأمر بالشيء الهيِّن. فقد كانت المسيحية مضطهدة، وقد يشعر زوج المسيحية أو زوجة المسيحي أن حياتهما مهددة بسبب قرينيهما ومعتقده، ويرغب في الطلاق أو الانفكاك عن كل ما يتعلق بالمسيحية. وكذلك القرين المسيحي قد يشعر بثقل العيش مع إنسان من غير دينه، أو معتقده، ولا يرغب أن يشارك قرينه عبادته فهو لا يرتضيها، فكيف يتصرف المسيحي في مثل هذه الحالة، وما هو الموقف الذي يتخذه من شريك الحياة؟

هذه المسألة الناشئة في حياة المسيحيين هي التي يعالجها بولس هنا، وحيث إنه لا يوجد كلمة من الرب يسوع في هذا الموضوع، يقول بولس هذا رأيي «أنا، لا الرب» (ع. ١٢). وينصح المؤمن بألاَّ يترك زوجته غير المؤمنة إذا كانت ترتضي العيش معه، وكذلك المؤمنة (ع. ١٣)، فإن الله يكره الطلاق (ملا ٢: ١٦). ومقارنة نصيحة بولس هنا بالموقف المتشدد لكل من عزرا ونحميا القاضي بطرد الزوجات اللواتي اتخذهنَّ بنو إسرائيل نساء لهم من الشعوب الغريبة (عز ٩: ٢ و١١– ١٤؛ ١٠: ٢– ٣، ١٠– ١١، ١٨– ١٩ و٤٤؛ نح ١٠: ٣٠؛ ١٣: ٢٣– ٣٠)، يدل على روح التسامح التي تسم المسيحية في تعاملها مع غيرها من الأديان، وتفسيرها الصحيح لصورة الله في الإنسان (تك ١: ٢٧).

وتتأسس حجة بولس لثبات الزواج رغم تحوُّل واحد من الزوجين إلى المسيحية على أن الزوج غير المؤمن قد قُدِّس بالزوجة المؤمنة، والزوجة غير المؤمنة قد قُدِّست بالأخ المؤمن (ع. ١٤)، إلاَّ إذا رغب غير المؤمن بالطلاق، فيُحرم من هذا الامتياز. وقد يكون وراء فكرة تقديس غير المؤمن بالمؤمن اعتبار الطرفين قد

www.christianlib.com

صارا «جسدًا واحدًا» بالزواج، وبسبب هذا الاتحاد يقدِّس المؤمنُ غيرَ المؤمن على غرار «إن كان الجذع مقدسًا، فكذلك الأغصان» (رو ١١: ١٦). وليس من الضروري اعتبار تقديس الآخر حصل غصبًا عنه، أو رغم إرادته، لأن الآخر قد يبقى على دينه غير المسيحي، ولكنَّ الزوجين يكونان تحت الرضى الإلهي، بسبب الطرف المؤمن. أمَّا استعمال الفعل «قدَّس» فقد يعود مصدره إلى الزرع المقدس (بالعبرية: زراع هـ ق دي ش، عز ٩: ٢).

فهم بعض علماء الكنيسة من عبارة «أن يرتضي المؤمن ببقائه متزوجًا من غير المؤمن، وأن المؤمن في الزواج يقدِّس غير المؤمن» (ع. ١٣- ١٤)، أنها تصريح لزواج المؤمنين بغير المؤمنين، ومن هؤلاء أكليمندُس الإسكندري. وأكَّد غيرهم مناقضًا، ومنهم ترتُليانُس، أن هذه العبارة معنيَّة بالذين كانوا متزوجين، فالوضع مختلف، ولا يجوز أن يتزوج المؤمن سوى من مؤمنة «في الرب فقط» (ع. ٣٩).

لا يقدِّس الشريك المؤمن في الزواج شريكه غير المؤمن فقط، بل يقدِّس أيضًا الأولاد. ويزيد بولس بقوله: «وإلاَّ كان أولادُكم غيرَ أطهار، أمَّا في الواقع فإنهم قديسون» (ع. ١٤ب). وربما في كلام بولس هنا جواب لتساؤلات الأزواج المؤمنين حول هوية أولادهم، ونرجِّح أنهم في سن الطفولية أو الحداثة، أيُعتبرون أطهارًا فيما أحد الوالدَين غير مؤمن؟ ويعتبر بولس أن قداسة المؤمن (الرضى الإلهي عنه) تنتقل إلى أولاده، ولاسيما أن أولاد المسيحي، أو المسيحية، يربون في أجواء الإيمان المسيحي بما فيها من التعليم والترتيل والصلاة، بحيث يُصبح كل ولد لمسيحي مسيحيًّا بالإمكان، أو مشروعَ مسيحيٍّ.

يتمسك المؤمن بعهد زواجه ولا ينقضه، ولكن إذا رغب شريك الزواج غير المؤمن أن يفارق، بمعنى يُطلِّق، فمتاح له أن يطلِّق فهذا شأنه (ع. ١٥). في كلام بولس هنا وفي عدد ١٦، تلميح بوجوب موافقة الفريق المسيحي في الزواج على إطلاق الشريك غير المؤمن بكتاب طلاق يوقعه ليتمكن الشريك الذي يُفارق من اعتبار نفسه قانونيًّا مطلَّقًا ومتابعة حياته كما يشاء. وحسب القوانين الرومانية واليهودية في ذلك الزمان، ينبغي توقيع الفريقين عند الزواج وتوقيع الفريقين عند نقضه. ويرغب بولس أن يُريح الضمائر المتعبة الراغبة في المحافظة على وضعية الزواج قائمة رغم تخلِّي الطرف غير المؤمن، فيقول: فليفارق غير المؤمن، ليس الأخ، أو الأختُ، مُستَعبدًا في مثل هذه الأحوال (ع. ١٥). ويدور جدل حول العبارة «ليس مستَعبدًا»، فبعضهم يعتقد أنها تعني «أن المؤمن ليس أسير زواجه السابق إذا نقضه غير المؤمن، بل يُمكنه، إذا فارقه غير المؤمن، أن يتزوج ثانية من مؤمن»؛ بينما يعتقد غيرهم أنها تعني «أن المؤمن غير مستعبد أن يبقى مع شريكه غير المؤمن، إذا رغب هذا أن يُفارق»، وبالتالي على المؤمن أن يسمح لقرينه أن يُفارقه بتوقيع كتاب طلاق له. ويؤيد السياق المعنى الثاني، وبخاصة قول بولس «فما أدراك، أيها المؤمن، إنْ كنت تُخلِّص شريكك غير المؤمن (ع. ١٦)، ثم قوله «إن الله دعانا في السلام» (ع. ١٥ب)، الأمر الذي يدل على ضرورة تجنب الدعاوي القانونية وإبقاء العلاقات جيدة، أو مقبولة، بين المؤمن والطرف المفارق.

ويتناغم المعنى الثاني أعلاه مع الترجمة غير المتفائلة للعدد ١٦ التي تقول: «فما أدراك، أيتها المرأة، إنْ كنت تُخلِّصين زوجَك؟ أو ما أدراكَ، أيها الرجلُ، إنْ كنتَ تُخلِّصُ زوجتَك؟» وهناك إمكانية لترجمة ع. ١٦ ترجمة متفائلة ولكنها أقل احتمالاً: «فما أدراك، أيتها المرأة، فقد تُخلِّصين زوجَك؟ أو ما أدراكَ، أيها الرجلُ، فقد تُخلِّصُ زوجتَك؟» ويقع التشديد في الترجمة الأولى غير المتفائلة على تسهيل معاملات فراق الشريك غير المؤمن إذا أصر على الفراق. ويقع التشديد في الترجمة الثانية المتفائلة على ترغيب القرين المؤمن أن يقبل القرين غير المؤمن ولا يتركه، إذا كان الأخير يرتضي البقاء زوجًا للطرف المؤمن.

إن شرح العبارة «ليس الأخ أو الأخت مستعبدًا في مثل هذه الأحوال» (ع. ١٥) وقد ورد أعلاه، يرد فيه أن بولس يقصد بها، برأي بعضهم، أن المؤمن حر لأن يتزوج ثانية إذا قرينه غير المؤمن طلَّقه، كما يرى غيرهم أن المؤمن الذي طلقه قرينه لا يجوز أن يتزوج (مر ١٠: ٩- ١٢). غير أن السؤال حول زواج المؤمن ثانية إذا طلقه قرينه بسبب إيمانه بالمسيح، أو لأنه الجانب البريء، يبقى مفتوحًا، وهناك سماح به في هذا الفصل (ع. ٢٧- ٢٨). فإن الجانب البريء الذي لم يعمل على هدم زواجه، إنما تُرك وهُجر من الجانب الآخر، بسبب الإيمان أو أي مسألة أخرى، يجب ألاَّ يُهمَل كنسيًّا ورعائيًّا، بل يجب أن تفكر الكنيسة بإيجاد حلول لمشاكل مثل هذه. هل يُعقَل، بحجة أن الزواج لا يُحَلُّ، أن يُحرم إنسان في مطلع العمر أو وسطه، مثلاً، من حياة زوجية مستقرة، فقط لأن شريكه الذي لا عهد له، تركه أو هجره أو خانه أو طلقه، ولا عاد يرغب في الرجوع إليه؟ فإن المحاكم الكنسية مليئة أدراجها بدعاو لا حصر لها تتعلق بالزواج ولشتَّى الأسباب. ومن هنا يجب أن يبقى باب التشريع مفتوحًا في المسيحية لإصدار قرارات فيما يستجد من المسائل التي لم يأت العهد الجديد على ذكرها بضوء روح يسوع وأنوار العهد الجديد.

٧: ١٧- ٢٤ السلوك حسب الدعوة التي قسمها الله لكل واحد

يُعتبر هذا القسم من الفصل السابع فقرة مُعترضة، تبتعد عن قائمة النصائح بشأن الزواج والطلاق، ولكنها بلا شك تؤسس لما يقوله الرسول في هذا الفصل وما يرغب في التشديد عليه، ويؤكد بولس

www.christianlib.com

أنه يُعلِّم هذا الأمرَ بلهجة الأمر في جميع الكنائس (ع. ١٧ب) وهو: فليبقَ كل واحد في الدعوة التي دُعي فيها (ع. ٢٠). فالذي دعاه الله إلى الإيمان بابنه يسوع، وكان متزوجًا، فليحافظ على زواجه (ع. ١٢)، إلاَّ إذا قرينه أراد الانفصال (ع. ١٥). ومن دعاه الله إلى الإيمان، وكان غيرَ متزوج، فليبقَ بلا زواج «فكما قسم الرب لكل واحد، كما قد دعا الله كلَّ واحد، هكذا ليسلكْ» (ع. ١٧). وهذه هي الغاية من هذه الفقرة المُعترضة.

يقدم بولس صورتين إيضاحيتين ليشرح وجهة نظره، وكلتاهما يمثل ما كان يحدث بكثرة في زمن بولس. الصورة الأولى: إقبال الوثنيين غير المختونين واليهود المختونين إلى الإيمان بالمسيح. فيقول للوثني الأغلف، أي غير المختون الذي يصبح مسيحيًّا: لا تَختتن. ويقول لليهودي المختون: لا تَصر أغلفًا، بمعنى لا تتظاهر بأنك غير يهودي الأصل (ع. ١٨). ويُقال أن بعض المختونين من الذين صاروا مسيحيين كانوا يشدُّون ما بقي من الغلاف لكي يُغطوا ختانهم. فإن الأمر الأهم من الختان أو عدمه هو الخليقة الجديدة (غل ٦: ١٥)، وحفظ وصايا الله (ع. ١٩).

والصورة الثانية: إقبال العبيد الأرقَّاء إلى الإيمان بالمسيح في مجتمع ينقسم إلى طبقة العبيد وطبقة الأحرار. وطبقة العبيد لم تكن بالضرورة من السود، بل كانت من الجنود أو الأهالي الذين يقعون في الأسر خلال الحروب التي تشنها الجيوش الرومانية في أي مكان سواء في أفريقيا، أو أوروبا، أو آسيا. وكان قائد الحملة العسكرية الروماني يسوق معه الأسرى في طريق العودة في موكب احتفالي يدخل فيه المدن الرئيسة حتى يبلغ روما العاصمة. وهناك تبدأ سوق النخاسة لبيع الأسرى رجالاً ونساءً فيصيرون عبيدًا لمن يشتري ويصبحون من أملاكه الخاصة.

ويقول بولس لأي من هؤلاء العبيد الذين آمنوا: أدُعيت إلى المسيح وأنت عبدٌ؟ فلا يهمك! ابقَ في وضعك كعبد، لأن من دعاه الرب وهو عبدٌ، صار حرًّا للرب (ع. ٢١– ٢٢). فلقد افتداكم المسيح، فأنتم تخدمون المسيح الرب، ولو كنتم تخدمون البشر (ع. ٢٣). فلقد عالج بولس وبعبارات مماثلة مسألة العبيد (أف ٦: ٥– ٨؛ وكو ٣: ٢٢– ٢٥). ولا يترك بولس قضية البقاء في العبودية بلا تعليق، فالمسألة تضرب عميقًا في الوجدان الإنساني، ولا بد من نصيحة تحترم النظام السائد ولا تُغمط حرية الإنسان حقها. فإن عبارة «فاستعملها» (ع. ٢١ب) مُحيِّرة، لذلك يبرز في تفسيرها معنيان: الأول: «بل وإن أمكنك أن تصير حرًّا، فاستفد (فاستعمل) بالأولى من وضعك الحالي». ومعناها: اقبل وضعك كعبد، وفيما تعمل على تحرير نفسك، استفد كليًّا من الوضع الذي أنت فيه ريثما يتحقق طموحك. والثاني: «إن أمكنك فعلاً أن تصير حرًّا، فبالأولى أن تغتنم الفرصة». وفي القولين لا يبدو بولس مؤيدًا لنظام العبودية، بل مشجعًا على الحرية (ع. ٢٣)، وفي الوقت ذاته لا يتمرد بعنف على نظام تعمل به الدولة (ع. ٢٤).

وفي هذه الفقرة (ع. ١٧– ٢٤) يكرر بولس ثلاث مرات المبدأ: «فليبقَ كل واحد في الدعوة التي دُعي فيها» (ع. ٢٠)، «فكما قسم الرب لكل واحد، كما قد دعا الله كلَّ واحد، هكذا ليسلكْ» (ع. ١٧)، «فليبقَ كل واحد . . . أمام الله في تلك الحال التي دُعي فيها». ويقول أنه يأمر بالعمل بهذا المبدأ في جميع الكنائس (ع. ١٧ب)، رغم ذلك يقول: «وإنما أقول هذا على سبيل السَّماح لا على سبيل الأمر» (ع. ٦)، «وأقول هذا لمنفعتكم» (ع. ٣٥). ويبدو بولس مرنًا في هذا الفصل رغم تفضيله الملحِّ على احترام الوضع الذي دعي فيه كل واحد. فإن بقاء الإنسان بعد الإيمان بوضعيته التي كان فيها حين دعاه الله إلى الإيمان لأمر يتضمن ظلمًا لا يُطاق يطال الكثير من المؤمنين، ومن أجل ذلك يقدِّم بولس بين طيات كلامه الكثير من السماح وكثير من الاستثناءات، وهذا برأيي قمة في حُسن التشريع. فإن التمسك بالمبادئ العامة وتطبيقها بلا ليونة على القضايا الخاصة لا توفر العدالة اللازمة بقدر ما توفرها معالجة القضايا الخاصة إذا دُرست كل حالة بمفردها.

ثم نسأل: لماذا يضطر بولس لأن يطلب من المؤمنين أن يبقى كل واحد في الدعوة التي دُعي فيها؟ هل كان ثمة ظروف طارئة شديدة الوطأة على المسيحيين لكي يبقى كل واحد في الحالة التي هو فيها لحظة إيمانه بالمسيح؟ يبدو أن المسيحيين كانوا يمرون في اضطهاد رسمي أو اجتماعي شديد، أو خلال فترة زمنية ساد فيها الفقر والمجاعة بسبب القحط وانعدام المطر، جعلت حياتهم غير مستقرة وعرضة لتقلبات عديدة منها ضيق اليد وانعدام فرص العمل لديهم، والاضطرار للهجرة والتشرد من مكان إلى مكان، وهكذا «لسبب الضيق الحاضر» (ع. ٢٦) يطلب بولس أن يلبث كل مؤمن في الوضعية التي هو فيها.

وهناك أمر آخر يجعل بولس يفكر بنصح المؤمنين أن يبقوا في الوضعية التي هم فيها، هو «أن الوقت قد قُصِّر» (ع. ٢٩)، و«هيئة هذا العالم تزول» (ع. ٣١). فمن حيث إن رجوع المسيح اقترب جدًّا يطلب من غير المتزوجين أن لا يتزوجوا (ع. ٢٧)، ويطلب من المتزوجين أن يحسبوا أن لا نساء لهم (ع. ٢٩)، أي لا يرتبكوا بشؤونهن.

إذًا، يجب فهم النصائح التي قدمها بولس على أنها تخص تلك المرحلة، ولا يجب تعميمها على المسيحيين في كل مكان وزمان. فنلاحظ كيف أن بولس الذي يُشجع على عدم الزواج في هذا الفصل، يدين بقلمه الذين يَمنعون من الزواج (١تي ٤: ٣).

٧: ٢٥– ٢٨ العُزَّاب الفتيان والفتيات إن الكلمة «العُزَّاب» في اللغة العربية، هي صيغة الجمع للأعزب وللعزباء على حد سواء،

www.christianlib.com

وكذلك الكلمة اليونانية «*Parthenos*» تطلق على الفتى والفتاة إذا كلٌ حافظ على بكارته (عُذْرته) وعفافته قبل الزواج، وهنا يستعملها بولس بصيغة الجمع بهذا المعنى. وحيث إنه لا يوجد في العربية صيغة مذكر للعذراء، وهو أمرٌ مُلفت، اضطُررنا لاستعمال كلمة «العُزَّاب»، بمعنى الذين لم يتزوجوا بعد، لنقصد بها الفتيان والفتيات.

ومرة أُخرى يقدم بولس نصيحة من عنده بشأن العُزَّاب، ولكنه يرجو أن يكون أمينًا في وكالته كمعلم، ويعتبر الأمانة رحمة من الرب عليه (ع. ٢٥). فيقول إنه جيد لسبب الشِّدة الحاضرة أن يبقى المؤمن على حاله (ع. ٢٦)، والمتزوج لا ينفصل عن زوجته، بمعنى يطلقها، والمنفصل عن زوجته، بمعنى مطلق، لا يطلب أن يتزوج (ع. ٢٧). وهذا الكلام ينسجم مع ما قاله آنفًا: أن يبقى كل واحد في الدعوة التي دُعي فيها (ع. ٢٠). ومرة جديدة يقدم بولس سماحًا (قارن، ع. ٦) للذين يريدون الزواج، وكانوا مطلقين بسبب الإيمان (قارن، ع. ١٥)، فيقول: من يتزوج لا يخطئ (ع. ٢٨)، ولكن من يتزوج سيكون له مشقَّة في الجسد، وأرغب أن يتفاداها، إشفاقًا عليه. فإن المشقة، أو الضيق في الجسد، تساوي عبارة «الضيق الحاضر» (ع. ٢٦). فإن الالتزامات الأُسرية والمتطلبات المعيشية في زمن الاضطهاد أمر لا يُطاق تحمُّله من أجل ذلك يستدعي الشفقة. فقد كان بولس يعي ما يعاني منه المؤمنون في ذلك العصر، ويدرك أن العزَّاب يمكنهم تدبير أحوالهم أو الانتقال والترحُّل بشكل أفضل من أرباب الأُسر. ولم يكن بولس شديدًا على العزَّاب حين طلب منهم عدم الزواج في تلك الظروف، بل كان شفوقًا، وثمة مثل يقول: «من ساواك بنفسه ما ظلمك».

٧: ٢٩– ٣١ سبب الزهد بالزواج وبالحياة في هذه الدنيا

يكشف بولس عاملاً آخر يدعوه إلى الطلب من المؤمنين عدم الزواج في ذلك العصر غير عامل الضيق، هو العامل الإسخاتولوجي، أي المتعلق بالأُمور الأخيرية، وهنا بشكل خاص زوال العالم الحاضر برجوع المسيح (ع. ٣١). ويظهر ذلك بقوله إن الوقت قد قُصِّر، فيما تبقَّى منه، فليعتبر المتزوج نفسه غير متزوج (ع. ٢٩)، أي لا يعبأ بهموم الحياة الزوجية ومتطلباتها، والبكاء والفرح يدلان على شقاء المعيشة ورفاه المعيشة، وفي الحالتين، أيها المؤمن، لا تبالِ، وحتى الذين يشترون فليحسبوا أنفسهم لا يملكون ما اشتروه (ع. ٣٠)، والذين يستعملون هذا العالم لتحصيل معيشتهم ليتهم لا يستعملونه كمن يستغل كل ما يمكنه تحصيله منه، فلماذا الطمع بما في هذه الدنيا وهي إلى زوال قريب (ع. ٣١). في هذا الكلام دعوة إلى الزهد الكامل بهذه الدنيا وما فيها، وإقرار بأن قيمة الإنسان في النهاية هي بإيمانه وتقواه، لا بما تملكه يداه.

٧: ٣٢– ٣٥ الفارق بين العزَّاب والمتزوجين أمر ثالث يذكره بولس ليؤيد نصيحته بعدم الزواج، هو رغبته بأن يكون المؤمنون بلا همٍّ فيما يخص العالم (ع. ٣٢)، وأكثر سعادة (ع. ٤٠). ثم يُباشر في رسم مقابلة بين العزَّاب والمتزوجين فيبيِّن الفرق بين الفريقين: «غير المتزوج يهتم بأُمور الرب، كيف يُرضي الربَّ، أمَّا المتزوج، فيهتم بأُمور العالم، كيف يُرضي زوجته، فينقسم ولاؤُه. والمرأة غير المتزوجة، والعذراء، كلٌّ تهتمُّ بأُمور الربِّ، لتكونَ مقدَّسةً جسدًا وروحًا؛ أمَّا المتزوجة، فتهتم بأُمور العالم، كيف تُرضي زوجها» (ع. ٣٢– ٣٤). وتتبع ترجمة ع. ٣٤ هنا، المخطوطة البردية رقم ١٥ ورقم ٤٦، والمخطوطات العريقة: السينائية، والفاتيكانية، والإسكندرانية. فإن العبارات: بلا هم، ويهتم، وتهتم، الواردة في هذه الفقرة (ع. ٣٢– ٣٤)، كلها لفظة واحدة في اليونانية كما في العربية، وتبين كيف أن الاهتمام يمكن أن يتجه نحو أُمور الله، أو أُمور هذا العالم (مت ١٣: ٢٢). ويريد بولس للمؤمنين أن يتجه اهتمامهم بالكلِّية إلى إرضاء الرب، وذلك بعدم الزواج، لأن المتزوج، أو المتزوجة، في صراعهم لإرضاء الرب وإرضاء أزواجهم في آن واحد، يتمزقون في داخلهم بين الله وأزواجهم، فينقسم ولاؤهم، وتتوزع اهتماماتهم (يع ١: ٨).

ويحذر بولس من انقسام الولاء في حال الزواج، ولكن أيمكن للمؤمن أن يكون متزوجًا ويُرضي الله وزوجته في وقت واحد؟ أجل! أوليس هذا ما عناه بولس في الأعداد ٣– ٥، أن للزوجين واجب إيفاء أحدهما الآخر حقه؟ ثم يمكن إيفاء الله حقه في التفرغ للصلاة (ع. ٥). وفي ضوء ذلك، تكون الغاية من كلام بولس عن هموم المتزوجين في الأعداد ٣٢– ٣٤، هي من باب توعية المؤمنين «ليثابروا في سبيل الرب من دون ارتباك» (ع. ٣٥).

ويبرز السؤال: هل العبارتان «كيف يُرضي زوجته» و«كيف تُرضي زوجها» المرتبطتان بالاهتمام «بأُمور العالم» يراد بهما من جهة الرجل توفير المعيشة الكافية والكريمة لزوجته، ومن جهة الزوجة توفير الراحة والعناية البيتية لزوجها فقط؟ أم يراد بهما الإشباع العاطفي والجسدي أيضًا؟ وهل تُحسب هذا الأُمور بالنسبة إليهما «اهتمامًا بأُمور العالم؟ فإن كلمة «العالم» شديدة الوطأة هنا، فهل تعني «العالم الشرير» (غل ١: ٤)، أو الذي أحبه ديماس (٢تي ٤: ٩)، أم هي بمعنى الاهتمام بشؤون الحياة الدنيا «هموم هذا العالم، وغرور الغنى، وشهوات سائر الأشياء» (مر ٤: ١٩)؟ المعنى الأخير هو المرجح هنا، وإلاَّ تساوت الحياة الزوجية في مجال الإيمان بشرِّ العالم!

في نص مثل هذا يوجه بولس كلامه لفريقي الزواج، يجدر فهم العبارة «لتكونَ مقدَّسةً جسدًا وروحًا» (ع. ٣٤) أنها موجهة

www.christianlib.com

للمؤمنين الذكور أيضًا مع أنها موجهة للمؤمنات غير المتزوجات والعذارى. يفسر بعضهم هذه العبارة بأن التبتُّل، أي الزهد بالزواج، يجعل المؤمن مقدسًا جسدًا وروحًا، بمعنى أن الاتصال الجنسي الذي يرافق الزواج لا يؤدي إلى القداسة والطهارة الروحية. ويرى غيرهم أن المـُراد بهذه العبارة أن يكون المؤمن وقفًا للرب في سره (روحًا)، وفي علَنه (جسدًا)، ويرى آخرون أن المـُراد أن يعيش المؤمن طاهرًا في علاقته بالله (روحًا) وطاهرًا في علاقاته الاجتماعية (جسدًا). ويبدو أن بولس لا يؤيد المعنى الذي يقول إن الاتصال الجنسي الذي يرافق الزواج لا يؤدي إلى القداسة والطهارة الروحية، لأنه يؤيد حق الرجل والمرأة خلال الزواج بمتعة الاتصال (ع. ٢– ٥).

ويختم بولس كلامه بقوله إنه لخير المؤمنين يقول ما يقول، لا ليعرقل مسيرتهم أو للحد من حريتهم «ليس لأُلقي عليكم وهقًا» (ع. ٣٥). والوهق هو الأُنشوطة: عقدة واسعة في طرف حبل تُرمى فتُمسك عنق المطية (مثل الجمل أو الحصان) لضبطها.

٧: ٣٦– ٣٨ خيار البقاء في حالة الخطوبة أو الإقدام على الزواج صرح بولس في ثنايا هذا الفصل ثلاث مرات أن يبقى كل واحد في الدعوة التي دُعي فيها (ع. ١٧، ٢٠، ٢٤). وبسبب هذا التصريح نشأت معضلة يرغب في حلها الذين عندما آمنوا (دُعوا) كانوا في حالة الخطوبة. فماذا يفعلون؟ أيبقون في حالة الخطوبة (الدعوة التي دُعوا فيها) مدى الحياة؟ أم بإمكانهم أن يقوموا بالخطوة المتوقعة بعد الخطوبة، وهي الزواج؟ يُعالج بولس هذه الإشكالية في هذه الفقرة، من دون أن يخرج على المبدأ الذي أصرَّ عليه في كل الفصل، وهو «لا للزواج، إلاَّ إذا!»

ولا تخلو هذه الفقرة من بعض الصعوبات التي ينبغي حلها لكي تُصبح معانيها قابلة للفهم، فلنحاول معالجة هذه الصعوبات على التوالي:

أولاً: تفسير العبارة «عذراء». خلال تاريخ الكنيسة تنوعت الآراء في شرح معنى هذه العبارة. هناك من فسَّرها بمعنى الفتاة «المـُتبتِّلة» التي عاهدت الله أن تبقى بلا زواج؛ وأيضًا من قال إنها «الفتاة الطاهرة» التي لم تعرف رجلاً وقابلة للزواج، أي في سن الزواج؛ وأيضًا من قال إنها «الزوجة الروحية» التي تزوجت رسميًّا، ولكن تعاهدت وزوجها على عدم الاجتماع، فيبقى ما بينهما نوع من الحب العذري؛ وقال غيرهم إنها تعني هنا «الفتاة المخطوبة» لارتباطها بضمير الغائب المفرد المذكر «عذراؤه»، أي خطيبته. هذا الرأي الأخير هو السائد بين المفسِّرين اليوم.

ثانيًا: تفسير العبارة «عذراؤه». تنوعت الآراء عبر الزمان حول هوية هذا «الأحد» (ع. ٣٦أ) الذي يملك حق التصرف بمصير «العذراء:» هل هو والدها؟ أم الوصي عليها، بسبب وفاة الوالد؟ أم هو مالكها إذا كانت «أَمَة» مُشتراة؟ أم هو من تزوجها رسميًّا، زواجًا عذريًّا؟ أم هو حسب عادة اليهود خطيبها (المحسوب زوجها) إلى أن تدخل منزل زوجها، فتصبح الزوجة بكل ما تعني الكلمة من معنى (مت ١: ١٨– ٢٥؛ لو ٢: ٥)؟ يَصحُّ هذا إذا كان الخطيب والخطيبة من خلفية يهودية. أم هو مجرد خطيبها؟ هذا الرأي الأخير هو السائد هذه الأيام.

ثالثًا: تفسير العبارة «يعمل بلا لياقة نحو عذرائه إذا تجاوزت الوقت (السن)» (ع. ٣٦). إن هذه الترجمة المـُحتملة للنص اليوناني قادت بعض المـُفسرين إلى القول إن من واجب الخطيب إذا لاحظ أن خطيبته قد اقتربت من السن الذي يصعب فيه الإنجاب، وهي ترغب في ذلك، ينبغي ألا يعمل بلا لياقة نحوها، أو بغير كياسة، أو بلا تفهُّم لوضعها، ويمنعها من أن تصبح زوجةً وأُمًّا، لا! «إنه لا يُخطئ، فليتزوَّجا». والمبدأ ذاته ينبغي أن يُلزم أيَّ مسؤول عن الفتاة (را. الصعوبة السابقة).

رابعًا: تفسير العبارة «يتصرف بما لا يليق نحو عذرائه، إذا هو تجاوز الحدَّ (أي حدَّ العلاقة المسموح بها)» (ع. ٣٦). وهذه الترجمة تنسجم أكثر مع السياق، إذ لو يوجد ما يدعو إلى القول «وأمَّا من وقف صامدًا في رأيه، وكان غيرَ مضطرٍّ، ويسيطر على إرادته، وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراءه، فحسنًا يفعل» (ع. ٣٧)، إن كانت المشكلة اقتراب سن عدم الإنجاب. ويجب الانتباه إلى أن الفعل «تجاوزت» يمكن ترجمته «تجاوز» إذ لا يوجد جنس للفعل في اللغة اليونانية. ويبدو واضحًا الآن أن نصيحة بولس «إنه لا يُخطئ، فليتزوَّجا»، تعالج العلاقة بين الخطيبين إذا اشتعلت الشهوة بينهما، وأمسيا في خطر الاتصال الكامل، أو ربما وقعا في الاتصال الكامل، «وفي هذه الحالة يلزم أن يصير» زواج، «فليتزوجا». وهنا عبارة «فليتزوَّجا»، تستبعد والد الفتاة كما تستبعد الذي يسمح بزواجها من خطيبها، لأن العبارة تخص الخطيبين، فهي أمر بصيغة الغائب، وبالمـُثنَّى.

ويعود بولس في نهاية الفقرة إلى مبدأه «لا للزواج، إلا إذا!» فيقول إن من يقدر أن يضبط نفسه في علاقته بخطيبته «يحفظ عذراءه»، أو «يحفظها عذراء»، أي خطيبة له، فلا يتزوج (ع. ٣٧)؛ أمَّا غير القادر على ضبط نفسه، فليتزوج (ع. ٣٦). إلى أن يصل إلى قوله: «إذًا من يتزوَّجُ يفعل حسنًا، ومن لا يتزوجُ يفعلُ أحسنَ». والخلاف بين عبارة «يُزوِّج» (الوالد يسمح بزواج ابنته العذراء إلى خطيبها، لاحظ الصعوبة الثانية)، وعبارة «يتزوَّج» (الخطيب يتزوج خطيبته)، أمر يقرره السياق، لا قواعد اللغة، فالمعنى المتعدي واللازم واردان في الفعل اليوناني «*gamizw*»، والمعنى الأنسب مع السياق هنا هو اللازم «يتزوَّج».

www.christianlib.com

البتوليّة في الكتاب المقدّس

مقدّمة

البتول في الكتاب المقدّس هي الفتاة التي بلغت ولم تعرف علاقة جنسيّة بعد. هي كلمة تنطبق إذًا على كل العذارى بما فيهنّ المتزوّجات اللواتي لم يكتمل زواجهنّ بالعلاقة الجسديّة (يؤ ١: ٨).

كان عدم الزواج في ثقافة العهد القديم عارًا أو لعنة تصيب الفتاة؛ لكن عذريّة الفتاة، قبل زواجها، تُعتبر في هذه الثقافة مقدّسة لا يمكن التغاضي عن انتهاكها. أما عذريّة الرجل فلا يأتي الكتاب المقدّس في عهده القديم على ذكرها.

في كتاب النبي إشعياء ٧: ١٤ جملة، أثارت الكثير من الدراسات وأدّت إلى كتابات عديدة، تذكر في نصّها العبري، «**صبيّة**»(*almah*) تحمل وتلد ابنًا... في حين أنها تتكلّم في السبعينيّة (الترجمة اليونانيّة) عن «**عذراء**» (*parthenos*) تحمل وتلد ابنًا. والصبيّة (*almah*) هي الفتاة البالغة، متزوّجة كانت أم عزباء، وقد صارت قادرة على الانجاب ولم تنجب بعد. هكذا تنطبق نبوءة إشعياء على صبيّة ستنجب طفلها الأوّل الذي سيُسمّى «عمانوئيل»، وربما كانت امرأة الملك آحاز، فيكون الطفل «عمانوئيل» علامة للسلام الآتي. لكن السبعينيّة غيرت المعنى في ترجمتها فجعلت من «الصبيّة»، في النص العبري، «عذراء» (*parthenos*) في اليونانيّة فألهمت متى ولوقا.

١ – البتوليّة في الكتاب المقدّس العبري وفي اليهوديّة

مجّد الكتاب المقدّس العبري، كما المجتمع اليهودي وكل المجتمعات الشرقيّة القديمة، الزواج والخصوبة، كما مجدوا بتوليّة الفتاة قبل زواجها وانتقالها إلى بيت زوجها. ولكي نستطيع أن نفهم غنى معاني مفهوم البتوليّة يجدر بنا وضعه في إطاره الثقافي.

البتوليّة عند شعوب الشرق الأوسط هي انتفاء وجود أي علاقة جنسيّة، وقد دلّ الكتاب المقدّس على «البتول» بأكثر من عبارة فهي مثلًا «من لم تعرف رجلًا»، «من لم يدخل عليها رجل»... لكن البتوليّة في الكتاب المقدّس تحمل معنى مزدوج، فهي تدل من جهة على الصبيّة التي بلغت سنّ الزواج ولن تحقّق ملء طبيعتها كامرأة إلاّ بالأمومة، كما تدلّ من جهة ثانية على الامتناع الاختياري عن كلّ علاقة جنسيّة. فالبتوليّة مع الأمل بالزواج والأمومة هي قيّمة مستقبليّة مفترضة من كلّ الصبايا، ويحرص عليها كلّ المجتمع اليهودي بدقّة وبكثير من الانتباه (يستعمل الكتاب المقدّس العبري ثلاث عبارات للدلالة على «البتول» هي *bétulah* (بتول)، *na'arah* (صبيّة)، *almah* (إمرأة صبيّة) كما في إش).

لذلك كانت تربية الفتاة تقوم على صيانة عذريّتها حتى يوم زواجها حفاظًا على شرف العائلة، التي كانت تعاني من مهانة اجتماعيّة تلاحقها عمرًا، إن وُجدت ابنتها غير عذراء ليلة زواجها. هذا ما نقرأه في حالة دينا (تك ٣٤: ٧)، وثامار (٢ صم ١٣: ١٢–١٤) وكيف قتل إخوتها من اعتدى عليهما... «غسلاً للشرف».

وقد أتت الشريعة على ذكر كيفيّة الحفاظ على قيمة البتوليّة دون أن تتطرّق إلى أيّ معنى ديني. ففي سفر التثنية قوانين تتضمّن عقابًا قاسيًا لكلّ مسّ ببتوليّة الفتاة: فالرجل الذي يتّهم امرأته باطلاً بفقدان عذريّتها قبل زواجه بها، يُحكم بعدم إمكانية طلاقها طيلة حياته، وبدفع غرامة ماليّة لأبيها:

«إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَحِينَ دَخَلَ عَلَيْهَا أَبْغَضَهَا، وَنَسَبَ إِلَيْهَا أَسْبَابَ كَلاَمٍ، وَأَشَاعَ عَنْهَا اسْمًا رَدِيًّا، وَقَالَ: هذه الْمَرْأَةُ اتَّخَذْتُهَا وَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهَا لَمْ أَجِدْ لَهَا عُذْرَةً. يَأْخُذُ الْفَتَاةَ أَبُوهَا وَأُمُّهَا وَيُخْرِجَانِ عَلاَمَةَ عُذْرَتِهَا إِلَى شُيُوخِ... فَيَأْخُذُ شُيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الرَّجُلَ وَيُؤَدِّبُونَهُ وَيُغْرِمُونَهُ بِمِئَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ، وَيُعْطُونَهَا لأَبِي الْفَتَاةِ، لأَنَّهُ أَشَاعَ اسْمًا رَدِيًّا عَنْ عَذْرَاءَ مِنْ إِسْرَائِيلَ. فَتَكُونُ لَهُ زَوْجَةً. لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُطَلِّقَهَا كُلَّ أَيَّامِهِ» (تث ٢٢: ١٣– ١٩). ولا زالت أهمّية بتولية الفتاة قبل الزواج تأخذ المكان الأكبر في المجتمعات الشرقية عامة، تحت طائلة القتل الذي يُعتبر في بعض المجتمعات الشرقيّة غسلاً مشروعًا للشرف. هذا ما أدّى تاريخيًا، وحتى اليوم، إلى ازدواجية في المعاملة بين الذكر والأنثى، وخلق مجتمع ذكوريّ يفرّق في الأخلاقيات بين الرجل والمرأة.

وتقع حالة اغتصاب فتاة بكر في خانة التعرّض إلى أملاك الآخرين، بحيث يتوجّب على المغتصب أن يتزوّج الفتاة وأن يدفع لأبيها «مهرًا» ويتزوّجها، ولا يُسمَح له بطلاقها طيلة حياته (تث ٢٢: ٢٨– ٢٩).

أما إذا ضاجع رجل «إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءُ مَخْطُوبَةً لِرَجُلٍ، فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، فَأَخْرِجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجُمُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. الْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخْ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ» (تث ٢٢: ٢٣– ٢٤). فالبتوليّة إذًا، بحسب هذه المراجع، ليست قيمة إلا أثناء الفترة الانتقاليّة إلى حالة الزواج.

وقد أبرز الكتاب المقدّس تقييم هذه البتوليّة الانتقاليّة، فتكلّم مثلاً عن ثياب العذارى الفخمة في البلاط الملكي (٢ صم ١٣: ٢، ١٨)، وعن استحالة زواج الملك إلاّ من عذراء (١مل ١: ٢، أس ٢: ٢–٣)، كذلك الأمر فيما يختصّ بالكاهن (حز ٤٤: ٢٢) وبكبير الكهنة (٢ مل ٨: ١٢)؛ وإن أتى الكتاب المقدّس على ذكر إمكانية قتل امرأة حامل (٢مل ٨: ١٢) فإنّه أعفى عن العذارى (عد ٣١: ١٧– ١٨)؛ وقد قطع أيوب على نفسه عهدًا «ألا يتطلّع في عذراء» (أي ٣١: ١).

www.christianlib.com

وقد رُبطت البتوليّة أحيانًا بالمقدَّس، فكان على الشعب الذي كان يتحضّر لملاقاة الله في سيناء أن يمتنع عن العلاقات الجنسيّة (خر ١٩: ٥)، ولم يكن يُسمح للنساء بمضاجعة الجنود أثناء الحروب المقدّسة (٢ صم ١١: ١١)، كما لم يكن بمقدور داود ورفاقه أن يأكلوا الخبز المقدّس قبل صون أنفسهم عن النساء (٢ صم ٢١: ٥). لكن هذه الأمثلة تدلّ، كما هو واضح، على التقيّد بأصول الطهارة الطقسيّة والشرعيّة أكثر من دلالتها على أهميّة البتوليّة أو أهميّة العزوبيّة.

٢- البتوليّة قيمة أم عار؟

في مقابل القيمة التي أعطاها الكتاب المقدّس للبتوليّة، بحسب الشروط الآنفة الذكر، يمكننا أن نجد في الوقت عينه طابعًا سلبيًّا لبتوليّة النساء في العهد القديم. ففي سفر القضاة لا كرامة للمرأة إلا من خلال دورها كأمّ، لذلك نجد إبنة يفتاح تطلب شهرين، قبل تنفيذ الحكم بتقديمها ذبيحة لله تتميمًا لنذر أبيها لتبكي، ليس فقدانها الحياة، بل بتوليّتها والأمومة التي لن تعرفها (قض ١١: ٣٧- ٤٠). فموت المرأة قبل الزواج يُعتبر مصيبة شبيهة بعار العقم والذلّ المرتبط به، كما أنّ المرأة العذراء التي لم تعرف رجلاً في حياتها ليست سوى امرأة مرذولة من التاريخ لأنها لن تحيا الخصوبة المطلوبة منها. هذا ما يعبّر عنه الأنبياء عندما يرثون «ابنة صهيون» مطلقين عليها لقب «عذراء إسرائيل» ومعلنين بالتالي أنها التي تنتظر ولادة المسيح دون أن تتوصّل إليها. ليس عند هذه العذراء سوى رثاء ذاتها أمام اللعنة التي ستقع عليها إن هي ماتت دون أن تلد المسيح القادر على تحريرها من عارها وآلامها (يوء ١: ٨؛ عا ٥: ٢؛ مرا ١: ١٥؛ ٢: ١٣).

أمّا فكرة اختيار عيش البتوليّة كنهج حياة، فكان غريبًا عن الشعب اليهودي القديم حتى إن اللغة العبريّة للعهد القديم لا تعرف مفردة خاصة بمفهوم «العزوبيّة» ولا بمفهوم «العفّة». ففي فكر شعب الله، الموجّه نحو نموّه الدائم، تبدو البتوليّة استثناء نادرًا. في هذا الإطار نفهم كيف أن الله بالذات «منع» إرميا النبيّ من الزواج والإيلاد ليكون رمزًا نبويًا يدلّ على عقم شعبه الذي يحيا حالة الخطيئة (إر ١٦: ٢). وفي إش ٤: ١ أيضًا يظهر الطابع السلبي للبتوليّة التي تبدو كأنها عار، وألم لا مثيل له، عندما يتكلّم عن بليّة تصيب المجتمع فتطلب سبع نساء من رجل واحد أن «يعطيهنّ اسمه» و«يرفع عنهنّ عارهنّ»!

هذه العقليّة يعكسها أيضًا التقليد في التلمود، والذي لا يعقل أن يحيا رجل دون امرأة، فتبدو فيه البتوليّة ويلاً ومصيبة على ما نقرأ:

«من يحيا دون امرأة يعيش محرومًا من كلّ فرح ومن كلّ بركة ومن كلّ سعادة (...)؛ إن الرجل دون المرأة ليس إنسانًا». وإن امتنع عن الإيلاد يكون قاتلاً خاطئًا شبيهًا بمن «سفك دمًا بشريًا». والأمر عينه ينسحب على المرأة المخلوقة لتصبح زوجة رجل وأمًا لأولاد عديدين.

٣- البتوليّة في المسيحيّة

ولكن، إن كانت البتوليّة استثناءً غير محمود بالنسبة للمرأة اليهوديّة، فقد تحوّلت إلى شرف وفخر في اليهوديّة المعاصرة للمسيح. فعند الأسينيّين حيث وُجد في منطقة قمران على البحر الميت العديد من الشواهد التاريخيّة، كانت الجماعة تحيا البتوليّة أو تحدّ كثيرًا من عيش الزواج. وقد جعل فيلون الاسكندري الفيلسوف اليهودي من الرجال والنساء، الذين يعيشون البتوليّة ويتكرّسون للصلاة والتأمّل والبحث عن المحبّة والحكمة، مثالاً يُحتذى. لكن يبدو أن جماعة قمران كانت تعتبر البتوليّة مرحلة مطلوبة لفترة «الحرب الإسخاتولوجيّة» المنتظرة فقط، وليس حالة إنسانيّة دائمة، على ما نقرأ في قانونها. وأُعطيت الأرامل اللواتي امتنعنَ عن الزواج بعد موت أزواجهنَّ قيمة كبيرة. فيهوديت «مباركة ومجيدة» لأنّها رفضت العديد من عروض الزواج بعد ترمّلها (يه ١٦: ٢٢)، ولأنّها لم تعرف رجلاً طيلة ترمّلها بالرغم من جمالها وغناها (٨: ٧- ٨؛ ١٠: ١٩) وآثرت أن تمتنع عن الزواج وعن إمكانيّة الحصول على عائلة جديدة بعد موت زوجها للتكرّس التام لله بالصلاة والبتوليّة (٥: ٨-٦). وقد أعطى الإنجيل المجد عينه لحنّة النبيّة التي رفضت الزواج مجدّدًا وتكرّست بعد ترمّلها للصلاة بانتظار مجيء المسيح (لو ٢: ٣٧).

أمّا مع المسيحيّة فنشهد تطوّرًا واضحًا، بعد أن انتقل المسيحيّون إلى روحانية جديدة لمفهوم البتوليّة تقوم، لا على أسس طقسيّة للتطهير، بل على دوافع إيمانيّة بحتة. فهمت المسيحيّة عبارة «عذراء إسرائيل» كرمز يدلّ على أن «شعب إسرائيل» هو ملكيّة خاصّة لله، وأنّه لم يعرف آلهة أخرى. في هذا السياق طُبِّقت رمزيّة البتوليّة على الجماعة المسيحيّة المُعدّة للاتّحاد بالمسيح، «كعذراء مهيّأة لعريسها السماوي»، بمعنى الجماعة الطاهرة المقدّسة التي تسعى كنيسة المؤمنين بيسوع المسيح أن تكونها. بهذا المعنى كتب القديس بولس إلى الكورنثيّين: «إِنِّي أَغَارُ عَلَيْكُمْ غَيْرَةَ الله، لأَنِّي خَطَبْتُكُمْ لِرَجُل وَاحِد، لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ» (٢كو ١١: ٢).

ونقرأ في سفر الرؤيا المرجع الوحيد في الكتاب المقدّس عن بتوليّة الرجال، وذلك في إطار الكلام عن الأبرار المئة والأربعة والأربعين ألف «الَّذِينَ لَمْ يَتَنَجَّسُوا مَعَ النِّسَاءِ لأَنَّهُمْ أَطْهَارٌ» (رؤ ١٤: ٤). فنشهد من خلال هذا المرجع ولادة البتوليّة كمثال سيُتبع في الكنيسة، مع أن إطار سفر الرؤيا يتناول مفهوم بتوليّة المختارين الأبرار كدلالة رمزيّة على أمانتهم للمسيح لأنّهم لم ينجرفوا مع تيّارات فساد العالم وشهواته... آلهته.

وبالرغم من الأهميّة الكبرى التي أُعطيت لبتوليّة مريم العذراء في ولادتها ليسوع، فإن يسوع نفسه هو من كشف معنى البتوليّة الحقيقي في كلامه عن الذين «خصوا أنفسهم» (مت ١٩: ١٠- ١٢)،

www.christianlib.com

وعن الذين «في القيامة لا يتزوّجون» (مر ١٢: ٢٥)، كما في كلامه عن التخلّي التام (لو ١٤: ٢٦؛ ١٨: ٢٩)، مؤكدًا أن حضور الملكوت هو وحده القادر على شرح حالة البتوليّة الدائمة وإمكانيّة عيشها، و«ليفهم من يستطيع أن يفهم» (مت ١٩: ١٢).

وقد تطرق القديس بولس إلى هذا الأمر فكتب «قَد اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ، فَلاَ تَصِيرُوا عَبِيدًا لِلنَّاسِ. فَأَظُنُّ أَنَّ هذَا حَسَنٌ لِسَبَبِ الضِّيقِ الْحَاضِرِ، أَنَّهُ حَسَنٌ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ هكَذَا» (١كو ٧: ٢٣، ٢٦). فإن كان الوضع البشري الطبيعي يقضي بأن يتزوّج الرجال والنساء، فإن الله يمكن أن يدعو رجالاً ونساءً ليعيشوا البتوليّة الاختياريّة، مكرّسين حياتهم للصلاة والخدمة، فيكونوا «بلاَ هَمٍّ» لأن «غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ، وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ. إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعَذْرَاءِ فَرْقًا: غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ تُرْضِي رَجُلَهَا».

خاتمة

يبقى معنى البتوليّة في الكتاب المقدّس في عهده القديم مسألة معقّدة وصعبة وغير واضحة المعالم. عرفت البتوليّة تطوّرًا تصاعديًّا في إسرَايل القديم، كما في مناطق من الشرق الأوسط الأخرى، وأخذت معانٍ تتراوح بين الزهد بالعلاقات الجنسيّة، وعذريّة الفتاة قبل زواجها. فإن كان المجتمع اليهوديّ يفرض على الصبيّة المحافظة على عذريّتها إلى يوم زواجها، تحت طائلة الحكم عليها بالموت، فإنه لم يكن يعرف الالتزام بالبتوليّة كمثال حياتي. ففي مجتمع كانت الأهميّة الأولى والوحيدة فيه تكمن في التزام المرأة بزوج وأولاد عديدين، كان تكرّسها بالبتوليّة يعني لها حياة بؤس وفقر وبالتالي حياة ذُلٍّ وهوان. لكنّ يبدو أن خيار التكرّس البتوليّ وُجِد في المجتمعات اليهودية الهامشيّة.

الأخت باسمة جوزف الخوري

٧: ٣٩–٤٠ مصير الذين يترمّلون الكلمة الأخيرة لبولس في هذا الفصل خصصها للذين يَترمّلون من رجال ونساء، مع أنه يخاطب بها النساء. ولا ندري لماذا يخاطب النساء الأرامل؟ هل كانت نسبة النساء اللواتي يَترمّلْن تفوق بشكل مُلاحظ نسبة الرجال الذين يترمّلون، أم لأنه أسهل على النساء من الرجال، أن تبقى بلا زواج بعد ترملهن؟ ربما هذا الواقع، في الحالتين، لا يزال ساريًا إلى اليوم!

ويقول: يظل القرين مرتبطًا ما دام قرينه حيًّا، فإذا رقد (مات) القرين يُصبح شريكه حرًّا من رباطه، ويُمكنه أن يتزوج من جديد بمن يُريد شرط أن يكون مسيحيًّا «في الرب فقط» (ع. ٣٩). وبحسب حُكم بولس، إذا بقي من يترمّل على حاله (هكذا) ولم يتزوج، يكون أكثر سعادة وغبطة ممن يتزوج بعد ترمُّله (ع. ٤٠). ويشير بولس إلى أن نصيحته هذه يُمليها عليه الروح القدس، إذ يقول: «وأعتقد أني أنا أيضًا عندي روح الله». فإن كلمة «أيضًا» هنا تكشف عن وجود عدد من «الأنبياء» في كنيسة كورنثوس «ينطقون بالروح» ويُقدمون فتاوى تعليمية بشأن مسائل حياتية مثل هذه، لهذا يُنهي بولس كلامه بعبارة «عندي روح الله كما عندهم»، فأصغوا إليَّ «أنا أيضًا».

٨: ١–١٣ مسألة الأكل من الذبائح المقدمة للأوثان

قام بولس بعد نشوء الكنيسة على يديه في كورنثوس بتعليم المؤمنين أنْ لا وجود لأي إله آخر غير الله، وأن الأوثان لا شيء. ويتبع هذا الكلام بشكل منطقي أنه يمكن للمؤمنين أن يأكلوا مما ذُبح للأوثان لأن لا وجود للأوثان. ونمت هذه الأفكار في أذهان المؤمنين في كورنثوس جرّاء هذا التعليم وانتفخوا كبرًا بهذه «المعرفة» التي حررتهم من أوهام الأوثان، فأخذوا يتقصّدون الذهاب إلى المواضع التي تُباع فيها أو تؤكل فيها لحوم الهياكل الوثنية، ويفتخرون بذلك لأنهم من أصحاب «المعرفة»، أمّا غيرهم من المؤمنين فبسطاء وجُهّال، ويتمنّون لهم النمو مثلهم في «المعرفة». هذا الموقف المنتفخ زهوًا سبّب الكثير من المآسي في حياة المؤمنين من غير ذوي العلم، إذ لمّا شاهدوا إخوتهم يُقبلون إلى الأكل من ذبائح الأوثان في الأمكنة العامة، تشجعوا ليأكلوا هم أيضًا، وحيث إنهم ضعفاء تداعت ركائز إيمانهم وعادوا يحنّون إلى العودة لعبادة الأوثان. إن بولس في هذا الفصل يعالج هذه المسألة وينصح أصحاب العلم والمعرفة أن يسلكوا سبيل المحبة ويُفكروا بإخوتهم الصغار، فلا يكونون سبب عثرة لهم.

فقد كان أهل الكنيسة في كورنثوس يتباهون بالعلم والمعرفة لديهم، لذا يحذرهم بولس أن الإنسان ينتفخ بالعلم كِبْرًا ولكن المحبة تبني (ع. ١). ويزهو كثيرون بالعلم ويحتكرون المعرفة، فلا يعودون بالفائدة المرجوة على مجتمعهم، بينما المحبة تبني الفرد، والعائلة، والكنيسة، والمجتمع الأوسع. فكبرياء العلم تفرّق الإخوان، أما المحبة فتجمع الأوطان. إذا اقترنت المعرفة بالمحبة تُنجب الحكمة، و«الحكمة تبني بيتها وتنحت أعمدتها السبعة» (أم ٩: ١). ويتابع: إن ظن أحد منكم أنه قد عرف شيئًا، فإنه لم يعرف بعد كما ينبغي ليعرفه (ع. ٢)، أي لن يتوصل أحد إلى المعرفة الكاملة الشمولية، لأننا طالما نحن تحت الشمس نعرف بعض المعرفة (١٣: ٩). وهذه القاعدة حول نسبيّة المعرفة ستظل عاملاً يدفع طموح العلماء لاكتشاف المزيد في أي حقل من حقول العلوم، بما فيها علم اللاهوت، حتى انقضاء الزمان.

في مقابل العلم والافتخار بحيازة المعرفة، هناك المحبة النابعة

www.christianlib.com

من القلب نحو الله، فإن حظي المؤمن بهذا الحب لله، يكون الله قد مسَّه فشعَّ بالبهاء الإلهي «فهذا قد عرفه الله» (ع. ٣). إن كلمة «عرف» تُفيد الاختيار (رو ٨: ٢٩؛ غل ٤: ٩؛ ١بط ١: ٢٠؛ عا ٣: ٢)، والمغزى أن الله هو الذي يُنشئ المحبة فينا تُجاهه، فيا لَتَسامي نعمته. فمن حلَّ فيه الحب الإلهي يتواضع ويتوادع (مت ١١: ٢٩).

ثم يسألونه من جهة أكل ما ذُبح للأوثان (ع. ٤)، فيُجيب بولس أن لا وثن في الكون، ولا إله غير الله (تث ٦: ٤؛ إش ٤٤: ٦)، ولو كان ثمَّة ما يُدَّعى أنها آلهةٌ في السماء والأرض، فمنها آلهة كثيرة وأرباب كثيرة ولكنها غير حقيقية (ع. ٥)، ولا تأثير لها علينا. أمَّا عندنا

فيوجد إله واحد، الآبُ الذي منه جميع الأشياء ونحن له،
ورب واحد، يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به.

والطباق أعلاه هو بمثابة بُرعم قانون إيمان بقلم بولس يعترف بوجود إله واحد، ويُسمِّيه الآب، وهذا يُمهِّد لبولس ذكر وجود الابن، الرب الواحد، يسوع المسيح، فلولا أن الله آب لما كان الابن ابنًا، ولولا أن الرب يسوع ابنٌ لما كان الله آبًا. ولئلا يتبادر إلى ذهن أحد أن المسيحيين يعترفون بوجود إلهين: الله الآب والرب يسوع، نسارع لنؤكد أن الرب يسوع الابن صادر من الآب، مولودًا، لا مخلوقًا. وولادته من الآب هي ولادة جوهرية، وروحية، لا جسدية ولا مادية، فإنه «نور من نور». وتؤكد العبارة «يوجد إله واحد» (ع. ٦) ولادة الابن يسوع من الآب. وعبارة «جميع الأشياء» (في اليونانية: *ta panta*)، تعني الكون بكل ما فيه من ملائكة وبشر وحيوان ونبات وجماد، فهذه كلها خلقها الله فهي منه. وعبارة «ونحن له» تعني أننا ملكه، وإليه نعود. ويُريد بولس بالضمير «نحن» كل الخليقة، وبخاصة الخليقة العاقلة.

ويوجد «رب (سيد) واحد»، ويُسميه يسوع المسيح، وعبارة «به جميع الأشياء» تعني أن الكون بواسطته، أو من خلاله، جاء من العدم إلى الوجود (عملية الخلق به تمت، كو ١: ١٦؛ يو ١: ٣؛ تك ١: ٣). وعبارة «ونحن به» تعني أننا بواسطته نستمر في الوجود، وبواسطته يتماسك الكون «وفيه يقوم الكل» (كو ١: ١٧)، «وهو يحمل كل الأشياء بكلمته القديرة» (عب ١: ٣). ويعني أن يكون يسوع المسيح (كلمة الله يو ١: ١) هو الوسيطُ في جلب الخليقة من العدم إلى الوجود (به كان كل شيء يو ١: ٣)، أنه شريك الله في عملية الخلق، وما يعمله الآب يعمله الابن (يو ٥: ١٧–١٩؛ ١٠: ٣٧–٣٨). واسم «الابن» ليس حكرًا على يوحنا في العهد الجديد، بل يستعمله بولس أيضًا (رو ١: ٣–٤؛ ٥: ١٠؛ ٨: ٣؛ ١كو ١٥: ٢٨؛ أف ٤: ١٣؛ كو ١: ١٣؛ ١تس ١: ١٠). وهذا يربط بقوة بين «الرب» و«الابن» في فكر بولس. وشريك الله في الخلق يجب أن يُعادل الله، والابن يعادل الله (في ٢: ٦؛ يو ١٠: ٣٨ب)، ويستحيل أن يكون خليقة الله، فالمخلوق لا يَخلُق، ولا يمكن أن يكون شريك الله في الخلق، أمَّا الابن المُعادل لله بسبب البنوَّة (يو ٥: ١٨؛ ٢يو ٣ «ابن الآب»؛ ١يو ٥: ١٨ «المولود من الله يحفظه»؛ يو ١: ١٤ «وحيد من الآب»)، فيمكنه.

ثم يقول بولس: تقولون «إن العلمَ عندنا أجمعين» (ع. ١)، ولكني أُؤكِّد لكم «أن العلمَ ليس عند الجميع» (ع. ٧). فإن بعضَكم بحُكم العادة نحو الوثن يأكلون اللحوم حتى الآن كأنها ممَّا ذُبح لوثن، فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجَّس. فأنتم بسبب المعرفة أقوياء وأحرار، إنما احذروا لئلاَّ يصير استعمال حقكم هذا سبب عثرة للضعفاء (ع. ٩). فإذا رآك أحد، يا من له علم، متَّكئًا في موضع لوثن (معبد، هيكل، أو مكان تابع له)، أفلا يتجرَّأُ ضميره، إذ هو ضعيف، ليأكل مما ذُبح للوثن (ع. ١٠)؟ فماذا تكون نتيجة عملك؟ يضيع (يهلك) أخوك الضعيف الذي مات المسيح من أجله (ع. ١١). فمن يُخطئ إلى أخيه يُخطئ إلى المسيح (ع. ١٢).

وتشير العبارة «الذي مات المسيح من أجله» إلى الفداء بموت المسيح نيابة عنا، ومن هذا المعنى ينشأ ما يُريده بولس هنا، وهو أننا يجب ألاَّ نحتقر أي مؤمن ولو كان ضعيفًا، بسيطًا، صغيرًا، لا شأن له، لأنه ثمين في عينَي الله بسبب أن المسيح ابن الله مات من أجله (١بط ١: ١٨–٢٠). فلقد وحَّد يسوع نفسه بالضعفاء والصغار والمحتاجين والمتألمين، فطوبى لمن يُحسن إليهم، فإنه بهذا يُحسن إلى يسوع نفسه (مت ٢٥: ٤٠)، ومن يضطهد المؤمنين بالمسيح يضطهد المسيح (أع ٩: ١–٤)، وبولس يفهم هذا الأمر جيدًا.

فليس من الضروري أن تُفهم كلمة «يَهلك» (ع. ١١) بمعنى خسارة الخلاص، ففكر الرسول بولس يناقض هذا المفهوم (٥: ٥). ولقد تُرجمت كلمة «*apollumi*» في عدد من الأماكن بمعنى: يضلُّ (مت ١٠: ٦؛ لو ١٥: ٢٤)، ويَضيع (مت ١٠: ٣٩؛ يو ٦: ١٢)، ويَتلف (مت ٩: ١٧؛ يو ٦: ٣٩). ولكن يتضح معناها هنا من السياق في عبارة «لئلا أُعثر أخي» (ع. ١٣). فالعثرة تسبب السقوط لا الهلاك، والسقوط قد يسبب تأخُّر المؤمن عن اللحاق بالمسيرة، وقد يُصدم ويرتبك، وقد يتراجع لفترة عن المواظبة على العبادة، ولكنه في النهاية يستعيد وعيه ونشاطه الروحي وينطلق من جديد (رو ٨: ٣٥؛ ١بط ٥: ١٠؛ يه ٢٤).

في العدد العاشر ترد عبارة «يتقوَّى ضميره»، أو «يتجرأُ»، وفي النص اليوناني تعني الكلمة المستعملة «يُبنى ضميره». ونحن هنا أمام احتمالين، الأول: أن يكون بولس يستعمل كلمة «يُبنى» بمعنى يَرتفع كالبناء، وبالتالي يتقوى أو يتجرأ، كما يفعل الكثير من الترجمات؛ أو الثاني: يُبنى الضمير بمعنًى ساخر، لأن ذوي العلم قد يعتقدون أنهم بممارسة مقتضيات علمهم وحريتهم وأكل لحوم الأوثان، يساعدون الضعفاء على «بناء ضمائرهم وتشييد أعمدتها»، فيتهكم

www.christianlib.com

بولس عليهم ويُريهم نتيجة صلفهم وزهوهم بالعلم، وتركهم طريق المحبة. فإن نتيجة زهوهم تنعكس ضررًا على الإخوة الضعفاء «تجرحون ضميرهم الضعيف» (ع. ١٢).

فإن الطعام وتناول أنواعه لا يُقرِّب الإنسان إلى الله ولا يُبعده عنه. «فإذا لم نأكل لا ننقص، ولا إذا أكلنا نزيد» (كما في النص اليوناني المحقق، ع. ٨). إن مَن يُحجم عن تناول لحوم الأوثان حبًّا بأخيه الضعيف لا ينتقص هذا الأمر من علمه وحريته، ولا إذا أكل صاحب العلم والحرية من لحوم الأوثان يزيد هذا من مقامه. فالمسألة ليست في العلم والحرية لآكل ما أشاء، بل هي في المحبة! «فإن كان طعامٌ يسبِّب عثرة لأخي، فلن آكلَ لحمًا إلى الأبد لئلاَّ أُعثر أخي» (ع. ١٣). ففي الحياة المسيحية، المحبة وخير الآخر تتجاوز المطالبة بالحقوق. وهذا المبدأ سيُلقي بظله على محتوى الفصل التاسع التالي برمته.

٩: ١-٢٧ التنازل عن الحقوق في سبيل خير البشارة

يكشف هذا الفصل من الرسالة القيَم والدوافع التي تحفز الرسول بولس على التضحية والمثابرة في الجهاد لأجل انتشار الإنجيل. فإن غايته الأولى والأخيرة أن يُخلِّص الناس بالبشارة (ع. ٢٢)، وأن يكون شريكًا فيها (ع. ٢٣). ويُكثر بولس في معرض دفاعه عن نفسه في هذا الفصل من استعمال الأسئلة البلاغية (١٨ مرة). ويُلقي الأسئلة ولا ينتظر جوابًا، فالإجابة عن هذه الأسئلة متضمنة فيها. وهو أسلوب يُفحم الآخرين ويُقنعهم بصحة مقولاته.

يباشر بولس كلامه بتأكيد صحة رسالته (ع. ١- ٢)، أي مقامه ومهمته الرسولية، بأسئلة تبدأ بكلمات مثل «ألستُ»، و«أما»، وكلتاهما تتطلبان جوابًا إيجابيًّا (رو ٣: ٢٩)، على عكس «ألعل» التي تتطلب جوابًا بالنفي (رو ٩: ١٤). ويُقدِّم سببين لتأكيد صحة مقامه الرسولي:

الأول: إنه رأى يسوعَ الربَّ المقام. كان هذا أحد شروط قبول من يخلف الإسخريوطي في عداد الرسل (أع ١: ٢١- ٢٢). ويروي لوقا كيف ظهر الرب يسوع بعد القيامة لبولس (أع ٩: ٣-٦)؛ ويروي بولس هذه الحادثة مرتين (أع ٢٢: ٦- ١٠؛ ٢٦: ١٢- ١٦).

الثاني: مُؤمنو كورنثوس هم البرهان على صحة مقامه الرسولي. يسأل بولس: ألستم أنتم عملي في الرب؟ والجواب: بَلى. ويُضيف بكلام مَشوب بالتهكم: إن لم أكن رسولاً إلى غيركم، فإنما أنا إليكم رسول، لأنكم أنتم ختم رسالتي في الرب (ع. ٢). ويُستعمل الختم لتأكيد صحة الرسائل الرسمية والصكوك المالية، فيكون إقبال مُؤمني كورنثوس إلى الإيمان بالمسيح «ختمًا» أو «شهادة موقعة» لتأكيد صحة رسالة (رسولية) بولس، أفلم يؤمنوا على يده؟

فإن غاية بولس من إثبات مقامه الرسولي في مطلع هذه الفصل هي التأكيد على أن له حقوقًا تترتب له «كباقي الرسل» (ع. ٥) أكثر من رغبته في الزهو بهذا المقام، لأنه أراد أن يُبرز أن له حقوقًا (سلطانًا)، وأنه يتنازل عنها، ولهذا يقدِّر أهل كورنثوس قيمة ما يقول.

٩: ٣-١٢ الحقوق التي تتوجب على الكنائس تجاه الرسل يُسجل بولس في الأعداد ٣- ١٢ عددًا من الحقوق التي تتوجب له كرسول من الرب يسوع يقوم بخدمتهم (تبشيرهم والعناية الروحية بهم)، نذكرها هنا بالتتابع:

توفير الطعام: من واجب الكنائس التي يخدمها الرسل توفير الطعام لهم (ع. ٤)، «نأكل ونشرب» عبارة يُراد بها الطعام بالمطلق.

مرافقة امرأة خادمة: إن عبارة «بأخت زوجة» تُترجم أيضًا «بامرأة أُخت»، أي بامرأة مؤمنة مسيحية، فلو كانت زوجةً للرسل فلماذا يُطلق عليها لقب «أُخت»؟ فإن زوجة الرسول مؤمنة على أي حال. وحيث إن بولس لم يكن متزوجًا، ولا ندري شيئًا عن برنابا (ع. ٦أ)، يُرجَّح معنى «امرأة أُخت رفيقة سفر» لخدمة حاجات الرسل، كنوع من أنواع الخدمة التي تقوم بها الشمَّاسات (رو ١٦: ١- ٢)، أو الأرامل المكرسات (١تي ٥: ٩- ١٠). وهكذا كان بطرس والرسل يفعلون (ع. ٥). فقد كان من واجب الكنائس التي يخدمها الرسل أن تتكفَّل بالمصاريف المترتبة على هؤلاء النسوة الخادمات أيضًا.

إعفاء الرسل من الشُّغل: يقول بولس: أَم فقط أنا وبرنابا لا حق لنا بما يُغنينا عن الشغل (ع. ٦)؟ ويشير بهذا إلى واجب الكنائس لتوفير معيشته فلا يضطر إلى الشغل ليسد رمقه. أمَّا هو نفسه، وبرنابا رفيقه، فقد كانا يشتغلان لكيلا يُثقِّلا على الكنائس (١تس ٢: ٦ و٩؛ ٢تس ٣: ٩- ١٠؛ أع ٢٠: ٣٤).

أمثلة لترسيخ مبدأ «من ينادي بالإنجيل من الإنجيل يعيش»

وهنا يبادر بولس إلى تقديم بعض الأمثلة التي تبرر له وللرسل أن ينالوا حقوقهم من مصاريف ومعيشة من الكنائس (ع. ١٤)، وهي التي ذكرها أعلاه:

مثَل من حياة الجندية: «من تجنَّد للحرب مرةً وكانت النفقات عليه» (ع. ٧)؟ أليست الدولة الداعية للتجنيد هي التي تدفع رواتب الجنود وتهتم بإعالتهم؟

مثَل من غرس الكروم: «من يغرس كرمًا ولا يأكل من ثمره» (ع. ٧)؟ وفي هذا إشارة إلى الكرْم «الكنيسة» التي غرسها الرسل، فمن المنتظر أن تُثمر بالعناية بمن غرسها.

مثَل رعاية الغنم: «أَم من يرعى قطيع غنم ومن لبن القطيع لا يشرب» (ع. ٧)؟ أو من صوفه لا يلبس؟

مثَل الثور الدارس: جاء في الكتاب: «لا تكمَّ ثورًا في دراسه

www.christianlib.com

الحبوبَ» (تث ٢٥: ٤)، ويذكرها بولس في ١ تس ٥: ١٨. وهذا يعني أنَّ مَن يعمل في شيء ما، يأكل منه. وفي هذا المثل يستنجد بولس بالكتاب لكيلا يظن القارئ أنه يستعمل أفكارًا بشرية «أتكلم حسب الإنسان» (ع. ٨)، «أم ليس الناموس (وصايا الله) يقول هذا»؟ ثم يُضيف: «ألعل اللهَ تُهمُّه الثيران؟ (الجواب لا) ألا يتكلم يقينًا (أو على أي حال) من أجلنا» (ع. ٩- ١٠)؟ وهنا تجدر الإشارة إلى أن الله تهمه الثيران كما كل البهائم (يون ٤: ١١؛ مز ٣٦: ٦؛ ١٠٤: ١١- ١٤، ٢٥- ٣٠)، غير أن بولس يرغب أن يُركِّز على خدَّام الإنجيل. فإن صياغة الكلام في النص اليوناني تُلزمنا أن نترجم الباقي من العدد العاشر كما يلي: «فمن أجلنا كُتب أنه ينبغي للحرَّاث أن يحرث على رجاء، وللدَّارس على رجاء أن يكون شريكًا (في الغلال)». وهنا يحتار المفسرون، فمن أين يقتبس بولس كلامه بعد عبارة «فمن أجلنا كُتب»؟ فقد جاء ما يشبه كلامه هنا في الأسفار التالية: سي ٦: ١٩؛ و٢ تي٢ : ٦؛ يع ٥: ٧. ويمكن أن بولس لم يكن يقتبس حرفيًّا إنما يفسر ما جاء في تك ٨: ٢٢؛ ومز ١٠٧: ٣٧؛ ١٢٦: ٥- ٦).

وهنا يشرع بولس في تطبيق الغاية من الأمثال التي ذكرها أعلاه، فيقول: «إن زرعنا لكم الأمور الروحيَّة، أفكثير إن حصدنا منكم الأشياء المادية» (ع. ١١)؟ وفي هذا التطبيق إعلاء من شأن الأمور الروحية فوق المادية، وإرساء للمبدأ أن من يزرع في الكنائس الروحيات يستحق بالمقابل أن ينال الأشياء المادية لسد الحاجات الجسدية، وهذا لا يُقاس في مقابل ما قدمه وزرعه خادم الله. ثم يواجه بولس أهل كورنثوس وجهًا لوجه بقوله: «إن كان لآخرين حقٌّ عليكم، أما نحن أولى» (ع. ١٢)؟ فقد كان بعض الخدام والرسل المتجولين ينالون معونات مادية من كنيسة كورنثوس في ذهابهم وإيابهم كلما مرُّوا بهم، غير أنهم ما تعبوا لأجل الكنيسة بمقدار تعب بولس في تأسيسها ورعايتها (أع ١٨: ٩- ١١)، أفيشعر أهل الكنيسة بدينهم الأدبي نحو الضيوف العابرين من الرسل والخدام أكثر من شعورهم بدينهم لبولس مؤسس الكنيسة؟

مثل من خدَّام المذبح والهيكل: «ألا تعلمون أن خدَّام الهيكل من الهيكل يأكلون، وأن الذين يُلازمون المذبح نصيبهم من المذبح» (ع. ١٣)؟ أجل، من الطبيعي أن يكون لخدَّام الإنجيل نصيبهم من ثمر خدمته هبات من الكنائس تساعدهم على العيش الكريم. ولكي يؤيد بولس كلامه، لا من ممارسة العهد القديم فقط، فلربما ليس له وقع بين الذين آمنوا من أصل وثني، يُضيف بولس: «هكذا أيضًا أمر الرب (يسوع) أن الذين يُنادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون» (ع. ١٤). ولا ترد هذه العبارة بالحرف على لسان الرب يسوع، بل ترد عبارة تماثلها: «الفاعل مستحق أجرته» (مت ١٠: ١٠؛ لو ١٠: ٧)، ويستعملها بولس في ١ تي ٥: ١٨. وترد هذه العبارة دائمًا في قرائن حول التبشير والتعليم. ويُناشد بولس الكنائس أن تهتم بإعالة خدَّام الكلمة بعبارات واضحة (غل ٦: ٦؛ ١تي ٥: ١٧).

وبعد هذا التمهيد المطوَّل لتأكيد حقوق (سلطان) الرسل على الكنائس، يُقدم بولس موقفه من هذه الحقوق، فيقول إنه لم يستعمل أو يستغل لنفسه أيًّا منها، لئلاَّ يضع عائقًا أمام تقدم الإنجيل (ع. ١٢). ويكرر أنه لم يستفد من الحقوق التي يستحقها، ولا كتب لأهل كورنثوس بشأنها لكي يقدموها له (ع. ١٥). ويُضيف: «لأنه خير لي أن أموت بالحريِّ من أن - يُعطِّلَ أحدٌ فخري!» ويُلاحَظ الانقطاع في حبل الكلام بالشَّرطة، ولعل رغبة بولس كانت في أن يقول: أُفضِّل أن أموت من أن أنالَ شيئًا منكم! أو من أن تتفضَّلوا عليَّ بشيء! أو من أن أُطالب بحقوقي! ولكنه لجم قلمه لئلاَّ يشعروا بالإساءة، ثم عاد ليُطلق وبكل قوة موقفه: لن يُعطِّلَ أحدٌ فخري! وفخر الرسول بولس هو عدم المطالبة بحقوقه في الإنجيل لخير الإنجيل وتقدُّمه.

وفي الأعداد ١٦- ١٨، يتوسع بولس في شرح موقفه ويدعمه بأفكار حول الضرورة والإكراه والطوعية، وهذه المفاهيم تَضرب جذورها في أعماق النفس البشرية وتستدعي موقفًا والتزامًا مؤسسًا على حرية فكر ووضوح رؤيا.

الضرورة: يقول بولس: «إذا كنتُ أُبشر، فلا فخرَ لي، إنه التزام (ضرورة) عليَّ القيام به، فويل لي إن كنت لا أُبشر» (ع. ١٦). ويؤكد بولس بهذه العبارة شيئًا ويُنكر شيئًا. فيؤكد أنه ملتزم بإعلان البشارة إلى درجة أن يفضل الموت (الويل لي) على الامتناع عن نشر البشارة. ويُنكر أن له فخرًا إذا قام بإعلان البشارة. فإن بولس هنا يؤسس للفكرة المتفجرة التي سيطلقها في النهاية.

الإكراه: فيقول بولس: «إن كان اضطرارًا (كرهًا)، فقد استُؤمنت على وكالة» (ع. ١٧ب). الإكراه صفة عمل العبيد، والعبيد لا أجر لهم. فيستعمل بولس صياغة يُستشفُّ منها أن الأجر (المكافأة) ليس مضمونًا، فلربما يمنح السيد للعبد الموكَّل بعمل شيء، ويُمكنه ألاَّ يمنح.

الطوعيَّة: ويقول بولس: «إن كنت أقوم بإعلان البشارة طوعًا (بملء الإرادة)، فلي أجرٌ» (ع. ١٧أ). وفي حال الضرورة، لا أجر؛ في حال الإكراه، ربما يكون ثمة أجر؛ وفي حال الطوعيَّة الأجر واجب. فمن يعمل وهو حر ويتعب طوعًا لا يجوز منع الأجر عنه. وهنا يؤكد بولس أن له أجرًا، لأنه حر (ع. ١، ١٩).

وهنا يسأل بولس سؤاله الذروة: «فما هو أجري؟» ويُجيب جوابه الأمثل: «أجري هو أني وأنا أبشر أعمل للإنجيل بلا مقابل، بحيث إني ما كنت أستغلُّ (لا أستفيد إلى الحد الأقصى من) الحق الذي لي في الإنجيل» (ع. ١٨). وهذا هو أجر بولس وفخره. فأجره أن يعمل للإنجيل بلا مقابل (بلا نفقة، لا يكلف الإنجيل شيئًا)، وفخره أن لا يطالب بحقوقه في خدمته الإنجيل.

والأعداد ١٩- ٢٢، هي من الفقرات النادرة في أدب بولس،

www.christianlib.com

وتدل على ما في قلب هذا الرسول ليسوع من محبة لجميع البشر. إنه مستعد أن يجعل نفسه عبدًا في خدمة البشر أجمعين ليصل إليهم بالبشارة (ع. ١٩).

ويتقوّى معنى العبودية بوضعها في مقابل الحرية، فبولس الحر يجعل من نفسه عبدًا في خدمة خلاص الناس، وتلمح هذا في لاهوت التجسد عنده «فيسوع يأخذ صورة عبد» (في ٢: ٧)، وبولس يرغب في التشبه به (في ٢: ٥). ثم يبادر بولس في تقديم أمثلة توضح الفئات من البشر التي يرغب بولس في خدمتها بصيرورته مثلها، ويُضمِّن بولس في عرضه المتوازي الخُماسي لهذه الفئات استدراكَيْن لئلاَّ يُساء فهمه، وإليك به على التوالي:

فصرت لليهود كيهوديٍّ لأربح اليهود.

وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس،

مع أني أنا نفسي لست تحت الناموس، لأربح الذين تحت الناموس.

وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس،

مع أني لست بلا ناموسٍ لله، إنما أنا ملتزم بناموس المسيح، لأربح الذين بلا ناموس.

صرت للضعفاء ضعيفًا لأربح الضعفاء.

صرت للكل كلَّ شيء لأُخلص بعضًا منهم بكل وسيلة.

ويريد بولس أن يقول إن اليهود والذين تحت الناموس في الشطرين الأولين من عرضه الخُماسي هما الفئة نفسُها. ويستدرك بسبب عبارة «كأني تحت الناموس» بقوله: «مع أني أنا نفسي لست تحت الناموس» (حسب المخطوطات الأوثق والأقدم)، ويريد ناموس موسى. وقد عاش بولس عمره بعد إيمانه بالمسيح حُرًّا منه ما عدا بعض المناسبات (أع ٢١: ٢٤– ٢٦؛ ١٨: ١٨؛ قارن، عد ٦: ٢، ٥؛ أع ٢١: ٢٣– ٢٤؛ غل ٢: ٣– ٥؛ أع ١٦: ٣). ولربما في هذه المناسبات كان بولس يطبق مبدأه «صرت للذين تحت الناموس كأني تحت الناموس».

وفي الشطر الثالث يقصد بولس بالذين «بلا ناموس» الوثنيين من الأمم، ويستدرك بسبب عبارة «كأني بلا الناموس»، فيقول إنه ليس بلا ناموس نحو الله، إنما هو «بحكم ناموس (*ennomos*) المسيح». فقد كان بولس يأكل من ذبائح الأوثان مع من يدعوه من الوثنيين كما لو أنه وثني، ذلك لأن لا وثن في العالم (١٠: ٢٧؛ ٨: ٤) فإن المسألة حسَّاسة وتدعو بولس إلى الاستدراك والشرح لئلاَّ يُساء فهمه، وكثيرون ينتظرون كبوة منه ليساهموا في سلخ جلده «لا ينغِّصنَّ أحد عَيْشي» (الترجمة اليسوعية: غل ٦: ١٧).

ويريد بولس بالشطر الرابع «الضعفاء» المؤمنين الذين تُعوزهم المعرفة (٨: ١، ١٠– ١٢)، وقد يتعرضون للأذى الروحي إذا تصرفوا بما لا يعتقدون (رو ١٤: ٢٠– ٢٣). وبذكر «الضعفاء» يغطي بولس كل أصناف الناس الذين يُقابلهم ويتعاطى معهم في خدمة البشارة.

وفي الشطر الخامس والأخير، إن كان ثمة فئة تجاوز بولس ذكرها فإنه يغطيها بالقول «صرت للكل كل شيء»، وهذا يشير إلى عالمية نظرة بولس وشموليتها. وعندما يقول «كل شيء» يغطي تنوُّعًا لا يُحصى من الحالات التي يعمل عليها لكي يصل الإنجيل إلى جميع الناس على اختلاف عاداتهم وثقافاتهم بلا عائق.

وعندما يصل بولس إلى هذا الحدِّ من التفاني والعطاء في سبيل خلاص الناس أجمعين، يصرح بما يلي: «وأعمل كل شيء من أجل الإنجيل لأكونَ شريكًا فيه» (ع. ٢٣). فماذا يقصد بولس بعبارة «شريكًا فيه»؟ أيقصد أن يكون شريكًا في بركات الإنجيل لمنفعته الشخصية؟ أم شريكًا في السعي لنيل الآخرين بركات الإنجيل؟ أم يقصد أن يكون شريكًا في العمل مع الرسل لأجل الإنجيل؟ هذه الأسئلة وما توحي إليه لا تصيب بدقة المرمى الذي يرمي إليه بولس. فهي كلها حاصل عليها، إنما يرمي بولس إلى غاية أعمق يؤسس لها مع مرور الأيام لتصبح في النهاية ميزة يوصف بها وهي: «شريك يسوع في الإنجيل»، مع ما يتطلبه ذلك من تضحية بالنفس كما ضحَّى يسوع. ولنلاحظ عبارته «وشركة آلامه متشبهًا بموته» (في ٣: ١٠)، و«حامل في جسدي سِمات يسوع» (غل ٦: ١٧)، و«أكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة» (كو ١: ٢٤)، و«مع المسيح صُلبت» (غل ٢: ٢٠). فقد كان في قلب بولس ذلك الهوَس المتأجج أن يتشبه بيسوع في التضحية بالحياة وبكل شيء في سبيل خلاص العالم، وأن يتمم هو مهمة تبليغ الخبر السار حول فداء المسيح للعالم ومصالحة العالم مع الله به، وبهذا «يدرك الذي لأجله أدركه يسوع» (في ٣: ١٢). فقد كان يعي بولس أن فداء يسوع هو موضوع الإنجيل (١٥: ١– ٤)، وأن بإمكانه أن يكون شريكًا في الإنجيل من طريق إعلانه لجميع الأمم إلى أقصى المسكونة مع كل ما يتطلبه ذلك من تضحيات. ولا يمكن لأحد أن ينجح في هذا السعي إلاَّ إذا وحَّد نفسه بيسوع في موته ودفنه وقيامته (رو ٦: ٤– ٥). فعملية خلاص العالم بالفداء تحتاج إلى مسيح مصلوب، ونشر بشارة هذا الفداء إلى العالم تحتاج إلى رسل حياتهم مصلوبة، وهذا ما يعنيه بولس في قوله: أكمل ما نقص من شدائد المسيح (كو ١: ٢٤).

وبعد أن قدَّم بولس أطروحته في هذا الفصل، يختمه بمناشدة كل من يقرأه المشاركة في السعي لأجل نشر الإنجيل، كما يفعل هو (ع. ٢٤– ٢٧). فيقول إن العدَّائين في شوط السباق يركضون كلهم معًا، ويفوز من يصل أولاً إلى خط النهاية، فينال الإكليل جائزة لجهده (ع. ٢٤). ويتابع أنه هو نفسه يركض في الميدان عن ثقة، لا كمن يركض بلا هدف يقين ثابت، فيضيع؛ وهكذا يُلاكم، لا كمن يضرب الهواء، بل كمن يصيب هدفه (ع. ٢٦). ويفعل ذلك لكي ينال إكليلاً من يد الرب

www.christianlib.com

لا يفنى (ع. ٢٥). ويقع هذا الكلام في نطاق «العين على الإكليل».

ويرد الكلام التالي في سياق «العين على النفس». فيقول بولس إن كل من يتبارى في المنافسات الرياضية يضبط نفسه في كل شيء (ع. ٢٥). ويطبِّق الأمر على نفسه بقوله إنه يقمع جسده ويستعبده، أي يسوقه كعبد (ع. ٢٧)، كما يفعل الرياضي. ويستعمل بولس عبارتَين قويتَين: القمع والاستعباد، ليصف كيف يضبط جسده. وحيث إنه يستعمل الكلمة اليونانية (*soma*) المترجمة «جسد»، وهي في الغالب تعني «الجسم»، أي هيكل الجسد لا الطبيعة الجسدانية الغرائزية، فيكون يتكلم عن ضبط الرياضي لجسمه من أجل اللياقة البدنية لإحراز النصر، وكتشبيه من ضبط الرياضي لجسمه تنتقل الإشارة إلى الجسد الغرائزي، الطبيعة القديمة المعطوبة بالخطيئة، الذي يجب أن يُضبط لكي تبقى الروح حرة تطيع الله. ولا يجب أن تغرب عن بالنا العلاقة غير المنفصمة بين الجسم والطبيعة الجسدية، فضبط الجسم مثلاً عن الشراهة في إشباع غرائزه، يساعد على ضبط الطبيعة القديمة واستعبادها لكيلا تتسلط علينا، والعكس صحيح.

وأخيرًا، يؤكد بولس على أهمية ضبط النفس وترويض الجسد، فإنَّ من لا يفعل ذلك يَرسُب ويُرفَض، فلا يشترك في التباري. وإذ يقول «بعدما ناديت بالإنجيل لآخرين» (ع. ٢٧)، يشير إلى أن خادم الإنجيل إذا ترك لطبيعته الجسدية العنان، ولم يقم بضبطها وقمعها واستعبادها، فإنها تتجاوز الحد، ويؤدي الأمر به إلى خسارة شرف خدمة المسيح. وكم من خادم للإنجيل يسعى لإحراز إكليل لا يفنى يتناوله من يد الرب يسوع يوم رجوعه، ولكنه بسبب عدم ضبطه لأهوائه إذا به «يخلص . . . كما بنار» (٣: ١٥). يا للخسارة الفادحة!

١٠: ١– ١١: ١ رفض عبادة الأوثان والاشتراك في موائد أتباعها

هذه هي المرة الثانية في هذه الرسالة التي يتناول بولس فيها مسألة الأوثان وذبائح الأوثان بتوسُّع. وكانت المرة الأولى في الفصل الثامن. ويتشابه ما جاء في ٦: ١٢– ١٣، مع ١٠: ٢٣. فإن عدم ورود موضوع عبادة الأوثان والاشتراك في موائدها في مكان واحد وتوزُّعه في عدة أماكن في الرسالة دفع إلى الاستنتاج أن رسالة كورنثوس الأولى تحتوي على عدد من الرسائل القصيرة المختلطة الأوراق أُدمجت معًا لتؤلف رسالة واحدة، أو أن تكون أوراق هذه الرسالة قد اختلطت فتقدمت أوراق على أوراق خلال عمليات النسخ الباكرة أو قبلها.

ويتألف هذا الفصل من ثلاثة مقاطع تتناول كلها موضوع الأوثان وما يتعلق بها. ويتخذ كل مقطع منحى مختلفًا، وتشديدًا مميزًا. فبينما المقطع الأول (ع. ١– ١٤)، والثاني (ع. ١٥– ٢٢)، يبدوان حاسمين من جهة عبادة الأوثان والأكل على موائد الأوثان، فلا مساومة في هذا الشأن، بل الرفض الكلِّي، نرى نوعًا من التسامح في المقطع الثالث (١٠: ٢٣– ١١: ١) ينسجم مع الفصل الثامن. أترى يوجد فرق بين موائد الأوثان (ع. ٢١)، ودعوة وثني لمؤمن لتناول الطعام عنده (ع. ٢٧)؟ أم أن موقع تناول لحوم ذبائح الأوثان يقرر صواب الأمر أو خطأه (٨: ١٠)؟

١٠: ١٤– ١ الهرب من عبادة الأوثان يرغب بولس في هذا المقطع أن يُحذِّر مؤمني كورنثوس من عبادة الأوثان، فلا يجد أفضل مما جاء في العهد القديم وسيلة تعليم توضيحية ترسخ في الأذهان. والعهد القديم منهل التراث اليهودي. وهنا تبرز مشكلة في ذهنه، وهي: كيف يفهم مؤمنو كورنثوس، تلامذةُ المسيح، العلاقة بينهم وبين يهود العهد القديم، تلامذة موسى، وكيف يتقبَّلون دروسًا من تراث لا ينتمون إليه؟ بل لا بد أن تكون هذه المشكلة في أذهان مؤمني كورنثوس أنفسهم، فأغلبيتهم كانت من خلفية وثنية وثقافتهم يونانية، بينما كانت الأقلية من خلفية يهودية. ويعمل بولس على حل المشكلة بإظهار القاسم المشترك بين الفريقين الذي هو المسيح. فالصخرة التي شرب منها اليهود في البرية كانت المسيح (ع. ٤)، والإله الذي تذمر الشعب عليه كان المسيح (ع. ٥)، فللفريقين إذًا أصل مشترك وهو المسيح. وبالتالي، فكما أن المسيحيين يعتمدون للمسيح، كذلك اليهود اعتمدوا لموسى في عبورهم البحر (المياه)، وبحضور السحابة رمز إشراف الله على معموديتهم (ع. ٢). وهنا يُظهر بولس أن للفريقين قاسمًا مشتركًا وهو المعمودية، وإن كانت غايتها مختلفة، واحدة لموسى وواحدة للمسيح. وبعدَ المعمودية، ينتقل بولس إلى قاسم مشترك آخر هو العشاء الرباني (١١: ٢٠). فإذا كان المسيحيون «يأكلون هذا الخبز ويشربون هذه الكأس» (١١: ٢٦)، كذلك اليهود في الماضي «أكلوا الطعام الروحي ذاته، وشربوا الشراب الروحي ذاته» لأن مصدره المسيح (ع. ٤). وبهذه الطريقة، وهي شكل من أشكال التفسير الرمزي السائد في زمنه، واعتقاده بالوجود الأزلي للمسيح قبل ولادته من مريم، ألقى بولس معاني العهد الجديد على القديم وألبسها ثوبًا واحدًا. وعلى هذا الأساس يُمكن للمؤمن من أصل وثني وللمؤمن من أصل يهودي أن يستفيدا معًا من العهد القديم «لأن كل ما كُتب سابقًا كُتب لأجل تعليمنا» (رو ١٥: ٤). إن النزعة التي تبرز أحيانًا في مسار الكنيسة، هنا وثمَّة، وترغب في الادِّعاء أن لكل من العهد القديم والعهد الجديد إلهًا خاصًا به، كما قال ماركيون (في القرن الثاني الميلادي)، أو أن قديسي العهد القديم وقديسي العهد الجديد لا علاقة روحية تربط بينهما، لأنهما شعبان مختلفان، يدحضها كلام بولس الوارد هنا، كما يدحضها القول «لكي يُكمَلوا (المشهود لهم بالإيمان في العهد القديم) بنا» (عب ١١: ٣٩– ٤٠).

وبعدما وضع بولس المبدأ يشرع بالتطبيق، فيقول إن الشعب

www.christianlib.com

القديم مع كونه يتمتع بهذه الامتيازات لم يُرضِ أكثره الله، فكانت النتيجة أن سقط العديد منهم قتلى على وجه الصحراء (ع. ٥). وما حدث لهم كان أمثولة لنا لئلاّ نشتهي الشرور (ع. ٦). ثم يعدِّد بولس الشرور التي يجب أن نتجنبها، فيقول:

لا تعبدوا الأوثان: هكذا فعل بنو إسرائيل في سيناء عندما تأخر موسى (خر ٣٢: ١-٢٠)، صنعوا عجلاً وسجدوا له.

لا ترتكبوا الزنى: وإلاّ يصيبكم ما أصابهم. فقد كان عقاب الفاسقين القتل وانتشار الوبأ في الجماعة (عد ٢٥: ١-١٥)، فهلك ٢٤ ألفًا (عد ٢٥: ٩)، كما في السبعينية أيضًا، أمّا النص هنا فيذكر ٢٣ ألفًا (ع. ٨)، ولربما بسبب اضطراب الذاكرة (قارن عد ٢٦: ٦٢)، وبخاصة أن الرقوق المخطوطة لكتب العهد القديم لم تكن متوفرة لدى الرسل خلال ترحالهم من مكان إلى مكان. ولاحظ عمل الذاكرة فيما يقول بولس في ١ كو١: ١٤-١٦.

لا تجربوا المسيح: كانت التجربة الطعن في أمانة الله في توفير الطعام والشراب للشعب في البرية، فعوقبوا (عد ٢١: ٤-٩). وهنا بولس يُوحِّد بين مسيح العهد الجديد والله في العهد القديم (ع. ٩)، إلاّ إذا كان يقصد «ولا نجرِّب (نحن) المسيح كما جرَّب (اللهَ) أُناسٌ منهم»، وهذا من باب الاحتمال.

لا تتذمروا: لقد تذمر الشعب القديم على الله عدة مرات وكان الله يُعاقبهم (عد ١٤: ٢ و٣٦؛ ١٦: ٤١-٤٩). ولا يريد بولس للمؤمنين في العهد الجديد أن يقعوا فيما وقع فيه القدماء (ع. ١٠).

ويعود بولس إلى القول إن ما جاء في العهد القديم كان عبرة لإنذارنا «نحن الذين انتهت إليهم أواخر الدهور» (ع. ١١). وهذا يؤكد اعتقاد بولس أنه يعيش في نهاية الزمان (٧: ٢٩، ٣١؛ عب ١: ٢؛ ١بط ٤: ٧). ويحذر من السقوط من يظن نفسه واقفًا وثابتًا (ع. ١٢). وإذا أصابت مؤمن تجربة، فلا يتهالك من هول الصدمة، فإن الله الأمين يُعيننا (ع. ١٣). ويخلص إلى القول بعد هذه المطالعة «اهربوا من عبادة الأوثان» (ع. ١٤).

١٠: ١٥-٢٢ عدم المشاركة في موائد الأوثان في هذا المقطع يدعم بولس تعليمه الداعي إلى الهرب من عبادة الأوثان بالدعوة إلى عدم الاشتراك في موائد الأوثان. فقد كان الوثنيون بعد القيام بالشعائر الدينية في عبادتهم آلهتهم وتقديم الذبائح لها، يقومون بإقامة مآدب في الهياكل أو في أفنائها يتناولون خلالها من الذبائح المقدمة للأوثان تكريمًا لها (٨: ١٠). وهذا، عدا ما كان يرافق هذه المآدب من أفعال دعارة، حذر بولس منها في رسائله (٥: ١٠؛ ٦: ٩؛ أف ٤: ١٧-١٩؛ ٥: ٥؛ كو ٣: ٥).

الحكماء يُمكنهم الحكم في الأمور (ع. ١٥)، فيتوجه إليهم بولس لكي يؤكد طرحه بأن الذين يتناولون من العشاء الرباني يدخلون في شركة المسيح، بالمشاركة في جسده ودمه (ع. ١٦). ويشير إلى حقيقة أن المؤمنين هم جسد واحد بسبب اشتراكهم بالرغيف الواحد (ع. ١٧). ثم يوجه الأنظار إلى ما يفعله اليهود في هيكلهم، ليؤكد أن الذين يأكلون الذبائح يكونون شركاء المذبح (ع. ١٨). ويستعمل بولس هذه التشابيه كلها ليصل إلى الحقيقة التي يرغب في برهنتها، وهي: إذا كان الأكل من العشاء الرباني يجعلنا شركاء المسيح، إذًا فالأكل من ذبائح الأوثان يجعلنا شركاء الأوثان. وحيث إن الأوثان هي آلهة غير حقيقية يكون أتباعها يعبدون الشياطين بذبائحهم لا الله، ولا يرغب بولس للمؤمنين أن يشتركوا في موائد الوثنيين ويصيرون شركاء الشياطين (ع. ٢٠). وينكر بولس الوجود الحقيقي للأوثان في عبارته «أيكون ما ذُبح للوثن شيئًا (مذبوحًا له حقًّا)، أو أيكون الوثن شيئًا (حقيقيًّا)» (ع. ١٩)؟ وبما أن الأوثان غير حقيقية، يكون من يعبدها يعبد الشياطين التي أغوت الناس على عبادتها بدل الله (ع. ٢٠). والخلاصة، لا يقدر من يتناول من مائدة الرب أن يتناول من مائدة الشياطين (ع. ٢١).

ويستعمل بولس في إشارته إلى دم المسيح عبارة «كأس البركة» (ع. ١٦)، والبركة هي صلاة الشكر التي تُرفع إلى الله قبل تناول ما في الكأس (مت ٢٦: ٢٧؛ مر ١٤: ٢٣؛ لو ٢٢: ١٧). ويستعمل بولس عبارة «كأس الرب» مرتين ليشير إلى الكأس ذاتها (ع. ٢١؛ ١١: ٢٧).

وفي نهاية المقطع جاء: «أم نُثير غيرة الرب؟ ألعلنا أشدُّ قوة منه؟» (ع. ٢٢). فلقد سبق بولس فأشار في المقطع الأول من هذا الفصل إلى القصاص الذي ناله الذين تمردوا على الله وأثاروا غيرته (ع. ٥، ٨، ٩، ١٠). وفي هذا إنذار من الرسول لمن تسول له نفسه الإشراك في عبادة الله، بالاشتراك في عبادة الأوثان وموائد تكريمها.

١٠: ٢٣-١١: ١ العمل في كل مناسبة لمجد الله وخير الناس يبدأ بولس هذا المقطع بكلام يشبه ما جاء في ٦: ١٢، ويُريد به ألاّ يتسلح أحد بعبارة «كل شيء يحل» لكي يتصرف على هواه، ولا يراعي خير غيره. وصحيح أن «كل شيء يحل» ما عدا الخطيئة، ولكن ليس كل ما يحل في المسموحات «ينفع» أو «يبني» الآخرين (ع. ٢٣). فالمبدأ الذي عاشه بولس هو «لا يطلب أحد شيئًا لنفسه، بل لخير غيره» (ع. ٢٤). «حلال أن تأكلوا كل ما يُباع من لحوم عند الجزّارين ولا تتحسَّس ضمائركم بشأنها إن كانت مذبوحة لوثن أم لا، ويستشهد بالكتاب «لأن للرب الأرضَ وملأها» (مز ٢٤: ١)، إذًا هي للرب. وتتكرر العبارة ذاتها في نهاية ع. ٢٨، غير أنها غلطة ناسخ بسبب انتقال النظر. ويُضيف: إذا دعاكم غير مؤمن (إلى بيته أو إلى مطعم)، فكلوا عنده بلا سؤال عن مصدر اللحوم (ع. ٢٧)، وإذا قال أحد: هذا اللحم مذبوح لوثن، فكيف تأكل منه؟ فكُفَّ عن تناوله لئلاّ يتعثَّر هذا الذي أعلمك ويتأذّى ضميره الضعيف (ع. ٢٩). وإذا اعترض أحد على كلام بولس بقوله: لماذا يَحكُم في حريتي ضميرُ

www.christianlib.com

الآخر؟ ولماذا يُلام على أي طعام من يرفع الشكر لله على ما يتناوله (ع. ٣٠)؟ يُجيبه: إن المؤمن يجب أن يُمجد الله في كل ما يفعله، وألاَّ يسبِّب عثرة لأحد من اليهود، أو الوثنيين، أو المؤمنين «كنيسة الله» (ع. ٣١- ٣٢). فتمثلوا بي يقول بولس (١١: ١)، فغايتي لا ما ينفعني، بل ما ينفع أكبر عدد من الناس لكي ينالوا الخلاص (ع. ٣٣)، وبهذا أنا أتمثل بالمسيح.

ونستخلص من هذا الفصل، ما ألمحنا إليه في بدايته أن المؤمن لا يعبد الأوثان (ع. ١٤؛ ١يو ٥: ٢١)، ولا يشترك في تناول الطعام على موائد احتفالية تُقام ضمن الهياكل الوثنية وأروقتها والساحات التابعة لها (٨: ١٠)، ولكنه حر أن يذهب ليتناول الطعام مع وثني في غير هذه الأماكن من بيوت ومطاعم ولو كان ما يُقدَّم له من لحوم كانت قد ذبحت لوثن، إلاَّ إذا أطلعه أحد أنه يأكل مما ذُبح لوثن مستغربًا ما يفعل، عندئذ يتوقف عن أكل اللحم لئلاَّ يكون سبب عثرة لغيره (ع. ٢٧- ٢٨، ٣٢).

١١: ٢- ١٦ غطاء الرأس بالنسبة للرجل والمرأة خلال ممارسة المواهب

صحيح أن هذا العنوان يعبر عن الغاية الأساسية من كتابة هذه الفقرة، ولكن بولس أضاف خلال حديثه مواضيع أخرى، إمَّا تمهيدًا، أو إيضاحًا، أو ترسيخًا لفكرة، أهمها: علاقة المسيح بالله (ع. ٣)، وقيمة كل من الرجل والمرأة والوحدة الجوهرية بينهما (ع. ٧- ١٢). فلقد كانت كنيسة كورنثوس غنية بالمواهب على أنواعها (ف. ١٢- ١٤)، ولأن ممارسة المواهب فيها تخلَّله بعض الانحرافات، قام بولس بوضع ترتيب لممارستها بلياقة (١٤: ٤٠). وهنا أيضًا يقدِّم بولس توجيهًا لمسألة غطاء الرأس بالنسبة إلى الرجل والمرأة خلال ممارسة الصلاة والنبوة، ويُنهيه بالقول إن هذا الترتيب هو ما يعلِّمه وتمارسه كنائس الله في كل مكان (ع. ١٦).

يبدأ بولس كلامه بكلمة يمدح فيها أهل الكنيسة على أنهم يذكرونه «في كل شيء»، وحيث إن هذه العبارة قد تعني أيضًا أنهم يذكرونه في الأمور المعيشية ويتبرعون من أجل خدمته، ولم يكن بولس يتقاضى منهم شيئًا، فيكون من الأفضل ترجمتها «في كل حين»، وهكذا تعني أن خدمته بينهم لا يزال ذكرها ساريًا، أو أنهم يذكرونه بالصلاة أمام الله، وعلى هذا يمدحهم (ع. ٢). ويمدحهم بولس أيضًا لأنهم «يحفظون التقاليد كما سلَّمها إليهم». وكلمة «التقاليد» هنا هي غير «التعاليم»، والتقاليد هي الممارسات التي يتبعها المؤمنون لأن الرب يسوع، أو رسله، قاموا بها. فلاحظ مثلاً قيام يسوع بغسل الأرجل، وطلبه من تلاميذه أن يمارسوا هذا بعضهم نحو بعض (يو ١٣: ١٤؛ ١تي ٥: ١٠). وكذلك من جهة ممارسة العشاء الرباني، يقول بولس: «تسلمت من الرب ما سلمتكم» (ع. ٢٣). وهذا التسلُّم والتسليم لا يحتوي فقط على كلام أو تعليم، بل أيضًا على أشكال حركية قد نسميها شعائر، وهذه الأشكال الحركية مثل رفع الخبز ورفع العينين نحو الله بالشكر ثم تقسيم الخبز باليدين، أو رفع الكأس باليدين وثم توزيع مواد العشاء الرباني بين الحاضرين، تنتقل من كنيسة محلية إلى أخرى ومن جيل إلى جيل لا بواسطة السمع فقط، بل وبالنظر أيضًا، لهذا استعمل بولس كلمة التقاليد، لأنها ممارسة قام بولس بشعائرها بينهم، فما قد تسلَّمه من الرب من خلال الرسل الذين سبقوه سلَّمه هو أيضًا للكنيسة في كورنثوس. ولأنهم يمارسون ما سلَّمه لهم ويُحافظون عليه يمدحهم. وجميع الكنائس تتفق على أن كل تقليد وما يتضمنه من تعليم ينحرف عمَّا جاء في الكتب التي تؤلف العهد الجديد، والتي تُعتبر «القانون» أي المقياس الذي به تُقاس التعاليم والتقاليد المسيحية، يجب أن يتوقف عن الممارسة. وقد تم التوافق على هذا القانون «كتب العهد الجديد» بهمَّة أثناسيُس في الشرق وأوغسطينُس في الغرب في أواخر القرن الرابع.

الله، المسيح، الرجل، المرأة

نحن الآن في مجال العبادة، في القرن الأول المسيحي، والعبادة هنا في الاجتماع الرئيس للكنيسة يوم الأحد (يبدأ بعد غياب الشمس يوم السبت)، يوم القيامة، في البيوت، حيث يلتف المؤمنون حول مائدة الرب، فيسبحون الله ويُرنمون، ثم يحل الروح القدس على بعضهم فيصلون ويتنبأون، ويعلم المعلمون بإشراف الأسقف، ثم يتحدون بالمسيح بالتناول من العشاء الرباني، ثم يبقون معًا فترة من الوقت مشجعين بعضهم بعضًا على الثبات في حياتهم الجديدة في المسيح، وينصرفون. وفي هذا الإطار بحضور الله والمسيح والرجال والنساء وإقامة العبادة وممارسة المواهب، يقوم بولس بإسداء توجيهاته. وتوجيهات بولس في هذه الفقرة جاءت في إطار هذا الاجتماع العبادي الرئيس وليس في إطار أي اجتماعات جانبية أخرى قد تعقدها جماعة المؤمنين.

وفي هذا الإطار العبادي، يقول بولس إن الله هو موضوع العبادة الأول، وهو رأس المسيح، والمسيح رأس الرجل، والرجل رأس المرأة (ع. ٣). لماذا يضع بولس هذه الصيغة الرباعية في تسلسلها المتدرج؟ يضعها لكي يؤسس لمبدأ خضوع المرأة للرجل على مثال خضوع المسيح لله وخضوع الرجل للمسيح. ونستنتج «الخضوع» من عبارة «الرأس». فلنبحث في مسألة خضوع المسيح لله، ثم نأتي إلى مسألة خضوع الرجل للمسيح والمرأة للرجل:

www.christianlib.com

رأس المسيح هو الله

إن المعنى الأولي والبسيط والمبـاشر لهذه العبارة هو أن الله هو رئيس المسيح، وأن المسيح يخضع لله. وهذا هو معنى «رأس»، وفي العبرية «روش»، كما يتبدَّى في العهد القديم، الخلفية الفكرية للرسول بولس. وهذا ينسجم مع الغاية من كتابة هذا الجزء من الرسالة «خضوع المرأة للرجل». وينسجم هذا المعنى أيضًا مع مُجمل الإيمان الكتابي بشأن يسوع، سواء كان المقصود بكلمة «المسيح» هنا ابن الله خلال أيام تجسده، أو ابن الله الأزلي- الأبدي. فمن جهة خضوع المسيح لله خلال أيام تجسده (را. يو ٦: ٣٨؛ ٨: ٢٩؛ ١٤: ٢٨، ٣١؛ ١٥: ١٠؛ ١٧: ٤؛ عب ٣: ٢؛ ٥: ٨)؛ ومن جهة أخرى خضوع ابن الله الأزلي- الأبدي لله أبيه (را. ١كو ١٥: ٢٧- ٢٨؛ يو ٧: ٢٨؛ يو ٣: ١٦؛ ١٠: ٣٦). ويجب أن نعي دائمًا أن معنى الخضوع هنا هو خضوع الابن لأبيه، لا خضوع العبد لسيده.

وهناك معنى لصيق جدًّا لمعنى «الرئيس» لكلمة «الرأس» هو «الأصل»، ويشكل هذا المعنى سبب خضوع المسيح لله لأنه صادر منه. ويؤكد هذا المعنى قول بولس نفسه وفي السياق ذاته: «لا ينبغي على الرجل أن يغطِّي رأسه لكونه صورةَ الله وبهاءَه (مجده)؛ أمَّا المرأة فهي بهاء (مجد) الرجل» (ع. ٧). فكيف يكون الرجل مجدَ الله أو بهاءَه، وكيف تكون المرأة مجد الرجل؟ إن عبارة «الرجل مجد الله» لا تعني أن الرجل يزيد اللهَ قيمة، بل تعني أن الرجل قيمة صادرة من الله، أو بهاء (نور) يشعُّ، يصدر من الله. وكذلك «المرأة مجد الرجل»، لا تعني أنها تزيده قيمة، بل هي قيمة صادرة منه، فقد استُلَّت حواء من آدم، فهو أصلُها (ع. ٨؛ وتك ٢: ٢١- ٢٢). وبناء عليه، كما أن آدم الرجل هو مصدر حواء المرأة، هكذا الله هو مصدر المسيح، أي أصل المسيح ورأسه. فإن ما ادَّعاه آريوس من أن المسيح مخلوق مصدره من العدم وأتى به الله إلى الوجود، عارضه ودحضه أثناسيوس بقوله إن المسيح مولود غير مخلوق ومصدره الله لا العدم. فإن الابن كامن في الله الآب ويولد منه «كما (لابن) وحيد (مولود) من الآب» (يو ١: ١٤؛ ٣: ١٦، ١٨؛ يو ٨: ٤٢) وخرج (صدر) من الله وأتى منه (يو ١٣: ٣)؛ لأن المولود من الله يحفظه (يو ١٦: ٢٧- ٢٨، ٣٠؛ ١٧: ٨؛ ١يو ٥: ١٨)؛ والرب يسوع المسيح ابن الآب بالحق والمحبة (٢يو ٣)، ونضيف أن المسيح هو بهاء الله المجيد ورسم الله في الجوهر (عب ١: ٣). ولقد فسَّر قانون الإيمان النيقاوي هذه العبارة بنصِّه: «إله من إله، نور من نور، إله حقّ من إله حقّ، مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر».

رأس الرجل هو المسيح

يتابع بولس منطق الصيغة الرباعية التي وضعها: الله، المسيح، الرجل، المرأة (ع. ٣). وهنا يصل إلى خضوع الرجل للمسيح. وهذه الحلقة في الوسط ضرورية لربط سلسلة الصيغة بإحكام. فلو قال لتخضع النساء للرجال كما يخضع المسيح لله، لكان للنساء رأس يخضعن له، وما كان للرجال رأس يخضعون له. والحال، كما للمرأة رأس تخضع له هو الرجل، كذلك للرجل رأس يخضع له هو المسيح، وهكذا تحصل المساواة. طبعًا، لا يقول بولس هنا إن المسيح هو رب الرجال فقط، لا رب النساء أيضًا، إنما يرغب في التأسيس لتراتبية تتعلق في دور كل من الرجل والمرأة خلال ممارسة المواهب أثناء العبادة. فإذا كان شكل الرجل لا يليق يُشين رأسه، أي المسيح؛ وإذا كان شكل المرأة لا يليق تُشين رأسها، أي الرجل (ع. ٤- ٥).

رأس المرأة هو الرجل

وهنا يصل بولس إلى نهاية السلسلة فيرسِّخ الصيغة المنطقية التي وضعها لمبدأ الخضوع المتدرِّج من المسيح إلى الرجل وثم إلى المرأة. ولبولس تعليم مشابه في رسالة أفسس عندما يقول: «أيها النساء اخضعن لأزواجكن كما للرب، لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح هو رأس الكنيسة (أف ٥: ٢٢- ٢٣). ويقترب بولس في وضعه لهذا المبدأ من مجال شديد الحساسية قد يخلق إذا لم يُفهم بشكل سليم شعورًا بالفوقيَّة عند الرجل وشعورًا بالدونيَّة عند المرأة. ولذلك يعمل بولس على تأكيد المساواة بين الرجل والمرأة كقيمة جوهرية (ع. ١١- ١٢) فيما يتحدث عن التراتبية في العبادة والتمايز القائم بينهما فيها.

فمن جهة التراتبية وخضوع المرأة للرجل، يقول بولس إن الرجل يجب ألاَّ يغطي رأسه لكونه صورةَ الله وبهاءً ينبعث منه؛ أمَّا المرأة فهي بهاء منبعث من الرجل (ع. ٧). ثم إن الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل (ع. ٨). ثم يصل إلى الغاية النهائية: لأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل (ع. ٩). ويعتمد بولس في كل هذا البحث، بما فيه الفقرة التالية، على ما جاء في سفر تك ٢: ١٨- ٢٥. وهنا تنبغي الإشارة إلى أثر كتب العهد القديم في تكوين التعليم المسيحي الذي نراه في كتب العهد الجديد.

ويظن بعضهم أن كلام بولس هنا على غطاء الرأس كعلامة خضوع المرأة للرجل ينطبق فقط على المتزوجين، أي أن المتزوجة فقط تضع غطاء على رأسها لتُظهر خضوعها لرجلها، أم العازبات فلا يُطلب منهن ذلك. ونقول إن بولس يقصد هنا بالرجال مطلق الرجال وبالنساء مطلق النساء، بينما في أف ٥: ٢٢- ٢٤، فكان يقصد المتزوجين. عدا أن نذكر أن ذهنيتنا الشرقية هي ذهنية خضوع النساء عامة للرجال عامة، فالفتاة تخضع لأبيها ولأخيها الأكبر منها ولأعمامها وأخوالها.

www.christianlib.com

أمَّا من جهة تأكيد المساواة في الجوهر بين الرجل والمرأة، فيقول: غير أن المرأة ليست بلا الرجل، ولا الرجل بلا المرأة في الرب (ع. ١١). إن عبارة «في الرب» تعني: في الحياة المسيحية في الكنيسة، أو في التعليم المسيحي. ويريد بهذا أن قيمة المرأة هي بالرجل وقيمة الرجل هي بالمرأة، كأنه يقول: إن المرأة ليست شيئًا بلا الرجل، ولا الرجل بشيء من دون المرأة. ويتابع حجته: فكما أن المرأة أُخذت من الرجل، هكذا الرجل يأتي من خلال المرأة (بالولادة)؛ وكل شيء (وكلا الفريقين) من الله (ع. ١٢).

هل يقصد بولس بقوله «إن الرجل هو صورةُ الله وبهاؤُه؛ أمَّا المرأة فهي بهاء الرجل» (ع. ٧) أن الرجل وحده هو صورة الله، أمَّا المرأة فلا؟ إن نص كتاب التكوين واضح، فالإنسان المخلوق على صورة الله هو البشرية، وذكرًا وأُنثى خلقهم على صورته (تك ١: ٢٧).

حال شعر الرجل وشعر المرأة ودلالتهما

في زمن بولس وحتى اليوم، السائد، أن يتميز الرجل بقصر شعره والمرأة بطول شعرها. وفي النص هنا، إذا أرخى الرجل، أو أسدل شعره وطال، فذلك مهانة له وعيب عليه (ع. ١٤). ومن جهة المرأة، فشعرها المُنسدل فخر لها ومجد، وإذا قصَّت شعرها أو حلقته، فذلك قبيح بها وعار عليها (ع. ٦). ويستفتي بولس الطبيعة بقوله: أليست الطبيعة نفسها تعلِّمكم؟ ويقصد طبيعة الإنسان الفطرية التي جعلت الرجال والنساء يتصرفون من جهة تقصير شعرهم أو إطالته بنزعة منهم طبيعية، بلا تأثير وصية أو شريعة. وبهذا التعليل تبرز الدلالةُ التي يرمي إليها بولس: الشعر الطويل مهانة للرجل وفخر للمرأة، والشعر القصير فخر للرجل وعار للمرأة.

غطاء الرأس وعدمه للمرأة وللرجل ودلالته

لنعرِّف ما هو غطاء الرأس. إن غطاء الرأس تلك الأيام يماثل المنديل الذي تلف به المرأة رأسَها كما نراها في مجتمعاتنا العربية، أو يشبه الطرحة التي تضعها العروس على رأسها فيغطي العنق الخلفي ويتدلَّى إلى الكتفين. فإن كلمة «برقع» (ع. ١٥) لا تؤدي معنى الكلمة اليونانية «*peribolaion*» التي تعني «غطاءً يلف الرأس» أو «طرحة»، بينما البرقع يغطي الوجه كالحجاب والنقاب.

ونأتي إلى استعمال غطاء الرأس خلال القيام بالخدمة في اجتماعات الكنيسة. فنبدأ بالرجل. لا يغطي الرجل رأسه بينما يقوم بالصلاة أو التنبُّؤ (ع. ٤)، لأنه إذا فعل يُشين رأسه، أي المسيح (ع. ٣). كذلك «لكونه صورة الله ومجده» (ع. ٧)، فيجب ألاَّ يغطي مجد الله فيه، بل يُعلنه برأسه المكشوف. وبهذا تتبيَّن الأسباب التي تدعو الرجل ليبقى مكشوف الرأس خلال ممارسة المواهب.

ومن جهة المرأة، يجب أن تغطي المرأة رأسها للأسباب التالية:

أولاً: لأنها إن لم تفعل تشين رأسها، أي الرجل (ع. ٣).

ثانيًا: لأنها «مجد الرجل» أي قيمة صادرة منه (ع. ٧). وبهذا المعنى يكون الغطاء على رأس المرأة علامة خضوع للرجل، ذلك «لأن الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل» (ع. ٨). «هذه تُدعى امرأة لأنها من امرء أُخذت» (تك ٢: ٢٣).

ثالثًا: لأنها لأجله خُلقت لا هو لأجلها (ع. ٩). فـ«ليس جيدًا أن يكون آدم وحده، فأصنع له معينًا نظيره» (تك ٢: ١٨).

رابعًا: من أجل الملائكة، يقول: «لهذا ينبغي على المرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة» (ع. ١٠). وتعني العبارة «سلطان على رأسها» أن الغطاء على الرأس كعلامة خضوع المرأة لسلطان الرجل.

وماذا تعني العبارة «من أجل الملائكة»؟ بعضهم قال: تتغطى مثل السرافيم (إش ٦: ٢). أو تتغطى لكيلا تُغري الملائكة «أبناء الله» الذين نزلوا إلى الأرض ليزنوا ببنات الناس (تك ٦: ٢). أو احترامًا لرعاة الكنائس «الملائكة» (رؤ ١: ٢٠؛ ٢: ١). أو لأن ما نقوم به من خدمة يكون قدام الملائكة (جا ٥: ٦). وجميع هذه الأسباب غير مقنع ويُمكن دحضه، ولكن لئلاَّ نُطيل نعتمد المتوافق عليه وهو أن الملائكة يشرفون على عبادتنا كحراس ومراقبين، ونحن إن قمنا بواجبنا خلال ممارسة المواهب، يقول بولس، نرضي الله لأنه رأس الجميع (ع. ٣، ١٢).

خامسًا: لا يليق أن تخاطب المرأة الله بالصلاة وهي مكشوفة الرأس. فيقول: «احكموا أنتم: أيليق أن تصلي امرأة إلى الله وهي غير مغطاة» (ع. ١٣)؟ برأي بولس إذا لم تغطِّ المرأة رأسها خلال الصلاة أو التنبؤ تكون كأنها حليقة الرأس (ع. ٥)، أو يكون عليها أن تقص شعرها، وحيث إنه من العار عليها أن تقص شعرها أو تحلقه (ع. ٦)، يجب أن تغطي رأسها. إن في هذا الكلام تضمين مفاده إذا المرأة لا تغطي رأسها خلال ممارسة المواهب، فلتكن مثل الرجل، أي ذات شعر قصير، ولأن الرجل لا يُطلب منه أن يغطي رأسه خلال ممارسة المواهب. وإذا كان من العار أن تقص شعرها مثل الرجل، فلتتغط (ع. ٦).

سادسًا: الطبيعة تعلمنا أن الشعر الطويل مهانة للرجل وفخر للمرأة (ع. ١٤– ١٥). ولهذا فالشعر الطويل الذي هو فخر المرأة ومجدها قد أُعطي لها عوض غطاء رأس، إذًا غطاء الرأس فوق الشعر يليق بالمرأة جدًّا لأنها معتادة على الشعر الطويل كغطاء، فلا يضيرها الغطاء الإضافي الذي يُظهر خضوعها للرجل! أليس هذا معنى «لأنَّ» في وسط ع. ١٥؟

نظرية غطاء رأس المرأة هو شعرها

يُتداول في بعض كتب التفسير نظرية مفادها أن غطاء رأس

www.christianlib.com

المرأة هو شعرها الطويل (ع. ١٥)، ورأس الرجل المكشوف بلا غطاء هو شعره القصير (ع. ٤، ٧). والخلاصة برأيهم أن الرسول لا يطلب غطاء إضافيًّا تضعه المرأة على رأسها فوق شعرها الطويل. وتعتمد هذه النظرية على عبارتين وردتا في هذا المقطع الذي نشرحه (١١: ٢-١٦).

العبارة الأولى: «وله على رأسه شيء» (ع. ٤). وتعني بترجمة دقيقة «وله ما ينسدل (يَنزل *kata*) من رأسه، أو من على رأسه»، ولا يستطيع أحد الجزم إذا كان المنسدل هو الشعر، أو هو المنديل المتدلي من على الرأس. وإذا كان المعنى الأول، أي الشعر المرخي من الرأس، هو الصحيح، تُرجَّح كفة التفسير القائل بأن المسألة هنا هي مسألة شعر طويل وشعر قصير لا مسألة غطاء رأس أو عدمه. ولكن ما يؤيد التفسير الثاني، أي المنديل المتدلي من على الرأس، فهو السياق ذاته إذ يقول: «ينبغي على الرجل ألاَّ يغطي رأسه» (ع. ٧)، ويستعمل كلمة «يغطي». وفي مقابل الرجل الذي إذا انسدل المنديل من على رأسه يشين رأسه، تشين المرأة رأسها إذا كان «غير مغطي» (ع. ٥). وهنا ترجح قرينة الكلام المعنى الثاني، وهو أن المسألة مسألة غطاء رأس لا مسألة شعر.

العبارة الثانية: «أمَّا المرأة إذا أرخت شعرها، فهو فخر لها؛ لأن الشعر المرخي أُعطي لها عوض طرحة (ع. ١٥). واستُنتج من عبارة «الشعر المُرخى عوض طرحة» أن الشعر المُرخى يحل محل غطاء الرأس لدى المرأة، وبالتالي غطاء رأس المرأة هو شعرها، فالمسألة هنا لا مسألة الغطاء، بل مسألة الشعر.

ويمكن الرد لدحض نظرية «غطاء رأس المرأة هو شعرها» بالدفوع التالية:

الدفاع الأول: كثرة استعمال كلمة غطاء في هذه الفقرة، الأمر الذي يؤكد مسألة الغطاء المادي لا الشعر الطبيعي. فإن كلمة غطاء ومشتقاتها ترد في الأعداد التالية: ٥ و٦ (مرتان) و٧ و١٠ (سلطان على رأسها) و١٣ و١٥ (طرحة). فلو كانت المسألة تخص الشعر، فلماذا لا يكرر بولس عبارة شعر طويل أو مرخي، بدل تكرار كلمة غطاء وبكثافة؟ إن تكرار كلمة غطاء يدل على أن المسألة هي مسألة غطاء.

الدفاع الثاني: يعتبر بولس أن فخر المرأة هو شعرها المرخي (ع. ١٥)، وبالتالي فهي دائمًا لابسة طرحتها أو غطاء رأسها، واستطرادًا هذا شكلها اللائق أمام الله خلال العبادة، ولكن إذا مارست الصلاة والتنبؤ خلال العبادة يقول بولس عليها أن تضع غطاء على رأسها فوق شعرها، علامة خضوعها للرجل (ع. ٥)، وإلاَّ فهي تتصرف بغير لياقة (ع. ١٣).

الدفاع الثالث: لو كانت الكنيسة الباكرة فهمت من تعليم بولس هنا أن غطاء المرأة هو شعرها المرخي، فكيف نفسِّر نشأة تغطية رأس المرأة بمنديل خلال العبادة، هذا التقليد الغارق في القدم واستمر حتى أواسط القرن العشرين بشكل عام في العالم المسيحي وإلى الآن في الشرق الأوروبي والأوسط وروسيا، ما خلا بعض الكنائس المحلية هنا وثمة. وهكذا يتبرهن أن المسألة هنا هي مسألة غطاء فوق شعر الرأس لا مجرد شعر طال أم قصُر.

غطاء الرأس أو كشف الرأس وعلاقته بالصلاة والنبوة

اعتاد الرجال في شرقنا على كشف رؤوسهم أثناء العبادة فيخلعون قبعاتهم أو كوفيَّاتهم عند دخولهم الكنائس، وكذلك النساء اعتدن على لبس منديل يغطِّين به رؤوسهن عند دخولهن الكنائس، دون دراية بأصل هذه العادة أو صحتها، أو بما يعلمه بولس بشأنها في رسالة كورنثوس. وأنا على يقين أن النساء في الغالب يدخلن الكنائس ويضعن غطاء رأس ولا يعرفن أن الغاية من الغطاء، لا احترام الله وبيته كما تظن، بل إظهار خضوعهن للرجال.

إن إمعان النظر في نص هذه الفقرة يُبيِّن أن الرجل يجب أن يكشف رأسه وأن المرأة يجب أن تغطي رأسها **فقط** عند القيام بالصلاة أو النطق بالنبوة. فيقول: «كل رجل يصلي أو يتنبَّأ وله على رأسه شيء... كل امرأة تصلي أو تتنبَّأ ورأسها غير مغطى» (ع. ٤-٥). غير أن بعضهم من دون بحث كاف يفهم من كلمة «يصلي» و«تصلي» الصلاة والمناجاة القلبية الداخلية، أي العبادة، ويعتبر أن على الرجل كشف رأسه خلال وجوده في الكنيسة، وأن على المرأة أن تتغطى خلال وجودها في الكنيسة. إنما معنى الصلاة هنا هو الصلاة الجهارية المنطوقة والمسموعة، وذلك لارتباطها بالتنبؤ «يصلي أو يتنبَّأ»... «تصلي أو تتنبأ»؛ وبالتالي، يطلب بولس كشف رأس الرجل وتغطية رأس المرأة، لا خلال وجودهما في مكان العبادة كل الوقت، بل فقط خلال قيامهما بالصلاة والتنبؤ. ولماذا يطلب هذا فقط خلال الصلاة وممارسة النبوة؟ من روح الفقرة يتبين أن حاجة المرأة لأن تُظهر خضوعها للرجل هو من خلال هذا الدور الذي تقوم به خلال العبادة، فإذا قامت بالصلاة أو التنبؤ تضع الغطاء علامة الخضوع للرجل، ويُمكن الاستنتاج وكأن ممارسة المواهب الكلامية هو من حق الرجل (١تي ٢: ٨ يصلي الرجال)، فإذا هبَّ الروح في المرأة لتقوم بالصلاة والتنبؤ يمكنها ذلك إذا وضعت غطاءً على رأسها، فتعلن أنها لا تتعدى على حق الرجل في ممارسة هاتين الموهبتين.

وهنا يجب أن نقول إن عادة النساء تغطية الرأس خلال وجودهن في الكنائس ابتدأت بأنهن كن يجلبن معهن مناديل ويضعوهن على رؤوسهن حتى إذا دفعهن الروح القدس للصلاة والتنبؤ يكُنَّ جاهزات لذلك، وتطور الوضع إلى أن أصبح وضع غطاء على الرأس طوال وقت اجتماع الكنيسة عادة سائدة أو تقليدًا متبعًا في بعض الكنائس المسيحية.

www.christianlib.com

رأي الكنيسة في غطاء الرأس

رأي الكنيسة في غطاء رأس المرأة أثناء الصلاة كغيره من آراء الكنيسة في خدمة المرأة في الكنيسة في أي منصب قيادي، نسب إلى تعاليم الرسول بولس. بنت الكنيسة معظم آرائها على تفسيرها لما جاء في رسائل بولس الرسول، خاصة ما جاء في الرسالة الأولى إلى الكنيسة في كورنثوس وفي الفصل الحادي عشر بالتحديد. وأيضاً ما جاء في رسالة بولس إلى تيموثاوس كان له دورٌ في تحديد آراء الكنيسة بخصوص معظم القضايا التي تتعلق بخدمة المرأة.

أمَّا موضوع «غطاء الرأس» للمرأة أثناء الصلاة نجده فقط في كورنثوس الأولى في الفصل الحادي عشر، في قرينة أثارت جدلاً في الكنيسة غير قليل عبر التاريخ.

في معرض تحفيزه الكنيسة على أن تحفظ التعاليم كما سلّمها لهم يقول الرسول: «. . . أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح. وأما رأس المرأة فهو الرجل. ورأس المسيح هو الله. كل رجل يصلي أو يتنبأ وله على رأسه شيء يشين رأسه. وأما كل امرأة تصلي أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه، إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها. وإن كان قبيحاً بالمرأة أن تُقصَ أو تحلق فلتتغطَّ. فإن الرجل لا ينبغي أن يغطيَّ رأسه لكونه صورة الله ومجده. وأما المرأة فهي مجدُ الرجل». (١كو ١١: ٣- ٧) واضح أنه في كنيسة كورنثوس كانت المرأة كالرجل تصلي وتتنبأ في الكنيسة وقت العبادة. المشكلة هنا تبدو أنها تتعلق بالمنظر الخارجي مثل لباس القبة هذه الأيام أو الروب الأسود، اللذين يشيران إلى أن المصلي أو المتنبئ هو خادم بشكل رسمي. وربما غطاء الرأس يتعلق بالعادة الاجتماعية المقبولة من امرأة تتكلم في الجماعة.

ما يثير التساؤل والإعجاب في هذه الأعداد هو ما أكمل الرسول في كتابته «رأس كل رجل هو المسيح. وأما رأس المرأة فهو الرجل. ورأس المسيح هو الله. . . فإن الرجل صورة الله ومجده. وأما المرأة فهي مجد الرجل».

تكلم بولس في غير مكان عن هرمية الخلق كما نقرأ في تك ٢، الله، المسيح، الرجل، المرأة هذا من حيث إعلان الوجود الزمني.

أنا أركن إلى قصة الخلق الأولى عندما خلق الله الإنسان ذكرًا وأنثى خلقهما على صورته ومثاله. ولا أستطيع أن أفقه قول بولس بأن الرجل صورة الله ومجده والمرأة مجد الرجل.

لكن بدون شك يبدو أن بولس كان يتكلم عن قضية قائمة في الكنيسة في كورنثوس وأثارت خلافًا وارتباكًا في الكنيسة التي أرسلت إلى بولس طالبة مساعدته.

كورنثوس كانت مدينة يونانية مهمة وكانت محطة الرسول في رحلته التبشيرية الثانية بعد خطبته الشهيرة في آريوس باغوس بأثينا. أقام الرسول فيها سنة ونصف وعمل مع أكيلا وبريسكلا امرأته وشهد فيها بقوة وأسس كنيستها. وهناك قابل الرسول مقاومة من اليهود (أع ١٨).

كنيسة كورنثوس كان فيها يهود ويونانيون يشتركون بالإيمان المسيحي ويعيشون ويعبدون معًا. بالطبع كل من هؤلاء جاء إلى الكنيسة بحضارته الخاصة ومارس عاداته الاجتماعية وتقاليده المتنوعة. ومن الطبيعي في محيط كهذا أن يحصل تضارب في العادات والممارسات التي تقود إلى الجدال وربما إلى الانقسام. وواضح أن الكنيسة أرسلت إلى بولس للمساعدة في حل هذه المشاكل والقضايا.

في مدينة وثنية مثل كورنثوس كثرت الهياكل الوثنية حيث خدمت فيها المرأة ومورس الزنى الديني وكانت النساء الخادمات محلوقات الشعر. ويقال إنَّ اليونانيين كرهوا رؤية الشعر المغطى عند النساء، ولم يقبل اليهود كشف الشعر أثناء العبادة. هكذا يبدو طبيعيًا أن يقوم الجدل حول غطاء الرأس في الكنيسة الجماعة الدينية الجديدة التي تمارس اجتماعات الصلاة والعبادة. لا تريد الكنيسة أن تشبه نساؤها المصليات أولئك النسوة في الهياكل الوثنية. أضف إلى ذلك أن اليهود اعتبروا غطاء الرأس علامة خشوع وتواضع. يقول (*Bristow*) في كتابه *What Paul Really Said About Women?* «وكان مطلوباً من المرأة اليهودية أن تغطي شعرها عندما تخرج من البيت، لأنها إن أرخت شعرها بين الجماعة تكون كمن يُغري الرجال ليخطئوا». يستمر نفس الكاتب بالقول «الزانيات قصصن شعرهن قصيرًا جدًا وأحيانًا حلقنه كما يفعل الرجال».

غطاء الشعر أو عدمه هنا يبدو قضية اجتماعية تتعلق بالياقات الاجتماعية آنذاك. بالإضافة إلى أنه بحسب برستو (*Bristow*) «إن عادة غطاء الرأس في العبادة اليهودية تتعلق بفكرة إشعاع الله في وجه موسى».

بعد أن تقابل موسى مع الله في جبل سيناء بحسب سفر الخروج ٢٩: ٢٤- ٣٥ صار جلد وجهه يلمع فلبس موسى برقعًا. فالغطاء كان أصلاً للرجال والنساء وقت العبادة وهو ما يُعرف «بالطليس»، أي وشاح يلبسه المصلون اليهود. وكان هذا رمزًا لمجد موسى حتى وقت الرسول بولس».

كأن بولس في تمييزه بين رأس المرأة ورأس الرجل يريد أن يعطي سببًا لاهوتيًا لعدم لبس هكذا وشاح من قبل الرجال - إن موسى ليس رأسهم بل المسيح هو رأسهم. هكذا على الرجل أن يصلي مؤمنًا بأن المسيح هو رأسه. أما بالنسبة إلى شعر المرأة التي عادة تتغنى المرأة بشعرها وتفتخر بجماله (وهذه عادة اجتماعية بحتة) عليها وقت الصلاة أن تغطي هذا الجمال ليظهر جمال المسيح فقط.

في العدد الخامس عشر يقول بولس «وأما المرأة إن كانت تُرخي

www.christianlib.com

شعرها فهو مجد لها لأن الشعر قد أعطي لها عوض برقع».

مع أن الرسول بولس في هذه الفقرة (١: ١١– ١٦) يبدو غير واضح بعض الشيء لكنه يريد بحكمة ودراية وغيرة إيمانية أن يقول للكنيسة، إنَّ وقت الصلاة هو وقت مقدس حيث يجب أن يجرى كل شيء بترتيب ونظام بحيث لا شيء يعيق اجتماع النفس بخالقها. كل الأنظار والمشاعر يجب أن ترتفع إلى فوق حيث المسيح جالس لتقديم السجود والإكرام له وحده.

نحن لا نعلم إن كانت الكنيسة الأولى فرضت غطاء الرأس للمرأة وقت الصلاة. ونعلم أن العادات الاجتماعية حتى وقت بولس لم تكن نفسها في كل مكان. واليوم مثلاً في كنائس لبنان نجد بعض الكنائس تتوقع أو ربما تفرض على المرأة أن تغطي رأسها وقت الصلاة وكأن هذا ضرورة إيمانية. في كنائس أخرى غطاء الرأس ليس قضية بحث على الإطلاق ولا يبدو أنها ضرورة إيمانية. بالإضافة إلى ذلك نجد في كنائس أخرى نساء يعبدن بغطاء الرأس وأخريات مكشوفات الرأس، ولا تجري مقارنات نقول إن المغطاة تصلي بشكل أفضل من مكشوفة الرأس. وفي معظم هذه الكنائس المرأة لا تصلي بصوت مسموع وكثيرًا ما لا تعطى فرصة القيادة إلا في النذر القليل. (وأريد أن أؤمن أن ١كو ١١ كان واضحًا بأن المرأة كما الرجل صلت وتنبأت ومارست القيادة).

نحن نعلم أن يسوع أرسى مبادئ العبادة الحقيقية التي لا تتعلق لا بالمكان ولا بالزمان ولا بأي إطار خاص (يو ٤). العبادة الحقيقية التي ترضي الله هي بالروح والحق. إن اقترابنا إلى الله هو اقتراب روحي مع مراعاة الترتيب والحشمة والخشوع والورع والتواضع أمام الخالق العظيم. علينا أن نفهم فكر المسيح ونتصرف بموجبه. كان هذا بالحق جل اهتمام الرسول بولس أن يوضحه رغم الارتباك في كنيسة كانت قائمة المشاكل فيها طويلة. وفي فكر الرسول إيمان راسخ أنه رغم الممارسات والأعراف الاجتماعية «... أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب. لأنه كما أن المرأة هي من الرجل هكذا الرجل أيضًا هو بالمرأة. ولكن جميع الأشياء هي من الله». احكموا في أنفسكم». (١١: ١١– ١٣).

المراجع

Bristow, John Temple. *What Paul Really Said About Women*. San Francisco: Harper, 1988.

الدكتورة ماري عازار ميخائيل

ممارسة الصلاة والتنبؤ

كان المؤمنون والمؤمنات في الكنيسة الباكرة يجتمعون في البيوت للعبادة ويجلسون في دائرة وبعضهم يقف. وخلال العبادة كان بعض من الحاضرين من الرجال والنساء يقوم بالصلاة أو التنبؤ بدافع من الروح القدس. من يحركه الروح ليصلي أو يتنبأ يقف في مكانه، الرجل يكشف رأسه إن كان مغطى، والمرأة تغطي رأسها إن كان مكشوفًا، ثم يشرع في نطق الصلاة وهو مغمض العينين، وقد يكون رافعًا يديه (١تي ٢: ٨ رافعين أياد طاهرة). فمن يصلي يخاطب الله باسم الحاضرين طالبًا منه أن يباركهم ويبارك عبادتهم بحضوره تعالى، ويقول الجميع: آمين، تأييدًا له. ومن يتنبأ يقف في مكانه تمامًا كما يقف المصلي مغمض العينين ورافعًا يديه، وعلى عكس المصلي لا يخاطب الله باسم الحاضرين، بل يخاطب الحاضرين باسم الله كما يفعل الأنبياء، «هكذا يقول الرب ...». و«يكلم الناس بما يبني ويشجع ويزيل الهم» (١٤: ٣). وظن بعضهم بسبب سوء الترجمة (كلمة وعظ يجب أن تكون تشجيع) في ١٤: ٣، أن الوعظ يعني الوقوف على المنبر ومخاطبة الناس كما يفعل الخطيب أو الواعظ، ولكن في الكنيسة الباكرة لم يكن يقف في وسط الجماعة ليعظ أو يعلم سوى الأسقف، أما بقية المؤمنين رجالاً ونساء فيقفون في مواضعهم حيثما كانوا، وينطقون صلاتهم أو نبوتهم. وهكذا قال بطرس مستشهدًا بيوئيل النبي (أع ٢: ١٦– ١٨)، وهكذا كانت بنات فيلبس يفعلن (أع ٢١: ٩).

ذهب بعضهم إلى أن المرأة يجب أن تصمت في الكنيسة المجتمعة ولا يُسمح لها أن تتكلم، لا تصلي ولا تتنبأ، بناء على ١٤: ٣٤– ٣٥؛ ويقرنون ذلك بأن الرجال فقط يصلون جهارًا (١تي ٢: ٨). غير أن الموضوع في ١٤: ٣٤– ٣٥ ليس عن ممارسة المواهب، بل نستنتج أنه عن المماحكة بالأسئلة خلال الاجتماع وبخاصة مع المعلمين، لذلك ينصح النساء أن يسألن رجالهن في البيت، أمَّا جواز ممارسة المرأة للمواهب الكلامية في اجتماع الكنيسة فيؤيده التعليم الوارد في ١١: ٥ و١٣؛ أع ٢: ١٦– ١٨؛ يوء ٢: ٢٨– ٢٩؛ أع ٢١: ٩. وإذا كانت العبارة «يصلي الرجال» (١تي ٢: ٨) يُقصد بها حصر الصلاة في الاجتماع بالرجال فقط، فإن طلب بولس أن تضع النساء غطاء على رؤوسهن عند ممارسة الصلاة والنبوة (ع. ٥) يمنح المرأة حقًا مساويًا للرجل في ممارسة المواهب الكلامية (ع. ٤)، ما عدا التعليم (١تي ٢: ١١– ١٢).

التفسير الثقافي– الحضاري

مع تقدم العلوم الأنثروبولوجية (علم الإنسان) التي نمت في حضن الإرساليات المسيحية في انتشارها في جميع أنحاء المعمورة، وأدت إلى ازدياد الوعي بتنوع الثقافات والعادات والحس الأخلاقي والخصائص الجسدية لدى البشر ونظرتهم إلى العالم والوجود، نشأ علم في المسيحية متأثر بهذا الواقع هو «التفسير الثقافي– الحضاري». وبسبب أن رسالة المسيح عالمية المدى (مت

www.christianlib.com

٢٨: ١٩؛ أع ١: ٨؛ رؤ ٧: ٩)؛ يهدف هذا العلم إلى ترسيخ الفكرة أن المسيحية يُمكن أن تُقبل وتُعاش وتمارس عند كل الشعوب والاثنيات العرقية على اختلافها، انطلاقًا من تعليم بولس «صرت للكل كل شيء لأُخلِّص على كل حال قومًا» (٩: ٢٢). وبسبب أن يسوع المسيح وتعليمه وتعاليم رسله كلها جاءت من ضمن الإطار الفكري والحضاري والديني السائد بين اليهود وشعوب الشرق الأدنى (بين مصر وتركيا، خط طول، والعراق واليونان، خط عرض)، من جهة المكان، وقبل ألفي سنة (القرن الأول المسيحي)، من جهة الزمان؛ يسعى هذا العلم إلى تجريد الرسالة المسيحية الأساسية من غلافها الثقافي– الحضاري الذي اكتست به بسبب نشوئها فيه، قدر المستطاع (٩: ٢٠– ٢٢)، إن كان هذا الغلاف يشكل عائقًا لقبول الإنجيل ولممارسة الشعائر الدينية المتصلة به. والأمر نفسه يصح إن لم تعد الرموز المسيحية التي تُغلِّف التعاليم مفهومة لدى شعب معين، أو حضارة معينة، بسبب التباعد التاريخي أو الجغرافي.

وتبرز هذه الفقرة (١١: ٢– ١٦) في كل بحث يتناوله «علم التفسير الحضاري» لما فيها من أمور تتعلق بصميم هذا الموضوع. أولاً النظرة إلى الرجل والمرأة والتمايز بينهما، ثم دلالات الشعر الطويل والقصير، يليه دلالات غطاء الرأس وكشفه خلال ممارسة الخدمة الكلامية وسط الكنيسة. في المقابل، نحن الآن في عصر ينحو إلى إزالة التمايز وتطبيق المساواة على كل الأصعدة بين الرجال والنساء، ودلالات طول الشعر وقصره اختلطت بين الرجال والنساء في كل مكان، وانعكست الأدوار فهناك رجال يرخون شعرهم ونساء يقصِّرن شعرهن، عدا وجود قبائل في أفريقيا مثلاً، لا ينبت شعر المرأة إلى درجة كافية لينسدل من رأسها، فيبقى أزغبَ على رأسها مثل رجال هذه القبائل. وإذا كان غطاء المرأة على الرأس في زمن بولس يدل على خضوعها للرجل، فهذا لا يعني شيئًا في نظرة الكثير من الشعوب، وحتى المسيحيات اللواتي يغطين رؤوسهن في الكنائس في الكثير من المناطق في العالم، ومنها منطقتنا، لا يدرين أنهن يفعلن ذلك كعلامة خضوع للرجال، بل يظنَّن أنهن يُكرمن الله في ذلك.

في رأي «علم التفسير الثقافي– الحضاري»، بناء على ما سبق، يجب الحفاظ على **مضمون** المبادئ الأساسية التي يعلمها بولس، أمَّا **الشكل** الحضاري المرتبط بالزمان والمكان، فتُترك الحرية لكل الشعوب والحضارات التي يصل إليها الإنجيل أن تتقيد به أو لا، كل منها بحسب مفهومه، وبحسب تغيُّر معاني الرموز أو تلاشيها. فإذا كان **مضمون** ما يعلمه بولس في ١١: ٢– ١٦ هو احترام المرأة للرجل، فيجب المحافظة على هذا **المضمون** والتعبير عنه **بالشكل** المناسب، أكان غطاءَ رأس خلال ممارسة المواهب، أو تعبيرًا آخر غيره، حسب المفهوم الحضاري للمنطقة التي يصل إليها الإنجيل مكانًا وزمانًا. فقد كان غسل الأرجل في زمن يسوع وحضارته دليل تواضع وخدمة (يو ١٣: ١– ١٥)، ولكن في عصرنا الحاضر قد تكون علامة التواضع والخدمة أن يقوم المؤمنون بمسح أحذية بعضهم بعضًا!

١١: ١٧– ٣٤ ترتيب ممارسة العشاء الرباني

إن هذه الفقرة التي يتناول بولس فيها ترتيب ممارسة العشاء الرباني هي من الفقرات الأساسية في العهد الجديد التي تتناول هذا الموضوع بسبب أنها كُتبت قبل تدوين أي من الأناجيل الإزائية الثلاثة والفقرات التي تتحدث عن العشاء الرباني فيها (مت ٢٦: ٢٦– ٣٠؛ مر ١٤: ٢٢– ٢٦؛ لو ٢٢: ١٤– ٢٠). فلقد سبق بولس في كتابة الفقرة المحددة بالعشاء الرباني (ع. ٢٣– ٢٦) مرقسَ أولَ البشيرين بنحو اثنتي عشرة سنة (كتب بولس كورنثوس الأولى نحو ٥٣– ٥٤م.)، وسبق متى ولوقا بما لا يقل عن خمس وعشرين سنة. فإن مقابلة سريعة بين نصوص الفقرات تُظهر تأثير مرقس على متى وتأثير بولس على لوقا. وينبغي على كل من يبحث في موضوع العشاء الرباني أن يضم إلى الفقرات المثبتة أعلاه ما ورد في ١كو ١٠: ٣– ٤؛ ويو ٦: ٣٢– ٦٣.

علاج سوء الممارسة

إن الذي دفع بولس لكتابة هذه الفقرة لم يكن ممارسة العشاء الرباني أو عدمه في كنيسة كورنثوس، إنما سوء ممارسته. وهذا أدَّى إلى ضرر روحي كبير سبَّب شرخًا (انشقاق، ع. ١٨) تناول عمق الشركة الأخوية «تجتمعون ليس لخيركم بل لضرركم» (ع. ١٧)، وذلك بالاستخفاف بحضور الرب في الكنيسة المجتمعة، وبإخجال الفقراء المعدَمين (ع. ٢٢). وكانت الكنائس في عصرها الباكر تجتمع يوم الأحد، وبعد التسبيح وسماع الكلمة تبلغ العبادة الذروة بممارسة العشاء الرباني الذي غايته تذكُّر المسيح والاتحاد به (ع. ٢٣، ٢٥؛ ١٠: ١٦). وكان المؤمنون يجلبون طعامهم معهم ليتعشوا معًا بعد انتهاء فترة التسبيح وسماع الكلمة، وفي وسط العشاء (مر ١٤: ١٧ و٢٢)، وكما عمل يسوع، يقوم الأسقف بإجراء مراسم العشاء الرباني. هل التزم المؤمنون بهذا الترتيب؟ لا، فإن بعضهم كان يبدأ بتناول الطعام والشراب خلال التسبيح وسماع الكلمة (كانوا يقعدون أرضًا وأكياس الطعام معهم)، فتكون النتيجة أن من يفعل هذا «يَسبُق فيَلتهم عشاءه الخاص»، إذ لا ينتظر العشاء مع جميع الكنيسة، ولا تكون له فرصة أن يشارك بما جلبه من طعام غيره من الفقراء، فينشأ عن ذلك ما يقوله بولس بتهكم ظاهر: «فإذا بواحد منكم يجوع، والآخر سكران» (ع. ٢١). وبدل أن يكون هذا الاجتماع الأخوي «مائدة محبة» (يه ١٢) يُمسي مائدة شقاق

www.christianlib.com

(ع. ١٨) وتمايز اجتماعي وطبقي (ع. ٢٢). وهنا كانت تكمن المشكلة التي يُعالجها بولس، وهي عدم تقدير تلك الفترة التي يقام بها العشاء الرباني من ضمن العشاء العام، واعتبار بعضهم العشائين عشاءً واحدًا، والاستخفاف بالتالي بمائدة الرب، وبهذا الشكل من يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه لأنه لا يميِّز (يقدِّر) الجسد حق قدره، أي ما تعنيه مائدة الرب من حضور للرب بينهم، بل ويستهتر به (ع. ٢٩)، وتأكيدًا لذلك يقول: حين تتجمعون لتناول الطعام، انتظروا بعضكم بعضًا ولا تتسابقوا. فإن كان أحد يجوع ولا يطيق الانتظار، فليأكل في البيت، كي لا يكون اجتماعكم دينونة لكم (ع. ٣٣- ٣٤).

وثمة عبارة ترد في هذا السياق هي «غير مميز جسد الرب» (ع. ٢٩). وترد هذه العبارة في أقدم المخطوطات اليونانية وأوثقها على الوجه التالي: «غير مميز الجسد»، مما حدا ببعضهم ليعتبر «الجسد» هنا (في اليونانية *soma*) أنه «الكنيسة» جسد المسيح. وهذا من ناحية اللفظة «جسد *soma*» صحيح، فهي تُستعمل دائمًا لتشير إلى الجسد، الكنيسة. غير أن السياق برأيي يدل على أن المُراد هنا هو «جسد الرب» في العشاء الرباني، وهكذا فهم يوحنا فم الذهب، وأمبروزياستر، وأغسطينوس، هذه العبارة، كما نسَّاخ المخطوطات اللاحقون فأضافوا كلمة الرب إلى الجسد.

العشاء الرباني في المضمون والممارسة

أصل العبارة

إن عبارة «العشاء الرباني» هي الترجمة الصحيحة لعبارة «عشاء الرب» (ع. ٢٠). فإن الكلمة اليونانية هي «*kuriakos*» وتعني «الذي يخص الرب»، وقد وردت أيضًا في عبارة «اليوم الرباني» (رؤ ١: ١٠)، المترجمة «يوم الرب»، بمعنى يوم الأحد. فلقد غيَّر يوحنا كلمة «الرب» إلى «رباني» لكيلا يخلط القراء بين يوم الأحد ويوم الرب كيوم للدينونة (رؤ ٦: ١٧؛ ١٦: ١٤).

تَسلُّم وتسليم

يؤكد بولس لقرَّائه أن ممارسة مراسم العشاء الرباني قد سلَّمها إليهم كما تسلَّمها من الرب (ع. ٢٣). وحيث إن بولس لم يحضر العشاء الذي فيه رسم يسوع مضمون العشاء وشكل ممارسته، فمن الطبيعي أن يكون قد تسلَّم مراسم العشاء الرباني من الرسل الذين قبله، وكانوا حاضرين وتسلموا من الرب ما مارسوه، وبولس أخذ عنهم ما أخذوا هم من الرب، فتكون عبارتُه «تسلَّمت من الرب» صحيحة، وما من موجب للقول إن بولس تلقى هذه المراسم من خلال رؤيا سماوية خاصة.

عرض مقارَن لنص العشاء

ويروي بولس ماذا فعل الرب يسوع في الليلة التي تم تسليمه فيها إلى السلطة الدينية اليهودية الراغبة في التخلُّص منه (ع. ٢٣)، فيقول، والنص التالي مترجم حرفيًّا عن اليونانية بحسب أقدم المخطوطات وأدقها كما النصوص في البشائر التي تليها:

نص بولس ١كو ١١: ٢٤- ٢٥

وشكر فكسر، وقال:«خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لاجلكم. اصنعوا هذا لذكري» ع. ٢٥ كذلك الكاس ايضا بعدما تعشوا، قائلا: «هذه الكاس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري».

نص لوقا ٢٢: ١٩- ٢٠

واخذ خبزا وشكر وكسر واعطاهم قائلا: «هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري». ع. ٢٠ وكذلك الكاس ايضا بعد العشاء قائلا: «هذه الكاس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم.

نص مرقس ١٤: ٢٢- ٢٤

هم ياكلون اخذ يسوع خبزا وبارك وكسر واعطاهم وقال: «خذوا كلوا هذا هو جسدي». ع. ٢٣ ثم اخذ الكاس وشكر واعطاهم فشربوا منها كلهم. ع. ٢٤ وقال لهم: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من اجل كثيرين.

نص متى ٢٦: ٢٦- ٢٨

وفيما وفيما هم ياكلون اخذ يسوع الخبز وبارك وكسر واعطى التلاميذ وقال: «خذوا كلوا. هذا هو جسدي». ع. ٢٧ واخذ الكاس وشكر واعطاهم قائلا: «اشربوا منها كلكم، ع. ٢٨ لان هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا

تحليل مضمون نص العشاء

إن مقارنة ما قاله بولس ببقية الأناجيل تظهر أنهم متوافقون على الأمور الأساسية التالية: أن جسد يسوع قد بُذل ودمه قد سُفك في سبيل فداء البشر، وأن هذا الفداء بموت يسوع أطلق العهد الجديد المتنبأ عنه في إر ٣١: ٣١- ٣٤، وأن ممارسة العشاء توحِّدنا نحن المؤمنين روحيًّا بفادينا (١٠: ١٦؛ ١٠: ٣- ٤)، وتُبقي ذكراه ماثلة في أذهاننا (ع. ٢٤- ٢٥).

إن للجسد والدم دلالات، لذلك يستعملهما يسوع لما يحويان من معانٍ تتعلق بقطع العهود (تك ١٥: ٨- ١٠؛ إر ٣٤: ١٨- ١٩؛ عب ٩: ١٥- ٢٢؛ العهد الجديد بدمي، ع. ٢٥)، إنما يريد بهما ذاته الواحدة. واستعمال عبارة «العهد الجديد بدمي» (بولس ولوقا)،

www.christianlib.com

وعبارة «هذا هو دمي، دمُ العهد» (مرقس ومتى)، فيه إشارة لا تُنكر إلى العهد الجديد الوارد في إرميا. والدليل على ذلك اقتباس يسوع للفظة «العهد الجديد» (ع. ٢٥) الواردة حرفيًّا في إر ٣١: ٣١؛ وموقف الكنيسة الباكر بلسان كاتب العبرانيين (عب ٨: ٧– ١٣)؛ وثم تحقيق يسوع في تعاليمه كل ما جاء في محتويات ومضامين العهد الجديد من بركات تتفوق على القديم، مثل: تكون شريعة الله في القلب والذهن في باطن الإنسان لا خارجه على ألواح حجرية؛ وتكون معرفة الله معرفة اختبارية شخصية وكيانية وتكون عامة؛ وتكون مغفرة الخطايا متاحة للجميع من فيض رحمة الرب على المذنبين، والمغفرة مصالحة وسلام مع الله، وقد ورد على لسان يسوع أن العهد هو لغفران الخطايا: «لان هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦: ٢٨). وهذا يقودنا إلى اعتبار اشتراك الكنيسة في العشاء الرباني بمثابة تذكير من قبل الرب لها بأن عهده الجديد الذي قطعه بدمه معها لا يزال قائمًا ولا يزال ساريَ المفعول بكل مضامينه.

إن التركيز على الموت لأمرٌ واضح للغاية في صياغة عبارات العشاء الرباني الذي هو الإعلان المعنوي للعهد الجديد، فجسد يسوع يُبذل ودمه يُسفك. ويضيف بولس عبارة حاصرة إذ يقول: فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز، وشربتم هذه الكأس، تُعلنون موت الرب إلى أن يجيء (ع. ٢٦). ويعني هنا أن العشاء الرباني هو إعلان لموت الرب فقط، ولا شيء غيره. ويعتقد بعضهم، بسبب عبارة «إلى أن يجيء»، أن العشاء احتفال مسبق بمجيء الرب ثانية، ولا يفطن أن العبارة تفيد المدى الزمني الذي سيظل العشاء الرباني فيه يقام لتذكُّر الرب، وأن التركيز خلال ممارسة العشاء يجب أن يبقى على موت الرب لا على مجيئه الثاني.

«قوموا بهذا لذكري» يقول يسوع، وهل تنفع الذكرى؟ رسم يسوع العشاء الرباني في إطار عشاء الفصح اليهودي زمنيًّا. وكان يدرك قيمة «عيد» الفصح الذي «يُعاد ذكره» كل سنة من زمن الخروج إلى الحرية من مصر حتى يومه، وكيف ساعدت الذكرى، التي تُقام بمراسم تتعلق بذبح حمل الفصح وشعائر تناوله (خر ١٢)، على إبقاء ذلك الحدث حيًّا في ضمائر الشعب اليهودي، وعلى مثال ذلك «العيد»، رسم يسوع «عيد ذكراه». ولكن هذا «العيد» ليس سنويًّا، بل «كلَّما» أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس (ع. ٢٦)، أي كلما اجتمعتم لهذه الغاية. وبكلام بولس: لأن المسيح، فصحنا، قد ذُبح لأجلنا، إذًا «لنعيِّد» (٥: ٧– ٨).

ونتذكر في العشاء الرباني الرب يسوع، وتنفع الذكرى! إذا كانت إقامة مراسم العشاء الرباني هي إعلان موت الرب لتأسيس العهد الجديد، فذكرى الرب هنا تتمحور حول موته. ويدرك كل مطَّلع على سيرة حياة يسوع أن الحكم بالموت عليه ابتدأ بقوله هو ذاته: «يا آبا (أي يا أبي) كل شيء مستطاع لك، فأجز عني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت» (مر ١٤: ٣٦)، وانتهى بقوله: «يا أبتاه في يديك أستودع روحي» ولفظ روحه (لو ٢٣: ٤٦). إن كل مشترك في العشاء الرباني واعٍ لما يقوم به لا بد أن يجتاز متماهيًا مع يسوع مُوحِّدًا نفسه به فاعلاً ما فعله، فيتنازل عن إرادته الذاتية ويُخضع نفسه لإرادة الله، ويستودع نفسه في يدي الله، ويرتضي أن يموت عن هذه الدنيا بكل ما فيها شاربًا الكأس كما شربه يسوع. هذا المشترك في العشاء الرباني على هذا المنوال، هو الذي يكون قد تذكر الرب بالفعل وبالحق، ويكون قد تمم غاية الرب بقوله: اصنعوا هذا لذكري. أليس العشاء الرباني اشتراك في موت المسيح من خلال جسده ودمه (١٠: ١٦)؟ وكل من يموت مع المسيح يقوم حيًّا مع المسيح لحياة جديدة مستدامة: «مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠).

عواقب الاستخفاف بالعشاء الرباني

في رأي بولس أن المؤمنين حين يتناولون من العشاء الرباني فكأنهم يتناولون من جسد الرب ودمه، أو هكذا ينبغي أن يحسبوا أنفسهم فاعلين. من أجل هذا يقول بولس: «إذًا أي من أكل خبز الرب أو شرب كأسه بلا استحقاق كان مذنبًا نحو جسد الرب ودمه» (ع. ٢٧). يحقُّ أن يرافق التناول من العشاء الرباني شعور بالوقار والتقدير (تمييز جسد الرب) لمعنى العهد الجديد الممهور بختم الدم الذي تم ببذل يسوع نفسه (جسده) على الصليب.

ويجب أن تُفهم عبارة «بلا استحقاق» هنا في ضوء العبارة «ولكن ليمتحن الإنسان نفسه» (ع. ٢٨)، الأمر الذي يقودنا إلى الاستنتاج أن «الاستحقاق» يكون باعتبار أن المشترك في مائدة الرب ينبغي أن يعيش في سيرة مقدسة ليكون شريك الرب يسوع (١٠: ١٦)، ولا يكون شريك الشياطين (١٠: ٢١). وإن كان في حياته عيب، فعليه أن يمتحن نفسه ويُحاكمها (ع. ٣١)، قبل أن يشترك بمائدة الرب (ع. ٢٨).

وفي إطار معالجة بولس لشأن ممارسة العشاء الرباني في كنيسة كورنثوس، يتضح أن الأنانية بتناول أي مؤمن طعامه الخاص (ع. ٢١)، وعدم جلب ما يساعد الفقراء على سد رمقهم (ع. ٢٢)، وشراهة بعضهم في الأكل والشرب حتى السكر (ع. ٢١)، جميع هذه تشكل «عدم استحقاق»، وتحول دون أهلية بعضهم للتناول من العشاء الرباني. ولا نتوقف هنا، بل «عدم الاستحقاق» يشمل الشرور الأدهى. فلا يجب أن نُغفل أن بولس كان واعيًا للشرور المنتشرة في مجتمع مدينة كورنثوس وتلطخ أحيانًا سيرة المؤمنين، لذلك يشدِّد على أن من يُسمى مؤمنًا ويرتكب الشرور المفضوحة يجب ألاَّ يأكل مع جماعة المؤمنين ويشترك في مائدة الرب (٥: ١١).

www.christianlib.com

ثم ينسب بولس كثرة الأمراض بين مؤمني كورنثوس وموت بعضهم إلى استخفافهم بمائدة الرب إذ يتناولون منها دون فحص نفس وتهيُّب، فيقول: لو حاكمتم أنفسكم قبل الاقتراب من العشاء الرباني لما حكم عليكم الرب (ع. ٣١).

يقول هذا ثم يُطمْئنهم: «وإذ تم الحكم علينا، فالرب به يؤدبنا لكيلا نُدان مع العالم» (ع. ٣٢)، ويريد به أن التأديب الذي يُجريه الرب بنا ليس لهلاكنا، إنما يقاصصنا لخلاصنا، فلو كنا ندان مع سائر العالم فلا رجاء لنا.

من يتناول من مائدة الرب؟ في المسيحية صوت باكر هو صوت جستن الشهيد، كتب في «الدفاع الأول» عام ١٥٥ م. واصفًا من يحق له التناول من العشاء الرباني بقوله إنه الذي يؤمن أن تعليمنا حق، وقد ولد ثانية، ويعيش كما أوصى المسيح.

١٢: ١– ٣١ المواهب الروحية: مصدرها وتنوعها

يشغل الكلام على المواهب الروحية حيِّزًا مهمًا في رسالة كورنثوس الأولى غطَّى ثلاثة فصول، من بداية الثاني عشر حتى نهاية الرابع عشر، أي ما يعادل خُمس الرسالة إلا قليلاً. وهذا يدل على غنى كنيسة كورنثوس بالمواهب، حتى إنهم ليسوا ناقصين في موهبة ما (١: ٥– ٧). وقد سببت المواهب المتنوعة والعديدة في ممارستها بعض التنافس بين أعضاء الكنيسة، والتضارب بالرأي، والاعتداد بالنفس، فانخفضت الحياة الروحية وقلَّت المحبة وسادت الفوضى. وهذا ما دفع بولس إلى الاستفاضة في التعليم عن المواهب ليعالجَ ما أثارته من نتائج سلبية مثل الشعور بالنقص عند بعضهم وعدم الفهم لما يُقال بالألسنة عند بعضهم الآخر، وليكونَ «كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب» (١٤: ٤٠). والحق يُقال أن ممارسة المواهب الروحية كالتكلم بالألسنة والتنبؤ لم تقتصر على كنيسة كورنثوس، بل نجد لها شبيهًا في كنيسة تسالونيكي (١تس ٥: ١٩– ٢٠)، وكنيسة قيصرية (أع ٢١: ٨– ١٠)، عدا ما ورد في أعمال الرسل عن يوم الخمسين (أع ٢: ١– ٤)، وفي السامرة (أع ٨: ١٤– ١٧)، وبيت كرنيليوس (أع ١٠: ٤٤– ٤٨)، وتلاميذ يوحنا المعمدان في أفسس (أع ١٩: ١– ٧). ولربما كان لهذه الظاهرة «حلول روح الرب على الإنسان فيتنبأ (أو يتكلم بألسنة)» أصول في سفر العدد ١١: ٢٤– ٢٩؛ و١ صم١٠: ٥، ١٠– ١٣؛ ١٩: ٢٠– ٢٤.

وأثارت المواهب الروحية اهتمام الكنيسة الباكرة بشكل مميز كما نرى في أحداث أعمال الرسل، وما كان يجري في كنيسة كورنثوس. ثم في القرون التالية في تاريخ الكنيسة، همدت بعض هذه المواهب، ولم تنقطع، إنما كانت تظهر هنا وثمة في أرجاء المعمورة حيثما يصل الإنجيل ويتحرك الروح القدس في نفوس البشر. ومع بداية القرن العشرين، استعرت نار المواهب الروحية من جديد نتيجة الصلاة والرغبة في الانتعاش الروحي، فعادت الكنيسة إلى درس المواهب وعملها في العهد الجديد. وهذا الأمر أدَّى إلى إحياء المواهب الروحية وانتشارها بشكل غير مسبوق في كل أنحاء العالم وفي مختلف الكنائس، بحيث إنها طبعت أثرها كميزة بارزة على الكنيسة المسيحية في النصف الثاني من القرن العشرين.

تعريف الألسنة

نشأت لفظة «اللسان» (في اليونانية: *glwssa*) بمعنى اللغة من اللسان العضو في أفواهنا (مر ٧: ٢٥) الذي هو أساسيٌّ في عملية النطق، وكذلك في اللغة العربية نقول «لسان العرب» بمعنى لغتهم. ومن هنا يكون التكلم بألسنة (١٢: ٣٠) هو نفسه التكلم بلغات (أع ١٩: ٦)، ويُمكن للفظتين اللسان واللغة أن تُستعملا بالتبادل في هذا السياق، ويعني كل منها أن المتكلم ينطق بلسان أو بلغة لا يعرفها ولا يفهمها. وهنا يجدر التمييز بين التكلم بلغات أُخرى الذي جرى في يوم الخمسين (أع ٢: ٤)، وقد فهم السامعون ما كان ينطق به الرسل ومن معهم (أع ٢: ٦– ٨)، وبين التكلم بلغات الممارس في كورنثوس حيث تحتاج الألسنة المنطوق بها إلى ترجمة (١٢: ١٠). ويمكن عزو التمايز بينهما إلى وجود «أنواع من الألسنة» (١٢: ١٠)، المفهوم منها لدى السامعين لا يحتاج إلى ترجمة وغير المفهوم يحتاج إلى ترجمة. وقد تكون عبارة «ألسنة الناس والملائكة» (١٣: ١) تشرح الفرق بين ما جرى في يوم الخمسين (ألسنة الناس)، وقد فهمها أصحابها، وما ورد في كورنثوس (ألسنة الملائكة)، وهي غير مفهومة، وتحتاج إلى ترجمة.

ويوصف التكلم بالألسنة أو بلغات أُخرى بأنه موهبة، ويُدرج بين المواهب، وهذا يعني أنه هبة من الله، لا جهد من البشر. وفي هذه الحالة، ينطلق اللسان في النطق بألفاظ بلا تناسق، أو تكون رتيبة وذات نمطية معينة، لكنها غير مُدركة لمن يسمعها. وتوصف هذه الظاهرة بعبارات مثل «انعتاق الروح»، و«تحرر النفس»، و«انطلاق يتجاوز العقل»، ويرافقها هيام روحي وتواصل بالله يتجاوز حد انشغال العقل في تركيب لغة منطقية تتقيد بقواعد لغوية معينة خلال عملية الصلاة. وتسبب حالة الصلاة بالألسنة تعزية خاصة لمن يُمارسها بما يُرافقها من أحاسيس وشعور بعمل خاص من الله في حياة المؤمن، لذلك يقول بولس: «من يتكلم بلسان يبني نفسه» (١٤: ٤).

وهذه الظاهرة، التكلم بالألسنة، يُمكن أن يقلِّدها البشر، وبخاصة الذين يعيشون في أجوائها واعتادوا على سماعها من الذين حولهم. ويظهر ما يشبه هذه الظاهرة، ظاهرة النطق بألفاظ غير مفهومة في حلقات التأوُّهات وترداد عبارات معينة لوقت طويل في غير ديانة وغير مدرسة صوفية، عندما ينتشي الحاضرون ويَصلون

www.christianlib.com

إلى حالة الغيبة والغشية، أو الانخطاف والانجذاب. وهذا الأمر لا يقلل من قيمة الظاهرة المذكورة في العهد الجديد ويمارسها اليوم كثير من المسيحيين، بل هذا يجعلها ظاهرة قائمة في نطاق قدرات الإنسان، إنما في المسيحية فالذي يُحركها هو الروح القدس.

١٢: ١- ١١ بولس يُعرِّف بالمواهب وأنواعها ومصدرها يبدأ بولس معالجته لموضوع المواهب الروحية في كنيسة كورنثوس بالتأكيد لهم على أنه يرغب في أن يكونوا على علم تام بهذا الموضوع (ع. ١)، لذلك يستفيض في كلامه معلمًا وشارحًا. وكتمهيد لمطالعته، يعرض مقابلة بين عبادة الأوثان والعبادة المسيحية (ع. ٢- ٣)، فيقول إن الأوثان في رأي البشر هم آلهة ولكنها غير ناطقة (بكم) ولا يصدر منها أيُّ كلام، بينما الله في المسيحية فإنه إله ناطق، وينطق من خلال رسله وأنبيائه بالروح القدس (ع. ٣). وإذا كانت الأوثان تُعبد بالإكراه «تقادون سوقًا» (ع. ٢) إلى احتفالاتها، فإن المسيحية سمحاء لا يجري خلال عبادتها شيء إلاَّ بدافع من روح الله «حيث روح الرب هناك حرية» (٢كو ٣: ١٧).

ويبدو أن بعض من دخل خلسة إلى الكنيسة من يهود يدَّعون أنهم مسيحيون، كانوا يصرِّحون من خلال التكلم بالألسنة أو النبوة بأن يسوع محروم (في اليونانية: *anathema*)، أي محكوم عليه بالهلاك (تث ٧: ٢٦؛ ١٣: ١٥). وأقول يهودًا لأن هذا التعبير «محروم» هو من التراث اليهودي أكثر مما هو من اليوناني الوثني. ولذلك يقول بولس إن من يقول هذا القول لا يتكلم بروح الله، إنما من يتكلم بروح الله هو وحده يقدر أن يعترف بأن «يسوع رب» (ع. ٣). فهل بدأ بولس علاجه من هنا ليقول لكنيسة كورنثوس إن من يُمارس المواهب الكلامية ينبغي أولاً أن يكون مؤمنًا مُعترفًا بإيمانه، لا مؤمنًا دسيسًا غير واضح الإيمان والاعتراف بالمسيح ربًّا؟

وفي سياق مماثل يحذر يوحنا من الأنبياء الكذبة: لا تصدقوا كل روح؛ بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله. ويمكن معرفة الروح الذي من الله إذا كان اعتقاده بيسوع المسيح صحيحًا (١يو ٤: ١- ٣).

ثم يرسم بولس بيانًا بقلمه يُظهر فيه أن هناك أنواعًا من المواهب، ولكنَّ **الروحَ** الذي يمنحها هو ذاته. وأن هناك أنواعًا من الخدْمات، **والرب** (يسوع) الذي يمنحها هو ذاته. وأن هناك أنواعًا من الأعمال، ولكنَّ **الله** الذي يمنحها هو ذاته، وهو الذي يُشغِّلُها كلها في الجميع (ع. ٤- ٦). وهذا الرسم البياني يؤكد أن المواهب والخدْمات والأعمال على أنواعها لها مصدر واحد، الله، وتصل إلينا من خلال المسيح والروح القدس، لذلك لا يجوز أن تتضارب في أهدافها ولا يليق أن يتنافر الذين يمارسونها. كما يؤكد هذا الرسم البياني إيمان بولس بالثالوث الأقدس: الله، والرب يسوع، والروح القدس، وهذه أوضح صورة للثالوث ترد في رسائله.

بعد أن ذكر بولس أنواع المواهب والخدْمات وأعلن أن مصدرها واحد، شرع في تعدادها، وها هي مع تعريف بسيط لكل منها (١٢: ٨- ١٠):

كلام الحكمة: حكمة تخص الله أبقاها سرًّا عن عظماء هذا الدهر، ولكن الله يكشفها بالروح لرسله وأنبيائه (٢: ٦- ١٠؛ أف ٣: ٣- ٦).

كلام العلم، أو المعرفة: كشف الأسرار كما بطرس وحنانيا (أع ٥: ٣)، وبطرس ورجال كرنيليوس (أع ١٠: ١٩- ٢٠)، وإظهار خفايا القلب (١٤: ٢٤- ٢٥)، ويربط بولس بين كلام العلم ومعرفة الأسرار في ١٣: ٢.

الإيمان: دافع يحركه الإيمان بالله القدير يجعل الإنسان يقوم بأعمال باهرة (عب ١١: ٣٣- ٣٥)، ويذكر بولس الإيمان ونقل الجبال في ١٣: ٢، وهذا اقتباس من أقوال الرب يسوع (مت ١٧: ٢٠؛ ٢١: ٢١؛ مر ١١: ٢٣).

مواهب الشفاء: شفاء الأمراض والعلل والإعاقات الجسدية (أع ٥: ١٢- ١٦).

عمل القوات: معجزات خارقة: إقامة موتى، تهدئة عاصفة، إنزال مطر (أع ٩: ٤٠؛ رو ١٥: ١٩؛ يع ٥: ١٧؛ أع ٢٧: ٢٠- ٢٦).

النبوة: كلام بالروح للتعزية (١٤: ٣؛ أع ١٥: ٣٢)، وتنبؤ بحدث آت (أع ١١: ٢٧- ٣٠؛ ٢١: ١٠- ١١)؛ وكذلك في سفر الرؤيا (رؤ ١: ٣)، بالمقارنة مع ما قيل: «والرب إله أرواح الأنبياء أرسل ملاكه ليُري عبيده ما ينبغي أن يحصل سريعًا» (رؤ ٢٢: ٦)، وأرواح الأنبياء هنا تعني الأرواح النبوية وبالمفرد روح النبوة، عندما يتكلم الأنبياء يتكلمون بالروح إذ لديهم روح النبوة.

تمييز الأرواح، أو روح تمييز: لمعرفة صحة النبوة لدى الأنبياء، فيعرفوا إذا كان روح الله أو غيره يُحرك الناطق بالروح ليقول ما يقول، لذلك ورد: «وليحكم الآخرون» (ع. ٣؛ ١٤: ٢٩).

أنواع الألسنة: ربما «ألسنة الناس والملائكة» (١٣: ١) تكشف المُراد بكلمة «أنواع»، وإلا فتنوع اللغات.

ترجمة الألسنة: استلهام الروح القدس لترجمة ما قيل باللسان (١٤: ١٣).

ويركز بولس كثيرًا في هذا المقطع (ع. ٧- ١١) على أن مصدر المواهب هو الروح الواحد الذي يوزع المواهب المتنوعة على كل واحد بمفرده كما يشاء، كما يؤكد على أن عمل الروح القدس في منح المواهب ليس لمنفعة حامل الموهبة، بل أُعطيت له للمنفعة العامة، لخير كل الكنيسة.

١٢: ١٢- ١٣ الكنيسة جسد المسيح الواحد من كل الشعوب والطبقات الاجتماعية يرغب بولس أن يمهد لما يريد البحث فيه عن وحدة جسد المسيح وتنوع أعضائه وتنوع مواهبهم، فيتحدث عن تنوع الأعراق والطبقات الاجتماعية في الكنيسة، ولكنها هي جسد

www.christianlib.com

المسيح الواحد. فيقول: «لأننا جميعًا اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد سواء يهودًا كنا أم يونانيين، عبيدًا أم أحرارًا وجميعًا سُقينا روحًا واحدًا» (ع. ١٣). فقد كان المسيحيون قبل إيمانهم بالمسيح إمَّا يهودًا أو وثنيين، إمَّا عبيدًا أو أحرارًا، ولكن لمَّا تابوا واعتمدوا بالماء سُقوا روحًا واحدًا (أع ٢: ٣٨)، فتلاشت الأعراق والطبقات والأجناس، وغدا الجميع مسيحيين، وصاروا أبناء الله (غل ٣: ٢٦؛ كو ٣: ١١). وهذا بالتمام ما ورد بقلم بولس في رسالة غلاطية عن أن من اعتمد بالمسيح لبس المسيح، فليس يهودي بعد ولا يوناني، لا عبد ولا حر، لا ذكر وأنثى لأن الجميع واحد في المسيح (غل ٣: ٢٧- ٢٨). فعلاً، إن الإيمان بالمسيح يوحِّد بين الشعوب، ويُزيل العداوة بين الأمم، فحيث تسود روحه تسود المحبة والوئام والسلام.

تحليل لفظة «معمودية الروح القدس»

ويظن بعضهم أن العبارة «اعتمدنا بروح واحد» (ع. ١٣) تشير إلى المعمودية بالروح القدس، أي التي يُرافقها التكلم بالألسنة. ولكن السياق المرادف في غلاطية يدل على أنها معمودية الماء. ولا يوجد في العهد الجديد عبارة أصيلة تتحدث عن «معمودية الروح القدس»، إنما هي مستعارة من معمودية الماء. ففي كل مرة وردت عبارة «معمودية الروح القدس» كانت مرتبطة لفظيًّا بمعمودية يوحنا المعمدان (مت ٣: ١١؛ مر ١: ٨؛ لو ٣: ١٦؛ يو ١: ٣٣؛ أع ١: ٥؛ ١١: ١٦). أمَّا العبارات الأصيلة التي تصف مجيء الروح القدس إلى حياتنا، فكانت: «يفيض (يجري) من باطنه» (يو ٧: ٣٨- ٣٩)؛ و«قبلوا الروح القدس» (يو ٢٠: ٢٢؛ أع ٢: ٣٨؛ ٨: ١٧؛ ١٠: ٤٧)؛ و«امتلأوا من الروح القدس» (أع ٢: ٤؛ ٤: ٣١؛ ٦: ٣؛ ٩: ١٧)؛ و«حل الروح القدس» (أع ٨: ١٦؛ ١٠: ٤٤؛ ١١: ١٤؛ ١٩: ٦)، و«ختم الروح» (أف ١: ١٣). وهذه هي العبارات المختصة بالروح التي وردت في المحطات الكلاسيكية لعمل الروح القدس والتكلم بالألسنة في يوم الخمسين (أع ٢)، والسامرة (أع ٨)، وبيت كرنيليوس (أع ١٠)، وتلامذة يوحنا في أفسس (أع ١٩). وهذا هو واقع الحال كما يرد في العهد الجديد، ونحتاجه في خضمِّ الآراء المتعلقة بموضوع الروح القدس وتضاربها، فلنتجنب عراك الألفاظ ونهتم بعمل الروح القدس في حياتنا، وأسمى أعماله فينا المحبة (١كو ١٣).

١٢: ١٤- ٢٦ أعضاء كثيرة وجسد واحد ويستطرد بولس من فكرة المصدر الواحد والمواهب المتنوعة إلى فكرة الجسد الواحد والأعضاء المتعددة (ع. ١٢)، وغايته أن يربط المواهب بالأشخاص الذين يؤلفون جسد المسيح، أي أعضاء الكنيسة. والحق يُقال أنْ لا مواهب بلا أشخاص يُمارسونها، فلا تعليم بلا معلم، ولا نبوة بلا نبي. ومن أجل ذلك يقول: «وضع الله أُناسًا في الكنيسة» رسلاً وأنبياء، ومعلمين (ع. ٢٨).

وحيث إن المواهب متفاوتة في أهميتها في نظر الناس، ينعكس هذا الأمر على حاملي هذه المواهب، بنظرهم، فيعملون على تكريم ذوي المواهب السامية، ويستهينون بذوي المواهب الوضيعة (ع. ٢٢- ٢٤). ويعالج بولس هذا الأمر بإفاضة لكي يؤسس في الجماعة المسيحية الذهنية المؤمنة بوحدة الجسد، واستنكار الشقاق، وذلك الحس المشترك لتهتم الأعضاء بعضها ببعض الاهتمام ذاته. فإذا كان عضو يتألم، فجميع الأعضاء تتألم معه، أو كان عضو يُبَجَّل، فجميع الأعضاء تفرح معه (ع. ٢٥- ٢٦).

ومن ضمن إطار وَحدة الجسد وتنوع المواهب والأعضاء في الكنيسة، يشدد بولس على عدم التمايز والتفرقة بين حاملي المواهب، رفيعةً كانت هذه المواهب أم وضيعة، وذلك لأن حامليها يكمِّلون بعضهم بعضًا (ع. ١٧)، ولا غنى لواحد منهم عن الآخر (ع. ٢١). ويستخدم إيضاحات معبرة، مثل الرأس، والعين، والأُذن (السمع)، والأنف (الشم)، واليد، والرِجْل، ليشير إلى أنها كلها تؤلف الجسد، وعليه فإن كل عضو مهم لعمل العضو الآخر، ويعمل الجميع عملهم المشترك ليتحرك الجسد ويقوم بواجبه. إذًا، لا ينبغي أن يصرَّ الجميع على أن يكونوا الرأس، أو يكونوا العين، لأنه إن كان الجميع عينًا، أي عضوًا واحدًا، فأين الجسد (ع. ١٩)؟

ويحث بولس أعضاء الكنيسة أن يدركوا أن الروح القدس هو الذي يوزع المواهب «قاسمًا لكل واحد بمفرده كما يشاء» (ع. ١١)، فلا يجب أن يعترضوا، لأن الله مزج الجسد فأعطى لكل واحد قيمة وكرامة خاصة بحيث لا يشعر أحد بتفوقه على غيره ولا يشعر أحد بنقصه (ع. ٢٤). فلاحظوا مثلاً كيف أن «أعضاء الجسد المعتبرة أضعفَ هي ضرورية أكثر» (ع. ٢٢). «وتلك التي نعتبر أنها دنيَّة في الجسد نكسوها بكرامة زائدة، وأعضاءُ العورة فينا لها حُرمة أرفع (ع. ٢٣)، أمَّا تلك الشريفة فينا فلا حاجة لديها» (ع. ٢٤).

التعددية

إن مفهوم التعددية هو مفهوم معاصر ومع ذلك فإن مع القراءة المتأنية للكتاب المقدس نجد هذا المفهوم متجذرًا وعميقًا. فقصة الخلق تبدو أبعادها نموذجًا للتعددية كما أن التنوع الذي يشكل الإنسان والحيوان والنبات والمكان فيه بعدًا أساسيًا هامًا لمفهوم التعددية. كما أن الإعلان الإلهي المتمثل عبر العهدين عن تنوع الأساس اللاهوتي لهذا المفهوم. أما النظرة العميقة للعهد القديم تؤكد على مفاهيم هامة متعلقة بقضية التعددية. فالمساواة

www.christianlib.com

بين البشر وعقدية اليوبيل (لا ٢٥) لإعادة التوازن والمساواة بين الأسباط اليهودية في ذلك الزمان. وأيضًا النبوات المتعددة التي هاجمت بشراسة الظلم والفقر والانفراد بالسلطة والمال والنفوذ، تمثل نقطة تحول هامة في التأثير على المساواة والتعددية. كما أن اختيار رجال ونساء من خارج شعب إسرَايل بمهام مقدسة في العهد القديم تعطي بعدًا جديدًا للتعددية. وعلى صعيد العهد الجديد، ومع بداية خدمة السيد المسيح لليهود كان الآخر المختلف حاضرًا دائمًا بإقامة ابنة يايرس (مر ٨: ٤١-٤٢، ٤٩-٥٥) وكذلك شفاء المرأة الكنعانية (مت ١٥: ٢٢-٢٨).

كما أن التفرد في التنوع في كتاب العهد الجديد هو التنوع المرتبط بوحدانية الإعلان الإلهي، وكذلك الصراع حول التهود واتجاه بولس لخدمة الأمم ومواجهة العادات والتقاليد والطقوس التي تعيق التعددية وقبول الآخر في المسيح، هي مبادئ هامة في دراسة التعددية من خلال هذا الطرح الكتابي لمفهوم التعددية، يمكننا الاعتقاد بأهمية التنوع مع ضرورة البحث من الأرضية المشتركة وكذلك قبول الاختلاف.

إن الانتقال من المفهومين اللاهوتي والكتابي للتعددية إلى المفهوم الثقافي والاجتماعي والسياسي، يتطلب قراءة سريعة لبنية المجتمع والدولة في العالم العربي الحديث.

إن بنية المجتمع العربي أبوية وتقليدية. فالسلطوية تتعمق بجذورها في تركيبة العائلة العربية، كما تساند المؤسسات الدينية التوجه التقليدي. والسلطوية مع التقليدية ترسخان وتؤكدان سلطة الدولة. ومن ثم، يمكن للمرء أن يؤكد أنه في الوطن العربي أسهمت السلطوية السياسية والاجتماعية مع الاتجاه الديني التقليدي في خلق البنيات السلطوية التي أعاقت تطور أشكال اجتماعية جديدة، مثل التعددية الاجتماعية في إطار المجتمع المدني وحافظت على الروابط القديمة، مثل العائلة والقبيلة والدين، والتي تظل هي السبيل إلى الثروة والسلطة.

وتثير طبيعة الدولة في عدد من بلدان الوطن العربي بعض الإشكاليات. فالهيمنة على الانتخابات، والديمقراطية المحدودة والميل إلى التحررية بدلاً من الدمقرطة، كل هذه العوامل خلقت دولاً سلطوية لم تستطع تقبل وإدماج الجماعات الأخرى بداخلها. وفي هذا السياق تغيب الحقوق وتصير الامتيازات هي السبيل إلى السلطة والثروة. وهنا تم القضاء على التعددية. وفي هذا النموذج السلطوي تسيطر الدولة على المجتمع المدني الهزيل لديها، بل وترى الدولة في نفسها مجتمعًا مدنيًا. كما أن الطريقة التي تُبنى بها الدولة في الوطن العربي تثير بعض الإشكاليات، فالدولة تقوم على أساس حدودها التي رسمتها لها القوى الاستعمارية، والتي ضربت بعرض الحائط السياسات المحلية والجماعات العرقية والقومية والدينية. ومن ثم، فالدولة لا تعكس جماعة سياسية بكل أساساتها الدينية والقومية والعرقية؛ لكنها ببساطة ترى أنها قوة اتحادية وهي المصدر الشرعي الوحيد للسلطة السياسية. ونجم عن ذلك ضعف الجماعات الوسطية التي تسهم في المجتمع المدني والديمقراطية والتعددية.

تواجه الدول في العالم العربي أبعادًا جديدة فيما يسمى ما بعد الربيع العربي فالصعود غير المتوقع للإسلام السياسي إلى السلطة وسقوطه السريع كما في حالة مصر يخلق شرعيات جديدة، وأطرًا لعلاقة الدين بالسياسية. ويتعامل بشكل جديد مع البنية السلطوية الأبوية السائدة في الثقافة. وفي هذا الإطار يكون هناك تساؤل حول أحادية الهوية ولاسيما الدينية منها.

تلعب الهوية الدينية دورًا هامًا في العالم العربي. ومع تأثير الإسلام السياسي -وكذلك بعض الأقليات المسيحية كما في حالة الموارنة- يحل الدين محل كل أشكال الهوية. فمن الشائع أن تسمع الناس يعرفون أنفسهم أولاً بأنهم مسيحيون أو مسلمون وبعد ذلك يشيرون إلى جنسيتهم. على عكس ذلك، تقوم المواطنة على المفهوم التعددية الذي يشجع تنوع المفاهيم والانتماءات ويدعو إلى كيانات اقتصادية وثقافية ودينية وعرقية وسياسية متنوعة.

لذا فمن الضروري البحث عن أرضية جديدة تساهم في عملية التعددية. ومن هنا يمثل المجتمع أرضية جديدة نحو التعددية.

ويتميز المجتمع المدني بتوجهه الحضري، ويبدو جليًا أن التحول نحو الحضر (التحضر) مع تنظيماته الجديدة، يمكن أن يُسهم في إعادة هيكلة الهوية. والتحضر في ظل وجود تنظيمات متعددة يخلق انتماءات وولاءات ذات صيغة تعددية والتي ينتج عنها هويات متعددة. فعلى سبيل المثال، المنظمات غير الحكومية يمكنها أن تسهم في خلق هذه الهويات المتعددة. وهذا هو ما يثمر تعددية حقيقية على أرض الواقع، وكذا يحد من الانتماء المطلق الواحد للهوية، دون أن يتخلص منه. وفي هذا السياق، يسهم الدين في تشكيل أساسات الهوية وكذلك في تنظيمات المجتمع المدني. فبينما الهوية الدينية تميل نحو الاستبدادية والتبعية، نجد أن مأسسة الهوية (أي إضفاء الطابع المؤسسي على الهوية) من خلال المنظمات والتنظيمات المختلفة يساهم في ترسيخ المفهوم النسبي للهوية وكذا إمكانية اختيار هويات جديدة.

إن التحضر الذي يشجع تنظيمات المجتمع المدني الجديدة يسهم في بزوغ هويات جديدة وتحويل الهويات التقليدية إلى هويات لها تأثير إيجابي وفعال على عملية بناء المجتمع. غير أن هذه ليست وصفة سحرية تحدث تلقائيًا في المجتمعات التي تتحرك نحو الحضر وتخلق تنظيمات جديدة للمجتمع المدني، بل هي عملية تتضمن إصلاح الخطط السياسية القائمة. إنها عملية تقلل من الصلة بين الامتيازات والانتماءات الدينية والقبائلية، كما أنها تثبت التعددية على شتى مستويات المجتمع وكذلك تؤسس اتجاهات ثقافية جديدة تساند هذه المفاهيم.

www.christianlib.com

وفي النهاية، يجدر القول بأنه تمثل التعددية أساسًا هامًا للعيش المشترك. فالجذور الكتابية واللاهوتية تؤكد أهمية التعددية كأساس للبقاء والتنوع. فالكتاب المقدس يؤكد الإعلان الإلهي من خلال تنوع رائع؛ وتعكس الخليقة تعددية مؤهلة. ولعل حياة السيد المسيح تمثل نموذجًا هامًا في قبول الآخرين؛ وأن الجميع لهم مكان معه. وعلى المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي، فإن التعددية هي أرضية للعيش المشترك وحينما تغيب عن الدولة التعددية يتولد الصراع وتتعمق الطبقية، وتصبح الأحادية والهيمنة أساس الوجود لذا أصبح من الضروري وجود مجتمع مدني قوي يكون الأرضية التي يمارس فيها التعددية على مستوى الهوية. هذه العلاقة الجديدة بين الدولة والمجتمع المدني سوف تساهم في السلام الاجتماعي والعيش المشترك، فلا سلام ولا تقدم ولا عيش مشترك بدون التعددية.

الدكتور القس أندريه زكي إسطفانوس

١٢: ٢٧– ٣١ فئات ومقام الموهوبين والمواهب بعد أن أكد بولس أن الكنيسة هي جسد المسيح الواحد وأنها تتألف من أفراد متمايزين ومتعاونين، يتقدم ليتحدث عن جسد المسيح أنه مؤلف من فئات من الموهوبين (فئات بدل أفرادًا، ع. ٢٧). وأول فئة هي الرسل، والثانية الأنبياء، والثالثة المعلمون، ويترك الترتيب العددي، ليذكر القوات ومواهب الشفاء كما في قائمة المواهب السابقة (ع. ٩– ١٠). ويزيد موهبة المعونات (من يهتمون بإغاثة المحتاجين والجياع والغرباء، أع ٦: ١– ٣؛ ١تي ٥: ١٠؛ رو ١٢: ١٣)، ومرات من أموالهم الخاصة (١٣: ٣)، وموهبة التدابير (من يُكلَّفون بمهمَّات لتسيير وتيسير شؤون الخدمة المتنوعة، رو ١٢: ٨؛ مر ١١: ١– ٧؛ ١٤: ١٣– ١٥؛ لو ٢٢: ٣٢ب؛ تي ١: ٥؛ في ٤: ٣)، وهذا ما يعادل في أيامنا رؤساء اللجان. وينتهي بموهبة أنواع الألسنة.

وحيث إن بولس يضع فئة الرسل وفئة الأنبياء في المقام الأول تباعًا، يُلفتنا هذا إلى ما جاء تكرارًا في رسالة أفسس حول قيمة الرسل والأنبياء في الكنيسة الباكرة ودورهم في بناء صرح الإيمان المسيحي على الأساس الذي هو يسوع المسيح (أف ٢: ٢٠؛ ٣: ٥؛ ٤: ١١). ويُضيف بولس فئة المعلمين (أف ٤: ١١؛ رو ١٢: ٧؛ أع ١٣: ١)، وهذه كانت لصيقة بالنبوة وترد بعدها بالترتيب، الأمر الذي يؤكد على قيمتها العليا (٢تي ١: ١٣؛ ٢: ٢، ١٥؛ ٣: ١٠، ١٤، ١٦؛ ٤: ٢). عدا عما ذُكر من أن الأسقف– الراعي– الشيخ ينبغي أن يكون صالحًا للتعليم (١تي ٣: ٢؛ ٤: ٦، ١٣، ١٦؛ ٥: ١٧؛ ٦: ٣؛ تي ١: ٩؛ ٢: ١، ٧).

ويضع بولس الرسل في الفئة الأولى بين المواهب (أو الدعوات) «أولاً الرسل» (١٢: ٢٨). ومن يتفحص معطيات العهد الجديد حول استعمال كلمة رسول (باليونانية: *apostolos*)، يجدها تُطلق على تلاميذ المسيح الاثني عشر (مت ١٠: ١– ٢؛ لو ٦: ١٣)، وكذلك على رسل الكنائس (٢كو ٨: ٢٣)، ويُطلقها لوقا على بولس وبرنابا مرتين (أع ١٤: ٤، ١٤)، مع أن برنابا ليس من الرسل الاثني عشر، إنما يُمكن تسميته رسولاً لأنه هو وبولس أرسلهما الروح القدس في المهمة التبشيرية التي يقومان بها (أع ١٣: ٢، ٤). أما بولس فكان رسولاً خاصًا أقامه الرب للكرازة بين الأمم الوثنية (أع ٩: ١٥؛ ٢٠: ٢٤؛ ٢٢: ١٥، ٢١؛ ٢٦: ١٦– ١٨؛ ١كو ١٥: ٨– ١٠؛ غل ١: ١٦؛ ٢: ٢، ٧). ولكيلا تختلط الأمور، درجت تسمية رسل الكنائس في عصر الإرساليات في القرون الثلاثة الأخيرة بالمرسلين تمييزًا لهم من تلامذة المسيح الاثني عشر وبولس. فإن سلطة التعليم في العهد الجديد هي لرسل الرب والأنبياء (أف ٢: ٢٠؛ ٣: ٥)، لا لرسل الكنائس أو المرسلين (قارن، ٢كو ٨: ٢٣)، وهذا ينبغي أن يبقى واضحًا.

ويسجل بولس ثلاث قوائم للمواهب في هذا الفصل، القائمة الأولى في ١٢: ٨– ١٠؛ والثانية في ١٢: ٢٨؛ والثالثة في ١٢: ٢٩– ٣٠. وتتمايز القائمة عن الأخرى في بعض أصناف المواهب وترتيبها وعددها، ولكن هذه القوائم تتشابه كلها في وضع موهبة التكلم بالألسنة في آخر كل قائمة. وكان أهل الكنيسة في كورنثوس قد أعلوا من شأن موهبة التكلم بالألسنة فجعلوها في رأس المواهب وأكثرها أهمية، فأراد بولس أن يُلفت نظرهم إلى أن هذه الموهبة تقع في أدنى مرتبة من جهة القيمة، وقام بإصرار على وضعها في الترتيب الأخير ثلاث مرات في قوائم المواهب. وليس هذا فقط، بل ناشد المؤمنين ليطمحوا إلى المواهب الحسنى (الأحسن، الأفضل، الأسمى، ع. ٣١)، أي التي تقع في أول القائمة، مثل النبوة والتعليم.

فإن رغبة أهل كنيسة كورنثوس الجامحة في موهبة التكلم بالألسنة، شعورًا منهم أنها الأسمى بين المواهب، بحيث غدا الجميع يُهملون السعي إلى إضرام المواهب الأخرى فيهم، جعلت الرسول بولس يقول: لو أن كل الجسد عينًا فأين السمع . . . ولو كان جميع الأعضاء عضوًا واحدًا فأين الجسد» (ع. ١٧، ١٩)؟ من أجل ذلك وضع الرب فئات من الموهوبين في الجسد، الكنيسة، لكي يكون هناك تنوع مواهب لمنفعة جميع أعضاء الجسد. ومن هنا يأتي كلامه: ألعل الجميعَ . . . ألعل الجميعَ . . . ألعل الجميع يتكلمون بألسنة؟ ألعل الجميع يُترجمون (ع. ٢٩– ٣٠)؟ فإنه يريد أن يشجع الكنيسة على الإفساح في المجال لكل المواهب أن تُمارس في وقت العبادة ولا يكون التركيز على موهبة واحدة فقط.

ويختم بولس هذا الفصل بقوله: اطمحوا إلى المواهب الأسمى ولا تَنْشَدوا إلى الأدنى. وأُريكم بعدُ طريقًا مُثلى، يجب أن تتوفر في كل أصحاب المواهب، وفي كل أعضاء الكنيسة، وبهذا يمهد لما سيقوله في الفصل الثالث عشر عن المحبة التي هي ينبوع كل الفضائل.

www.christianlib.com

١٣: ١ – ١٣ المحبة الطريق المُثلى

يعتبر بعض الشرَّاح أن الفصل الثالث عشر هو عبارة عن أُنشودة موضوعها المحبة، أو قصيدة تتألف من ثلاثة مقاطع: الأول، الأعداد ١ – ٣؛ والثاني، الأعداد ٤ – ٧؛ والثالث، الأعداد ٨ – ١٣. ولا نرى في إنشاء بولس لهذا الفصل في اللغة اليونانية أي تقيُّد بقافية معينة سوى في الأعداد الوسطى بين ٣ و١٠، وبتنوع. ولا نراه يتَّبع توازي الأشطر، الأسلوب المتبع في الشعر في العبرية أو الآرامية، بالمستوى المطلوب. وهذا لا يُبطل أن تكون هذه القطعة الأدبية الراقية في معناها ومبناها قصيدة نثرية مكتملة. ومن قال إن النثر المـُخصَّب لا يكون أشد روعة من الشعر المـُجدب.

فإن الدافع الذي حضَّ بولس ليكتب أُنشودة المحبة هو نقص المحبة الذي يلاحظه في سلوك المؤمنين في كورنثوس. فإن طموحهم نحو المواهب الخارقة غير العادية مثل التكلم بالألسنة، واعتبارهم إياها بلوغ الذروة في الحياة الروحية، أدَّى إلى بروز خصال سلبية في حياتهم مثل: التفاخر، والتباهي، والحسد، والشقاق، والأنانية، والتشنيع بالغير. وهذه الخصال السلبية يشير إليها بولس في طيَّات نص الأُنشودة. وخلال فيض قلمه في تدوين النص يرتفع بولس إلى قمة السمو الخلقي الذي يجب أن يقتفيه كل مؤمن مسيحي.

ويبدأ بولس أُنشودة المحبة بقوله إذا توصل المؤمن إلى حيازة جميع المواهب الخارقة، مثل التكلم بالألسنة، والنبوة، والعلم بالأسرار، والإيمان لنقل الجبال، والمعونة، فوزَّع كلَّ أمواله طعامًا للمحتاجين وليس لديه المحبة، لما كان شيئًا، ولا انتفع شيئًا، ولكان نُحاسًا يَطِنُّ أو صَنجًا يَرِنُّ (ع. ١ – ٣). فذكر بولس هذا العدد من المواهب في مطلع كلامه يدل على أنه يكتب عن المحبة في إطار مجتمع غني بالمواهب وجاد في ممارستها، وإنما يحتاج أن يرتقي إلى فضيلة المحبة. وقد يكون وصف بولس الألسنة بأنها «لغات الناس والملائكة» يدل على تنوعها (١٢: ١٠، ٢٨)، أو أنه تعبير إطلاقي يشير إلى كل ما في الأرض والسماء من لغات، ولو حاز عليها الإنسان بلا المحبة فلا قيمة لذلك. وقد يكون معنى العبارة أن «ألسنة الناس» تشير إلى ما جرى يوم الخمسين إذا فهم الألسنةَ الناطقون بها؛ ومعنى «ألسنة الملائكة» وما ورد في ١ كو١٢ – ١٤، هي ألسنة غير مفهومة، ويحتاج السامعون إلى من يترجمها لهم.

ومن جهة معرفة جميع الأسرار، وحيازة الإيمان لنقل الجبال، يجدر مراجعة قسم التعريف بالمواهب وأنواعها أعلاه (١٢: ١ – ٦). وعبارة «وإن سلَّمتُ جسدي حتى أفتخر» (ع. ٣)، أي بعت نفسي لأستعمل المال لمساعدة المحتاجين، وهذا مدعاة للفخر، ولكن بلا المحبة لا انتفع شيئًا. وهناك قراءة ثانية تقول: «وإن سلَّمتُ جسدي حتى أحترق»، أي الموت كشهيد في رأي أكلمندس، وكان عقاب اعتناق الإيمان بالمسيح الإعدام حرقًا على عمود زمن الرومان.

وفي المقطع الثاني، الأعداد ٤ – ٧، يقول بولس: «المحبة تتأنى طويلاً»، وطول الأناة من ثمر الروح القدس (غل ٥: ٢٢)، وكان موسى حليمًا جدًّا (عد ١٢: ٣). و«المحبة ترفُق»، الرفق في معاملة الأسرى (أع ٢٧: ٣)، ومن صفات خادم الرب (٢تي ٢: ٢٤ ي

لا ترتكب أمرًا قبيحًا مُعيبًا، أو لا تُشنِّع بالغير) ولا تطلب ما لنفسها (غير أنانية)، ولا تحتدُّ (لا تتصرف بحدة وغليان الغيظ)، ولا تحسب الإساءة (أي لا تعدُّ الخطايا المرتكبة ضدها)، أو قد تُترجَم: لا تفكر بالإساءة إلى الغير، أو لا تظن السوء. ولا تفرح المحبة بالظلم، بل تفرح بإحقاق الحق، فيا أيها القضاة العدلَ العدلَ تتَّبعون (تث ١٦: ٢٠). ويصل بولس إلى نهاية المقطع الثاني فيدوِّن هذه الرباعية: المحبة تستر في كل حال، وتؤمن في كل حال، وترجو في كل حال، وتصبر في كل حال.

وهنا تفسير الرباعية: المحبة تستر في كل حال. ويشتق الفعل «يستر» في اليونانية من «سقْف» يغطي ما تحته. فالمحبة تستر الخطايا فلا تفضحها، بل تسامح دائمًا عند الإساءة وتصفح (يع ٥: ٢٠؛ ١بط ٤: ٨؛ مز ٨٥: ٢؛ أم ١٠: ١٢). وتؤمن المحبة في كل حال، ثقتها بالرب ثابتة وإن كانت الظروف توحي بأن الرب نسيَنا (مز ١٣: ١؛ إش ٤٩: ١٥). وتظل المحبة تثق بالأصدقاء وإن بدا منهم تقصير من نحونا، أو لم يبدُ تقصير منا نحوهم؟ وترجو المحبة في كل حال، أي تتوقع أن تتحول الأمور دائمًا للخير مهما كانت صعبة (رو ٨: ٢٨). وتصبر المحبة في كل حال، مهما كانت وطأة الظروف شديدة وقاسية. والفرق بين الصبر وطول الأناة في لغة العهد الجديد أن الصبر هو على الشدائد، أي على المآسي والويلات والمحن والكوارث الطبيعية، وطول الأناة هو احتمال تصرفات البشر، مثل الظلم والكيد والخيانة والغدر والإساءة وجرح المشاعر والسخرية والمهانة والاستخفاف واللامبالاة. فالمؤمن الواثق بالرب المليء بالمحبة ينتصر في كل حال. وصدق كاتب الأمثال: «البطيءُ الغضب خير من الجبَّار، ومالك روحه خير ممن يحتلُّ مدينة» (أم ١٦: ٣٢). وقال الشاعر:

ليس من يقطع طرقًا بطلاً إنما من يتَّقي اللهَ البطلْ

ويباشر بولس المقطع الثالث (ع. ٨ – ١٣) بالقول إن المحبة لا تسقط أبدًا. ويقارنها بالمواهب، فهذه ستنتهي وتبطُل، سواء أكانت النبوات أو الألسنة أو العلم. فإذا كانت النبوة كشفًا لخفايا القلوب (١٤: ٢٥)، والعلم كشفًا للأسرار (ع. ٢)، فلنتذكر أننا نعلم علمًا جزئيًّا، ونتنبَّأ تنبؤًا جزئيًّا؛ ولكن حين يجيء ما هو كامل، يُبطَل ما هو جزئيٌّ. ويريد بولس «بما هو كامل» نهاية الزمان الحاضر

www.christianlib.com

وتأسيس نظام الله الجديد في العالم.

ويقارن بولس بين ما هو جزئي وما هو كامل بحياة الإنسان بين الطفولة والبلوغ. ففي مرحلة الطفولة يفكر الطفل ويتكلم كطفل، ولـمَّا يصير بالغًا يفكر ويتكلم كبالغ ولا يعود كالأطفال. وهذا يشير من ناحية إلى أن بولس يعتبر وجودَنا في الدهر الحاضر مرحلة طفولة، والدهر الآتي مرحلة البلوغ، مرحلة «ما هو كامل» (ع. ١٠). والفارق بين الآن والدهر الآتي أننا الآن نرى الأمور من خلال المرآة بغشاوة (أو إبهام، أو غموض، حرفيًّا في لغز، في أُحجية)، ولكن في المستقبل نراها كمن يرى صاحبه وجهًا لوجه بكل صفاء ووضوح. ويقول بولس إنه: إلى الآن أعرف معرفة جزئيّة، ولكن آنئذ سأعرف بالتمام، كما يعرفني الله بالتمام. وينزع بولس بكلامه هذا بساط الشعور بامتلاك المعرفة الكاملة من تحت الذين يدَّعون بأنهم وصلوا إليها، ويدعوهم إلى التواضع وعدم الجزم بالأمور قبل الوقت حتى يأتي الرب (٤: ٥).

ويعتقد بعضهم أن كلام بولس على انتهاء مواهب الألسن والنبوة والعلم قد تم عند مجيء الكامل، أي عند اكتمال كتب العهد الجديد القانونية وانتشارها بين الكنائس، فغدت الكنيسة لا تحتاج هذه المواهب التي كانت تنشط في زمن لم تكن كتب العهد الجديد قد اكتملت ولا انتشرت في كل مكان، وبالتالي لا حاجة لأن تستمر هذه المواهب. فإن النظر بدقة إلى السياق يؤكد أن بولس يريد بمجيء «ما هو كامل» حلول ملكوت الله النهائي في العالم، لا اكتمال كتب العهد الجديد وانتشارها.

ثم يخلص بولس إلى انتخاب الفضائل العليا الثلاث: الإيمان والرجاء والمحبة، وهي التي تثبت في التصفية النهائية للفضائل، ثم يُضيف ميزة للمحبة وهي أنها أعظم من الإيمان والرجاء. ويبدو أن الإيمان والرجاء بالله يدعمان حياتنا الروحية في الدهر الحاضر وينتهيان بانتهائه لمـَّا نرى الرب وجهًا لوجه، غير أن المحبة تصاحبنا من الآن وإلى الأبد ولا تنتهي لأن محبتنا لله دائمة ومحبته لنا دائمة.

١٤: ١–٤٠ المواهب الروحية: ممارسة التكلم بالألسنة والتنبؤ

في هذا الفصل الرابع عشر يركز بولس على معالجة موهبتين بارزتين تمارسان بوفرة في كنيسة كورنثوس، هما التكلم بالألسنة والنبوة. وبسبب العنصر المعجزي غير المعتاد الذي يرافق التكلم بلغات غريبة، وهالة الغرابة والقدسية التي تحيط بها، حظيت موهبة التكلم بالألسنة بالإقبال الشديد عليها من قبل المؤمنين، وأُهملت موهبة النبوة. وأخذ الذين يحضرون اجتماعات العبادة المسيحية في كورنثوس (بسبب كبر المدينة وكثرة المؤمنين قد كان المؤمنون يتوزعون على كنائس عديدة في البيوت) يلاحظون كثرة الغموض بسبب التكلم بالألسنة، وبخاصة إذا لم تكن تُترجَم. ويلاحظون أيضًا أن الرسائل أو الكلمات التي تُلقى باللغة اليونانية المتداولة التي يفهمها الجميع كانت قليلة، وبخاصة النبوءات التي تُتلى بالذهن فيفهمها الذهن. وتعديلاً لهذا المسار المنحرف، وإقامةً لتوازن صائب بين هاتين الموهبتين، وتأكيدًا لتفضيله وضوح النبوة على غموض الألسنة، يكتب بولس وصفًا مفصَّلاً للموهبتين، وشارحًا كيف يجب أن تمارسا.

وصف التكلم بالألسنة والترجمة

من يمارس التكلم بالألسنة لا يكلم الناس، بل الله، إذ لا أحد يفهم ما يسمع سوى الله، ولأنه ينطق ما ينطق به بالروح، أي ليس من خلال ذهنه الواعي، فهو يتكلم بأسرار، أي بأمور مخفية عن الجميع لأنهم لا يفهمون اللغة التي ينطق بها (ع. ٢). لذلك يقول بولس من يتكلم بلسان يبني نفسه (ع. ٤). ويمكن لمن يرغب أن يصلي بلسان، أي يخاطب الله مباشرة، وكذلك أن يرتل بلسان، أي أن يرافق لحنٌ معيَّن النطقَ بلسان (ع. ١٥). ولكن يبقى السؤال: ماذا ينفع الكنيسة التكلم بالألسنة؟ إن الذي ينفع الكنيسة هو كلام الإعلان، أو العلم، أو النبوة، أو التعليم (ع. ٦)، وينفع الكنيسة الألسنة المترجمة، لا الألسنة غير المترجمة.

وحيث إن ترجمة الألسنة موهبة مرتبطة بالتكلم بالألسنة وجب وصفها هنا أيضًا. يمنع بولس التكلم بالألسنة في اجتماع عبادة الكنيسة إن لم يحصل ترجمة لها (ع. ٢٨). والترجمة يُمكن أن يقوم بها من يتكلم بلسان (ع. ٥، ١٣)، أو شخص آخر (ع. ٢٧–٢٨). من يترجم الألسنة يجب أن يصلي لكي يمنحه الله فهمًا بالروح للغة غير مفهومة بالذهن، وهكذا ينطق المترجم بكلمة تُجمل ما قيل بالألسنة لكي يفهم الناس (ع. ١٣). وعلى هذا الشكل، أي بترجمة الألسنة، تصبح الألسنة معادلة للنبوة، إذ إنَّ الترجمة تساعد المؤمنين أن يُبنَوا روحيًّا وسلوكيًّا (ع. ٥).

وصف موهبة النبوة

من يُمارس موهبة النبوة يكلم الناس بكلام للبنيان والتشجيع والسُّلوان وبهذا تُبنى الكنيسة (ع. ٣–٤). وتُمارس النبوة من قبل الرجال والنساء (١١: ٥؛ أع ٢: ١٧؛ ٢١: ٩)، وكذلك الألسنة لأنها شبيهة بها (أع ١: ١٤؛ ٢: ٣–٤). وفي ممارسة النبوة يكون المرء في وضعية الصلاة مُستلهمًا الروح القدس الذي يصلي في المؤمنين (رو ٨: ٢٦؛ را. شرح النبوة، ١١: ٤–٥).

والنبوة هي للبنيان والتشجيع والسُّلوان، وهناك أيضًا أنبياء يُنبئون بالمستقبل (أع ١١: ٢٧–٣٠؛ ٢١: ١٠–١١). فالنبوة بشكل عام معنية ببنيان الكنيسة، أي تقديم رسائل تنمِّي الأعضاء روحيًّا وعمليًّا في مفاهيم الإيمان المسيحي العقيدي والسلوكي.

www.christianlib.com

والنبوة معنية أيضًا بالتشجيع (في اليونانية: *paraklysis*)، أي حضّ المؤمنين ومناشدتهم وحثّهم على السير مع الرب بعزم ومثابرة. والسلوان هو كلام مُعزٍّ ومعزِّز يُنسي الإنسان همَّه والمَصاب الأليم الذي يجتازه، والتسلية لا تعني اللهو، بل هي إسلاء الإنسان همه، أي نسيان الهم والغم.

إن ترجمة «*paraklysis*» بالوعظ، بدل التشجيع، أساء إلى فهم النبوة لدى كثيرين، فاعتقدوا أن الوعظ والنبوة مرادفان، وأنهما يُمارسان مثل التعليم وقوفًا في وسط الجماعة مواجهة. وكذلك فعلت الترجمة بيهوذا وسيلا النبيين فقالت: وعظا الإخوة وشدداهم، بدل شجَّعا الإخوة وشدداهم (أع ١٥: ٣٢). ويسمح الرسول بولس للنساء بممارسة التنبؤ في الكنائس (١١: ٥)، على غرار ما جاء في نبوة يوئيل (أع ٢: ١٧– ١٨) عن تنبؤ البنين والبنات، وانسكاب الروح القدس على العبيد والإماء. غير أن بعضهم فهم التنبؤ على أنه وعظ وتعليم كما جاء في الترجمة: بنيان ووعظ (١٤: ٣)، بدل بنيان وتشجيع، فحرموا النساء من التكلم في الكنائس إذ ربطوا الوعظ بالتعليم، وحسبوا الوقوف على المنبر أنه للرجال فقط، بينما كلمة الرب ينطق بها الرجال والنساء على حد سواء.

تعريف عبارتي الروح والذهن

يقول بولس إن الذي يتكلم بالألسنة «بالروح يتكلم بأسرار» (ع. ٢)، وهذا يعني أنه يتكلم في مجال روحاني لا ذهني. ولا يقصد بولس هنا أن المتكلم بالألسنة يتكلم بالروح القدس، لأن الروح القدس هو الدافع والمحرك لكل المواهب، إنما يقصد بالروح ذلك المجال الذي يخص روحنا في مقابل ذهننا. ولاحظ قوله: «إن كنت أُصلي بلسان فروحي تصلي وأما ذهني فعقيم» (ع. ١٤). فإذا كانت الألسنة غير مفهومة لأنها في مجال الروح، ونرغب أن يستفيد السامعون، فما العمل؟ يكون الحل بأن نصلي بالروح، ونصلي أيضًا بالذهن. نرتل بالروح، ونرتل أيضًا بالذهن (ع. ١٥). ويكرر بولس وضع التكلم بلسان في مقابل التكلم بالذهن في ١٤: ١٩، الأمر الذي يؤكد أن التكلم بلسان يرادف الروح في مقابل الذهن. ويربط بولس بين اللسان والروح في مقابل النبوة التي تعمل في مجال الذهن بقوله: لا تطفئوا الروح. لا تحتقروا النبوات (١تس ٥: ١٩– ٢٠). فإن هذه المطالعة تبغي توضيح هذا الأمر وهو أن الألسنة غير المفهومة هي كلام في مجال روحنا، وأن التنبؤ أو التعليم أو أي موهبة تُمارَس بلغة مفهومة هي كلام في مجال ذهننا.

العبادة وعي جماعي لا غموض فيه

من يطالع هذا الفصل الرابع عشر يلاحظ بكل وضوح أن غاية بولس من كتابته، والإطار إطار المواهب الروحية ومنها الألسنة، هي أن جو العبادة يجب أن يسوده الوعي الجماعي بحضور الذهن، وأن يفهم العابدون ما يريد الله منهم من خلال الرسائل والكلمات التي يوجهها لهم الروح القدس بلا غموض.

وفي مجال الوضوح، تُفضَّل النبوة على الألسنة لأنها تقع في مجال الذهن «وبالأولى أن تتنبأوا» (ع. ١)، ويتكرر هذا القول في ١٤: ٥. فإن من يتنبأ أعظم ممن يتكلم بألسنة لأنه يبني الكنيسة، إلاّ إذا حصل ترجمة للألسنة وعندئذ تنال الكنيسة البنيان وتتساوى الموهبتان (ع. ٥)، ولكن ألسنة بلا ترجمة لا نفع منها والنبوة أفضل منها. وفي سبيل تأكيد موقفه المؤيد للعبادة الواعية والمفهومة، يستعمل بولس الإيضاحات التالية:

الإيضاح الأول: آلات العزف والنفخ الموسيقية: فإن العبارة «الأشياء العادمة النفوس (العديمة النفس)»، أي التي لا نفْس لها (في اليونانية: *apsukha ta*) يقصد بها الآلات الموسيقية. والآلة لا نفْس لها وتُصدر صوتًا، في مقابل الإنسان الذي له نفْس ويرتل، أو الطير الذي يصفر. فيقول النص إن الآلات التي تُصدر صوتًا، مزمارًا كانت أم قيثارة، فإن لم تبدِ فرقًا بين النغمات، فكيف يُعرَف ما زُمِّر، أو ما عُزف به؟ حتى البوق إن أصدر صوتًا غير واضح، فمن يتهيَّأ للقتال (ع. ٧– ٨)؟ ثم يأتي التطبيق بقوله: هكذا أنتم، فإن لم تتكلموا بلغة مفهومة تكونون كمن يتكلم في الهواء (ع. ٩).

الإيضاح الثاني: اللغات المستعملة في العالم: هناك عدد كبير من اللغات في العالم وكل لغة لها معنى ويتخاطب أهلها بها ويتفاهمون. ولكن عندما يلتقي أهل لغة بأهل لغة أخرى، وكل منهم لا يعرف لغة الآخر، لا يستطيعون التفاهم (ع. ١٠– ١١). والتطبيق على سبيل المشابهة هو أن من يتكلم بالألسنة عليه أن يُترجم لأن أذهان الناس لا تلتقط معنى الرموز الصوتية التي ينطق بها (ع. ١٣– ١٤). فإذا حضر عامِّيٌّ اجتماع العبادة، أي الذي يجهل ما يسمع، كيف يقول «آمين»، وهي علامة الموافقة عندما يُبارَك الله ويُشكر بالألسنة غير المفهومة؟ الناطق بالألسنة يشكر الله بها، وهذا حسن، ولكن غير الفاهم لا ينمو في إيمانه (ع. ١٦– ١٧). وهنا يذكر بولس أنه يشكر الله لأنه يتكلم بالألسنة أكثر منهم كلهم، ولكنه في اجتماع الكنيسة يفضِّل أن يتكلم خمس كلمات واضحة ليعلِّم غيره، أكثر من ألوف الكلمات بلسان لا يُفهم (ع. ١٩). وهذا ما يريدهم أن يفعلوه!

الإيضاح الثالث: اقتباس من العهد القديم: «قد كُتب في الناموس: إني بذوي ألسنة أُخرى وبشفاه آخرين (غرباء)، سأكلم هذا الشعب ولا حتى هكذا يسمعون لي، يقول الربُّ» (ع. ٢١؛ إش ٢٨: ١١– ١٢). فإن المعنى الأساسي لهذا القول في إشعياء هو أن الله سيكلم شعبه بواسطة القصاص الذي سيُنزله بهم الأشوريون الغزاة، فالغزو الأشوري للسامرة وأورشليم، والأشوريون شعب غريب ويتكلم باللغة الأشورية وهي غير العبرانية التي يتكلمها اليهود،

www.christianlib.com

سيكون الدينونة التي يُنزلها الله بشعب اليهود ليتوبوا ويرجعوا إليه، ولكنهم لم يفعلوا (را. تث ٢٨: ٤٩، ٦٢). ويستعير بولس من قول إشعياء لفظة «ألسنة أُخرى» ليطبقها على ما يريده من تعليم حول التكلم بالألسنة، والاقتباس من إشعياء، برأيه، يُقوِّي نقطة بحثه في هذا الموضوع.

وكان المبدأُ التطبيقي الذي استنتجه بولس (لاحظ «إذًا») من الاقتباس هو التالي: الألسنة **إذًا** آية لا للمؤمنين، بل لغير المؤمنين، أما النبوة فليست لغير المؤمنين، بل للمؤمنين (ع. ٢٢).

عندما يقارن المرء بين الاقتباس من إشعياء والمبدأُ التطبيقي الذي استنتجه بولس، يلاحظ أن بولس يعتبر اليهود غير مؤمنين لأنه يقول: الألسنة آية لغير المؤمنين. غير أن بولس لا يعتبر اليهود غير مؤمنين بالله لأنه يعتبر نفسه منهم، إنما كانوا بحاجة إلى تأديب من الله ليعيشوا في رضاه (رو ١١: ١). ولذلك يبرز تناقض بين الاقتباس من إشعياء والمبدأ التطبيقي الذي استنتجه بولس. هذه هي المشكلة الأولى التي نواجهها هنا.

والمشكلة الثانية التي نواجهها هي أنه عند النظر الدقيق في الأعداد ٢٣– ٢٥، التي تلي المبدأُ التطبيقي الذي استنتجه بولس ومقارنتهما بعضهما ببعض، يبرز تناقض كامل بينهما. ففي ٢٣، لم تكن الألسنة آية، أو علامة لغير المؤمنين تساعدهم على أن يؤمنوا؛ وفي ٢٤– ٢٥، لم تكن النبوة آية للمؤمنين، بل لغير المؤمنين فآمنوا. ويتمحور أساس المشكلة إذًا في المبدأُ التطبيقي الذي استنتجه بولس (ع. ٢٢)، لأنه لا ينسجم مع الاقتباس من إشعياء، من جهة، ولا يتوافق مع ما ورد بعد المبدأ التطبيقي في الأعداد ٢٣– ٢٥، من جهة أخرى. فما العمل لحل هذه المشكلة؟

يرى كثيرون أن الحل الصائب يتوفَّر في كتابة المبدأ التطبيقي الوارد في ٢٢ بطريقة معاكسة كما يلي: الألسنة إذًا آية لا لغير المؤمنين، بل للمؤمنين، أما النبوة فليست للمؤمنين، بل لغير المؤمنين. وبهذه الصيغة المناقضة لما جاء في النص الحالي، يتحقق الانسجام مع الاقتباس من إشعياء، ويتوفَّر التوافق مع ما ورد في الأعداد ٢٣– ٢٥، في آن واحد.

وحيث إن كتابة ع. ٢٢ بطريقة معاكسة يوفر الحل لهذه المشكلة المزدوجة، تنامت الآراء التي تعزو هذا الخطأ في التدوين إلى النسَّاخ الذين تعاقبوا على نسخ مخطوطة كورنثوس الأولى بعد النسخة الأصلية التي وضعها بولس. ولا يوجد تضارب بين القراءات في المخطوطات المتوفرة لكورنثوس الأولى.

بعد تقديم هذه الإيضاحات الثلاثة الواردة في ٧– ٢١، يختم بولس بقوله إن النبوة أفضل من الألسنة لأنها واضحة ومفهومة لغير المؤمنين. غير المؤمن يرى في الألسنة ضربًا من الهذيان (ع. ٢٣)، ككلام السكارى (أع ٢: ١٣ و١٦)، ولكن لدى سماع النبوات «تنكشف خفايا قلبه، ويسقط هكذا على وجهه، ويسجد لله معلنًا: حقًّا إن الله بينكم» (ع. ٢٥؛ إش ٤٥: ١٤).

فإن كلمة «الجميع» في ٢٣– ٢٤، تشير إلى مجموعة الذين يتكلمون بالألسنة، أو مجموعة الذين يتنبأون، لا إلى جميع العابدين.

١٤: ٢٦– ٣٣ ترتيب ممارسة التكلم بالألسنة والتنبؤ يبدأ بولس هذا المقطع بالتركيز على البنيان (ع. ٢٦)، فيقول إن كل شيء يُعمل خلال العبادة بالمواهب يجب أن يكون لبنيان الكنيسة (٣– ٥، ١٢)، سواء كان مزمورًا يُتلى، أو تعليمًا يُقدَّم، أو إعلانًا يُبلَّغ، أو ألسنة يُنطق بها، أو ترجمة لها. ومرة جديدة يضع الألسنة وترجمتها في الأخير.

تنظيم ممارسة التكلم بالألسنة: يقول بولس: إن تكلم أحد بلسان، فليتكلم اثنان، وعلى الأكثر ثلاثة، وبالتتابع، وليترجمْ واحد. ولكن إن لم يكن من مترجم، فليَصمُتْ في اجتماع الكنيسة، وليتكلم بلسان في نفسه وإلى الله (ع. ٢٧– ٢٨). فإن ترجمة (*kata*) اليونانية بمعنى ترافقيٍّ جعل بعضهم يترجم ع. ٢٧ كالتالي: إن كان أحد يتكلم بلسان فاثنين اثنين أو على الأكثر ثلاثة ثلاثة وبترتيب (نقلاً عن مر ٦: ٤٠). ولكن معنى (*kata*) هنا تناوبيٌّ، لذا فليتكلم اثنان وعلى الأكثر ثلاثة وبالتتابع. ويبدو من السياق أن بولس يريد ضبط فوضى استعمال التكلم بالألسنة، فمن جهة لا يريدهم أن يتكلموا بالألسنة دفعة واحدة، فهذا لا يساعد على الترجمة (وليترجم واحد، ع. ٢٧)، ومن جهة أُخرى يريد أن يتكلموا بالألسنة واحدًا فواحدًا بالتتابع، ولا يتكلم أكثر من ثلاثة. ويقول ذلك لكي يُفسح في المجال لكي تمارس أنواع أُخرى من المواهب خلال العبادة، لا أن تسيطر موهبة على كل المواهب في الكنيسة.

تنظيم ممارسة التنبؤ: يقول بولس: أما الأنبياء، فليتكلم اثنان، أو ثلاثةٌ، وليحكُم الآخرون (ع. ٢٩). كما أن الذين يتكلمون بالألسنة لا يتجاوزون الثلاثة كذلك الأنبياء. وبينما النبي يتنبأ يلاحظ الآخرون ما يقوله من خلال التنبؤ لئلا يغلط في مفاهيم الإيمان أو يسيء إلى أحد، لذلك يقول: «وليحكم الآخرون». ولئلا يتكاثر الذين يتنبأون دفعة واحدة، يقول: «إن أُعلِنَ أمرٌ لنبي آخرَ جالس، فليصمت الأول» (ع. ٣٠). أي إذا شرع أحد بالتنبؤ بينما آخر يتنبأ، فلا يتنبأ الاثنان معًا، بل ليصمت الأول ويعطي مجالاً للثاني، وهكذا دواليك، «لأنكم تقدرون أن تتنبَّأوا كلكم، واحدًا واحدًا (بالتناوب، لا معًا بنفس الوقت)، ليتثقف الجميع ويتشجع الجميع (ع. ٣١). وكلمة «جالس» تعني أن الذي يتنبأ يقف ليتنبأ بينما غيره يكون جالسًا، أو قاعدًا، فإذا دفع الروح القدس أحدًا غيره ليتنبأ، وكان جالسًا، يقف ليتنبأ ويكون قيامه إشارة ليتوقف الأول عن التنبؤ.

وبقوله: «أرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء» (ع. ٣٢)، يؤكد بولس أن النبي قادر أن يسيطر على روحه ساعة يشاء ويتوقف عن

www.christianlib.com

التنبؤ مفسحًا المجال لنبي آخر ليتنبأ. وتأكيدًا لموقفه الداعي إلى النظام في العبادة وتبريرًا لوضعه هذه الترتيبات، يختم بولس هذه الفقرة بقوله: «إن الله ليس إله تشويش، بل إله سلام» (ع. ٣٢).

١٤: ٣٤– ٣٦ صمت النساء في الكنائس، ماذا يعني؟ يطلب بولس أن تصمت النساء في الكنائس لأنْ ليس مأذونًا لهن أن يتكلمن، بل ليخضعن (ع. ٣٤)، وذلك حسب العادة في جميع الكنائس (ع. ٣٣ب)، ويستشهد بالناموس تأييدًا لكلامه (ع. ٣٤ب). ولكنه لا يشير إلى موضع محدد في الناموس يشير إلى خضوع المرأة للرجل، إلاَّ إذا كان يفكر بعبارة «وهو يسود عليك» (تك ٣: ١٦)، أو بتسمية ساره إبراهيم سيِّدَها (تك ١٨: ١٢؛ ١بط ٣: ٦). ثم يُتابع بولس دعواه بشأن صمت النساء، فيقول إنه معيب (قبيح) أن تتكلم النساء في اجتماع الكنيسة (ع. ٣٥). فما كانت المجامع اليهودية، زمن بولس، تسمح للنساء أن يتكلمن في حضور الرجال وبخاصة في اجتماع عام؛ كذلك يذكر بلوتارخُس (٤٦– ١٢٠م)، مؤرخ يوناني عاش في روما، أن المرأة الرصينة لا ترفع صوتها في اجتماع عام، وإذا فعلت تبدو كأنها فاقدة الحشمة، ولكنها يُمكن أن تخبر زوجها بما تريد أن تقول ويفعل ذلك نيابة عنها (را. ع. ٣٥). فإن كلام بولس عن صمت النساء في الكنيسة يتوافق مع الثقافتين اليهودية واليونانية في زمنه.

ولكن، هل وصية بولس «لتصمت النساء في الكنائس» هي وصية عامة شاملة، أي ينبغي ألاَّ يتكلمن إطلاقًا، أم هي ليصمتن في ناحية واحدة فقط؟ إذا كان منع النساء عن الكلام وصية مطلقة، فكيف يسمح بولس نفسُه لهنَّ أن يُصلِّين ويتنبأن (١١: ٥، ١٣)؟ وكيف يرد أن الرجال كانوا يواظبون على الصلاة والطلبة مع النساء (أع ١: ١٤)؟ وألم يستشهد بطرس بيوئيل النبي ليشرح ما حدث يوم الخمسين «فيتنبأ بنوكم وبناتكم . . . وعلى عبيدي وإمائي أسكب روحي (أع ٢: ١٧– ١٨)؟ أضف بنات فيلبس المبشر اللواتي كنَّ يتنبأن (أع ٢١: ٩). فإن هذه الشواهد كلها تؤكد أن المرأة لا تصمت في اجتماع الكنيسة، بل تشارك الرجل في الصلاة الجهارية والتنبؤ، أضف تقديم الشهادة والترتيل مثلها مثل الرجال.

إذًا، ماذا يعني بولس بقوله «لتصمت النساء في الكنائس»؟ فإن سياق كلامه يدل على مقصده: إن أردنَ أن يتعلمْن شيئًا، فليسألْن رجالهن في البيت (ع. ٣٥). إذًا، الإطار إطار تعليمي، فبدلاً من أن تسأل المرأة المعلمَ الذي يقوم بالتعليم وسط الاجتماع العام مباشرة، وما قد يستتبع ذلك من مماحكة بالكلام ومحاججة إذا قام المعلم بالرد على سؤالها ولم تقتنع أو تكتف، يقول بولس: فلتسأل رجلها في البيت، ولا تحصل مواجهة بين المعلمين والنساء مع ما فيها من أخذ وردٍّ، وهذا لا يليق بالمعلمين أن تواجههن النساء، في سياق ذلك الزمان، ومعيب كذلك للمرأة. وهناك شاهد آخر يُضيء على ما أشرنا إليه يقول: لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع، ولا آذن لها أن تعلِّم أو تتسلط على الرجل، بل تبقى خلال التعليم ساكتة (١تي ٢: ١١– ١٢). وبناء على كل هذا يكون «صمت المرأة في الكنيسة» خلال التعليم فقط. وما خلا ذلك، يُرشد الروح القدس الكنيسة لكي تضع الأمور في نصابها لكل حالة في كل مناسبة.

١٤: ٣٧– ٤٠ خاتمة موضوع المواهب يؤكد بولس أن ما كتبه عن المواهب هو وصية من الرب، ويريد من كل من يحسب نفسه نبيًّا أو روحانيًّا في كنيسة كورنثوس أن يدرك ذلك تمامًا (ع. ٣٧). ثم يقول بحسم: وإن كان أحد لا يعتبر كلامي وصية من الرب، فلا تقيموا له اعتبارًا (ع. ٣٨)، ويرد النص حرفيًّا هكذا: ولكن إن يَجهَل أحد، فليُجهَل، أي فتجاهلوه. وهناك قراءة ثانية في النص اليوناني تقول: ولكن إن يَجهَل أحد، فليَجهَل، أي من لا يَعتبر، فلا يَعتبر.

ويقدم بولس توصيته النهائية: لذلك، أيها الإخوة، ارغبوا في أن تتنبأوا (وهذا يأتي أولاً)، ولا تمنعوا التكلم بألسنة. وليُعمَل كلُّ شيء بلياقة وبحسب ترتيب، أو بنظام. وبهذه النصائح القيِّمة، التي توجز ما قاله في الفصول الثلاثة عن المواهب، يختم بولس كلامه، ولكن بعد مرور ألفي سنة لا يزال موضوع المواهب وممارستها مُشرَّعًا للنقاش!

١٥: ١– ٥٨ قيامة الأموات

تُعتبر قيامة الأموات وعودتهم إلى الحياة بالجسد عقيدة أساسية في الإيمان المسيحي، وقد استمدت مصداقيتها وأهميتها من قيامة الرب يسوع بالذات، فهو عاد من الموت إلى الحياة في اليوم الثالث بعد صلبه. وكل تعريف بالقيامة أو وصف لها، فإنه قد بُني على شهادة الرسل لقيامة يسوع من الموت، ورؤيتهم إياه من خلال ظهوراته بعد قيامته (ع. ٥– ٨). فإن الاعتقاد بالقيامة من الموت كان باهتًا في كتابات العهد القديم فيما قبل السبي ولم يأت ذكره إلاَّ لُمامًا (١صم ٢: ٦؛ مز ١٦: ١٠– ١١؛ إش ٢٦: ١٩)، وكان أوضح بشكل خاص في كتب ما بعد السبي إلى بابل، فوَرد بشكل تشبيهي لعودة الأمة من السبي (حز ٣٧: ١– ١٤)، واكتملت الصورة بذكر القيامة فالجزاء (دا ١٢: ٢).

وفي الحضارة اليونانية كان الاعتقاد بخلود النفس هو الشائع، أي أن القوى الفكرية الواعية في الإنسان تستمر في الوجود بعد الموت، ولكن لا قيامة للأجساد. واعتقد المصريون القدماء بحياة بعد الموت، والأدلة في معالم الأهرامات وتصاويرها ظاهرة. وفي الشرق القريب اعتقدت الزردشتية في فارس القديمة بالقيامة من الموت على غرار ما جاء في العهد القديم. وكان العالم الفكري الفارسي واليوناني والمصري يتفاعل بعضه ببعض ويتلاقح، فيتولد جراء ذلك ما لا يحصى من المعتقدات الضبابية والمتضاربة فيما يتعلق بالحياة بعد الموت. ومنها ما أورده بولس في هذا الفصل عن

www.christianlib.com

قوم ينكرون القيامة (ع. ١٢)، وقوم يعتمدون من أجل الأموات (ع. ٢٩)، وقوم يعتقدون أن الموت هو النهاية (ع. ٣٢).

ومن هنا قيمة هذا الفصل الذي كتبه بولس، إذ هو يكشف حقائق عن القيامة من بين الأموات مبنية على قيامة يسوع. وأعتقدُ أنه سار في تحليله بشكل منطقي من حقيقة الحدث، قيامة يسوع الفعلية، إلى تأطيره في المشهد الكتابي (ع. ٤، ٤٥، ٥٤-٥٥)، وقد استنطقهما بولس ليقدم مفهومًا للقيامة في الجسد هو ما بين المادي والروحي، فيصفه بقوله: «ويوجد جسم روحاني» (ع. ٤٤). فإن ما يحيِّرنا في قيامة يسوع بالجسد أنه خرج من الأكفان التي كانت تلف جسمه، والمنديل الذي يلف رأسه، دون أن يفك رباط الأكفان أو لفافة المنديل (يو ٢٠: ٥-٧). فقد كان الكتان الذي يلف جسد يسوع من كتفيه حتى قدميه جاثمًا (موضوعًا) والجسم ليس بداخله، لأن يسوع خرج من الأكفان مُقامًا دون أن ينزعها عنه أو يحركها، وكذا المنديل الذي يلف رأسه. فالمشهد لم يكن مسرح سرقة للجثمان وعبثًا بالأكفان والمنديل، لذلك آمن يوحنا بأن يسوع قام (يو ٢٠: ٨). ومن رواية متى لحدث قيامة يسوع يُستدلُّ أن يسوع قام قبل أن يأتي الملاك ويدحرج الحجر عن باب القبر (مت ٢٨: ١-٦). وكذلك، كان يسوع المقام يدخل إلى اجتماع التلاميذ والأبواب مغلقة (يو ٢٠: ١٩، ٢٦). ورغم كل هذا يقول الرب المقام لتلاميذه: «جسُّوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي» (لو ٢٤: ٣٩)، ثم أكل معهم (لو ٢٤: ٤٢-٤٣؛ أع ١٠: ٤١). فإن ما يبدد الحيرة هو التحليل الذي يقدمه بولس من أن جسد يسوع الممجَّد (في ٣: ٢١) هو جسد روحاني سماوي، وأن جسد اللحم والدم لا يقدر أن يرث ملكوت الله (ع. ٤٩-٥٠).

١٥: ١-١١ الأسس التي تُبنى عليها القيامة يبدأ بولس هذا الفصل بالتأكيد على محتوى رسالة الإنجيل الذي سبق وبشَّر أهل كنيسة كورنثوس به. والكلمة «أعرِّفكم» المطلعية تحمل معنى «أُطلعكم من جديد، أُكرر عليكم»، ويُضيف: «إن كنتم تذكرون». وهذا الإنجيل يجعل من يقبله يقوم فيه ويثبت، وبه أيضًا يخلُص الخلاص النهائي من الموت وينال الحياة المجيدة بالقيامة، وهذا المعنى للخلاص يؤكده ورود لفظة الخلاص بعد لفظة الثبات «تقومون فيه» (ع. ١-٢). ولب محتوى الإنجيل كما تبدَّى هنا هو أن المسيح مات ثم قام حسب كتب العهد القديم. ويشرع بولس في تعداد **الأسس** التي تؤكد حقيقة قيامة المسيح، وبالتالي حقيقة القيامة العامة:

١٥: ٣-٤ الأساس الأول لحقيقة قيامة المسيح: تاريخية الحدث إن يسوع مات. ثم دُفن، والدفن يؤكد حقيقة الموت. ثم قام من الموت.

١٥: ٣-٤ الأساس الثاني: نبوءات الكتب المقدسة لا يكتفي بولس بإيراد خبر موت وقيامة يسوع كحدث تاريخي، بل يؤكده بالإشارة إلى النبوءات الواردة بشأنه في كتب العهد القديم. فيكفي الإشارة إلى إشعياء الفصل الثالث والخمسين والمزمور الثاني والعشرين لكي نرى النبوءات الواضحة المتعلقة بموت الرب يسوع. أمَّا النبوءات المتعلقة بقيامته، فقد رأت الكنيسة الباكرة إشارات إليها في العبارة «لن تترك نفسي في الهاوية» في المزمور ١٦: ٩-١١، واقتبس بطرس كلمات هذا المزمور في عظته (أع ٢: ٢٤-٣١)، وبولس في عظته (أع ١٣: ٣٥-٣٧)؛ وكذلك العبارة «أنت ابني أنا اليوم ولدتك» في المزمور ٢: ٧، وقد اقتبسها بولس تأييدًا لحقيقة القيامة كتابيًّا (أع ١٣: ٣٣؛ قارن رو ١: ٤؛ لو ٢٠: ٣٦ب). ولربما كان يرد في ذهن بولس ما جاء في سفر هوشع «في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه» (هو ٦: ٢)، وفي هذا العدد يكون التركيز على تشابه اللفظ لا على تشابه المعنى، لأن المُراد بها إنقاذ الأمة لا القيامة من الموت.

١٥: ٥-٨ الأساس الثالث: ظهوراتُ يسوع حيًّا بعد الموت وبعد أن يؤكد بولس حقيقة القيامة كحدث تاريخي ويسنده بالنبوءات الكتابية، يأتي إلى ظهورات يسوع لتلامذته وأنصاره بعد موته وقيامته. ويذكر ظهور يسوع لبطرس (كيفا، صفا: بالآرامية صخر)، وليعقوب، وللرسل الاثني عشر، ولأكثر من خمسمئة مؤمن من أتباعه بعضهم توفي وأكثرهم كان لا يزال حيًّا عند كتابة بولس هذه السطور. وعبارة «دفعة واحدة» يجب أن نفهم منها أن الخمسمئة كانوا مجتمعين في مكان واحد، أكثر من أن يكون الخمسمئة متفرقين كل في مكانه ويسوع يظهر لكل منهم في الوقت نفسه. وهذا الظهور العام لم يرد في الأناجيل شيئًا عنه، إنما يتفرد بذكره بولس ولا يذكر أين جرى، ولكن يُرجح أنه في الجليل. وهذا الظهور العام لبرهان بالغ الأهمية على قيامة يسوع. وآخر الذين ظهر لهم يسوع المقام كان بولس في طريقه إلى دمشق، كما يُدوِّن هو نفسه هنا.

ويغتنم بولس حديثه عن ظهور الرب يسوع له لكي يُمجد الله على نعمته التي تفاضلت عليه (ع. ٩-١١). فيشبه نفسه بالسِّقْط، أي الجنين الذي تُسقطه أُمه قبل الولادة. ويريد بولس بهذا التعبير القول إنه بلا قيمة ولا يستحق الحياة لأنه اضطهد كنيسة الله، ولكن الله بنعمته رحمه ودعاه للخدمة الرسولية، وأعانه فتعب في خدمة الله أكثر من الجميع، ويعزو الأمر إلى نعمة الله لا إلى شخصه.

١٥: ١٢-٢٠ تداعيات إنكار قيامة الأموات ويقول بولس إنه ينادي هو والرسل بأن المسيح قد قام من الموت وبسماع هذه المناداة خلُص الذين آمنوا (ع. ١١). وحيث إن البشارة تحوي القيامة في مضمونها، هال بولس أن بعض المؤمنين في كورنثوس يُنكرون قيامة الموتى (ع. ١٢). فينهال عليهم بوابل من الدفاعات التي تُبطل دعواهم، ويُظهر الأمور التي تتداعى وتنهار في الإيمان المسيحي إذا كان لا يوجد قيامة للأموات. وهذه التداعيات هي:

www.christianlib.com

أولاً: إن كان لا يوجد قيامة، فلا يكون المسيح قد قام (ع. ١٣).

ثانيًا: إن لم يكن المسيح قد قام، فالبشارة باطلة وإيمانكم بها باطل (ع. ١٤).

ثالثًا: إن لم يكن المسيح قد قام، فهذا يعني أننا شهود زور، نُعلن عملاً لم يعمله الله (ع. ١٥).

رابعًا: إن لم يكن المسيح قد قام، فالمؤمنون به لم يُطهَّروا من خطاياهم وإذا ماتوا هلكوا (ع. ١٧-١٨).

خامسًا: إذا كان الرجاء بالمسيح لا يتعدى هذه الحياة، فالمؤمنون به هم أشقى جميع الناس (ع. ١٩).

ثم يختم بولس بتأكيد على أن واقع الحال «الآن» إن المسيح قام من الموت وغدا أول «باكورة» من قام من الذين رقدوا في القبور (ع. ٢٠). وهذا تفسير لعبارة «باكورة الراقدين»، لأن هذا التركيب هو في حالة إضافة الفصل، ويتطلب إدخال حرف الجر «من» لتصبح العبارة «بكورة من الراقدين»، وإلّا كان المعنى «أول من مات»، بدلاً من «أول من قام». إن المسيح هو باكورة القيامة من الموت، ويستتبع الباكورة، التي هي أول القطاف، الحصاد الوافر، أي جماهير المؤمنين به (ع. ٢٣)، وهم سيقومون من الموت بدورهم يوم رجوعه، عند البوق الأخير (ع. ٥٢).

١٥: ٢١-٢٢ مقابلة بين آدم والمسيح عندما يصل بولس في البرهنة على القيامة إلى هنا، يستطرد بتقديم حجة من طريق إجراء مقابلة بين آدم والمسيح يبنيها على أنه كما أن الموت سبَّبه آدم، كذلك القيامة من الموت سبَّبها المسيح. إن آدم يُمثل البشرية جمعاء، فبارتكابه الخطيئة والحُكم عليه بالموت مات الجميع «إذ أخطأ الجميع» (رو ٥: ١٢). في مقابل ذلك، فإن إطاعة المسيح لله ستسبِّب تبرير الجميع (رو ٥: ١٩)، إذا قبلوه، وبرضا الله عليه إذ أقامه من الموت، سيُحيي الله الجميع. إن مقابلة آدم كرأس البشرية القديمة بالمسيح كرأس البشرية الجديدة موضوع محبب لدى بولس (رو ٥: ١٢-٢١)، وسيعود إليه في هذا الفصل (ع. ٤٤-٤٩).

١٥: ٢٤-٢٨ في النهاية يسلِّم الابن الملكَ لله الآب بعد القيامة العامة عندما يرجع المسيح (ع. ٢٣)، يملك في الكون ويُخضع جميع أعداء الله والناس تحت قدميه (ع. ٢٥، ٢٧)، ويقوم بملاشاة كل رياسة وكل سلطان وقوة ملائكية شيطانية لا تزال عاصية عليه (ع. ٢٤؛ وأف ١: ٢١؛ ١بط ٣: ٢٢). ويكون الموت آخر عدو للبشر يُبطله الرب يسوع (ع. ٢٦)، ذلك لأنه مكتوب: «أخضع **كل شيء** تحت قدميه» (ع. ٢٧؛ مز ٨: ٦). ومن يُبطل الموت يُبطل الذي له سلطان الموت، أي إبليس (عب ٢: ١٤؛ رؤ ٢٠: ١٠ و١٤). فإن عبارة «أخضع **كل شيء**» هي شمولية لا تستثني أحدًا، ولئلاً يتبادر إلى ذهن أحد أنها تشمل الله، يُسارع بولس ليقول إن الله الآب هو الذي أخضع **كل شيء** لابنه يسوع المسيح (ع. ٢٧ب، ٢٨أ)، ومتى أخضع اللهُ كل شيء للابن يقوم الابن بالخضوع لمن أخضع له الكل، أي لله (ع. ٢٨). وهناك فرق بين خضوع الخليقة للمسيح وخضوع المسيح لله، فخضوع الخليقة للمسيح هي خضوع الخليقة لسيدها، أمَّا خضوع المسيح لله فهو خضوع الابن لأبيه، وشتَّان بين الخضوعَين. ولاحظ استعمال بولس في هذا المقطع لعبارة «الآب» (ع. ٢٤) وعبارة الابن (ع. ٢٨)، وفي هذا يقترب بولس الذي يستعمل في الغالب المصطلح اللاهوتي «الله» و«الرب يسوع» من المصطلح اللاهوتي الذي يستعمله يوحنا في الغالب «الآب» و«الابن» (قارن ٢يو ٣). وأفضل شرح لمعنى خضوع الابن للآب في النهاية، علمًا بأن الابن هو في حالة خضوع دائم للآب (يو ٨: ٢٨-٢٩؛ ١٤: ٢٨، ٣١)، هو ما ورد على لسان الابن بقوله إن الآب منحه السلطان على كل بشر، وإن الآب أرسله، وإنه أكمل العمل الذي أوكله الله إليه (يو ١٧: ٣-٥). والآن يقوم الابن بتسليم المشروع الخلاصي الشمولي، الذي كلفه الآب القيام به، لله أبيه، وهكذا يكون الله الآب الكل في الكل. وهذه العبارة الأخيرة يتميز بولس باستعمالها (١٢: ٦؛ أف ٤: ٦)، وتؤكد أن الآب هو مصدر أقنوم الابن وأقنوم الروح القدس، وخالق الكون الذي به يوجد ويحيا ويتحرك (أع ١٧: ٢٨)، ومنه وبه وله كل الأشياء (رو ١١: ٣٦)، وأن ربوبية يسوع المسيح هي لمجد الآب في النهاية (في ٢: ١١).

١٥: ٢٩-٣٤ دفاعات إضافية لحقيقة القيامة في هذه الفقرة يتابع بولس دفاعه لإثبات حقيقة القيامة، فيقدم ثلاث حجج إضافية على تلك التي ذكرها في مطلع الفصل. وهذه الحجج هي:

١٥: ٢٩ حجة من الذين يعتمدون من أجل الأموات تأييدًا لحقيقة القيامة، يُفحم بولس أهل الكنيسة في كورنثوس بقوله إن بعضًا منكم يعتمدون من أجل الأموات، فإذا كان الموتى لا يقومون، فلماذا يعتمدون من أجلهم (ع. ٢٩)؟ وبهذه العبارة يقدم بولس حجة عليهم من عندهم، فكما أن هناك قومًا في كنيسة كورنثوس ينكرون القيامة (ع. ١٢)، وهناك أيضًا قوم يعتمدون من أجل الأموات (ع. ٢٩)، ويبدو من السياق أنهم يفعلون ذلك لكي يضمنوا لهم القيامة. وقد سال حبر كثير لتفسير معنى هذا العدد التاسع والعشرين، وخاصة من جهة الغاية من القيام بمعمودية كهذه. أول كل شيء، يجب أن نستبعد أن يكون الموتى الذين يعتمد الأحياء لأجلهم غير مسيحيين، فهذا غير وارد. والأرجح أن يكون الذين يتعمدون لأجل الموتى يعتقدون أنهم بهذا يساعدون أقرباءهم، أو أولادهم، أو أصدقاء أعزاء لهم، من الذين أعلنوا إيمانهم بالمسيح وماتوا قبل أن يتعمدوا على «أن يكمِّلوا إيمانهم» (مت ٣: ١٥). وقد يكون أن هؤلاء ماتوا دون أن يتوفر لهم فرصة ليتعمدوا، كموت مفاجئ، أو استشهاد، أو موت في السجن، أو مرض عضال، أو خلال زمن اضطهاد مرير، حيث لا يتوفَّر مجال للمعمودية. ولا يوجد أي إشارة لمثل هذه

www.christianlib.com

العادة في بقية كتب العهد الجديد، ولا في الكتب المسيحية في القرون الباكرة. ويُستبعد أن تُعلل هذه الممارسة بأنها معمودية بدليَّة، أو يقوم بها أحد نيابة عن آخر لا يقدر أن يقوم بها بذاته. فقد رفض آباء الكنيسة، مثل ترتليانوس، ويوحنا فم الذهب، وأبيفانيوس، بشدة هذه الممارسة وعزوها إلى التأثُّر بالعادات الوثنية أو الهرطقات. ولا نعتقد أن بولس يؤيدها هنا بقدر ما كانت رغبته في استعمالها حجة ليقاوم بها الذين ينكرون القيامة.

١٥: ٣٠- ٣٢ حجة من مخاطرة بولس بحياته ثم يحتكم بولس إلى خبرته الشخصية، فيلجأ إلى ذكر مخاطرته بحياته في سبيل المسيح كل ساعة (ع. ٣٠)، ويزيد بقوله إنه يموت كل يوم (ع. ٣١)، ويعني بذلك المخاطر التي تهدد حياته باستمرار (٢كو ١١: ٢٣). وتأكيدًا لصحة قوله، وبأنه لا يُبالغ بكلامه، استعمل القسم. فإن الباء التي يُرفقها بعبارته «بافتخاركم» هي باء القسم، في اليونانية (ny)، وترد في تك ٤٢: ١٥ في الترجمة السبعينية اليونانية. وأفضل ترجمة لهذا العدد: «قسَمًا بالفخر الذي لديَّ بكم في المسيح يسوع ربنا: إني أموتُ كلَّ يوم». ويصل إلى بيت القصيد بقوله: إن كنت حاربت الوحوش في أفسس، فما المنفعة لي بالمقاييس البشرية؟ أي إن لم يكن قيامة، فماذا ينفعني الموت في سبيل المسيح؟ إن موقفي هذا حسب مقاييس البشر هُراء، غير أني أُخاطر بحياتي عالمًا بالرجاء الذي ينتظرني، فسأقوم من الموت لأكون مع المسيح (١تس ٤: ١٧).

إن العبارة «حاربت الوحوش في أفسس» يُستبعد أن تكون وصفًا لطرح بولس في ساحة مدرَّج رومانية ليتصارع مع الوحوش أسودًا أو نمورًا عقابًا له، فتلك العادة الرومانية لم تكن سارية آنذاك، بالإضافة إلى أن بولس كمواطن روماني (أع ٢٢: ٢٥- ٢٩) لا تجوز عليه هذه المعاملة التي كان يلقاها غير الرومانيين. لذلك يرجح المفسرون أن يكون بولس يستعمل هنا لغة مجازية يريد بها ما عاناه من مقاومة في مدينة أفسس (أع ١٩: ٢٣- ٤١)، قام بها ضده أُناس شرسون يصفهم بالوحوش، وعندما كتب هذه الرسالة لم تكن الحالة في أفسس ضده قد هدأت بعد (١٦: ٨- ٩).

وعودةً إلى القَسَم الذي يستعمله بولس (ع. ٣١). فإنه يريد به التأكيد على ما يقوله. ولا يتناقض هذا بالمطلق مع قول الرب يسوع: «لا تحلفوا البتة»، وما يتبع هذه العبارة (مت ٥: ٣٣- ٣٧)، أو كلام يعقوب (٥: ١٢). ويبدو أن الرب يسوع كان يقاوم استعمال الأقسام بخفة خلال الأحاديث اليومية، أو خلال البيع والشراء وما يرافق ذلك من مساومات وحلف، وإقحام اسم الله في الأمور المعيشية البخسة. وأقول ذلك لأنه هو نفسه عندما كان يُحاكم أمام رئيس الكهنة استحلفه هذا بالله الحي أن يعترف إن كان هو المسيح ابن الله، أي طلب من يسوع أن يحلف، أو أن يُجيب تحت القسم باسم الله، فلم يرفض يسوع، بل أجابه تحت القسم (مت ٢٦: ٦٣- ٦٤). وهذا يرد بقلم متى ذاته الذي كتب ما جاء في مت ٥: ٣٣- ٣٧. وبحسب المشْنا (مجموعة القوانين الدينية اليهودية التي كانت سائدة زمن يسوع، وجُمعت ودُونت في القرن الثاني بعده)، فإن استحلاف أحد بالسماء أو الأرض غير ملزم، ولكن استحلافه بالله يُلزمه بالإجابة، وهذا ما فعله يسوع.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار لغة القسم التي يستعملها بولس: «أستشهد الله على نفسي» (٢كو ١: ٢٣)، وقوله: «هوذا قدام الله لست أكذب» (غل ١: ٢٠)، و«الله شاهد لي» (في ١: ٨)، جريًا على عادة العهد القديم (تك ٣١: ٥٠، ٥٣؛ ١صم ١٢: ٥)، وكيف كان بولس يجعل الله شاهدًا على تيموثاوس فيما كان يناشده القيام بخدمته ومسؤولياته بأمانة (١تي ٥: ٢١؛ ٦: ١٣؛ ٢تي ٤: ١)، نستدل على أن القسم مباح عند الضرورة مثل قسم الشهود أمام المحاكم، والقسم الذي يؤديه كبار رجال الدولة عندما يتولون مناصبهم، والقسم في الدوائر الحكومية الرسمية مثلما يفعل القضاة، والمحامون، والضباط، وفي الدوائر النقابية كالأطباء، وعندما يتطلب الأمر في غير هذه الوظائف. واعتاد المسيحيون أن يقولوا عند القسم: يا إلهي كن عونًا لي لأقول الحق المحض، ولأقوم بواجبي خير قيام.

ويبقى أن نورد أنه في المحاكم العريقة وأمام القضاة الفقهاء الراسخين في العلم، يُمكن للشاهد الذي لا يرغب في القسم، لسبب ديني أو ضميري، أن يُعفى من القسم، ويُطلب منه بدل ذلك أن يتعهد بقول الحق ولا شيء غير الحق، وهذا معمول به في كل الدول التي تحترم حقوق الإنسان.

١٥: ٣٢ حجة من عبثية الحياة الحجة الثالثة يستعملها بولس من عبثية الحياة. فإن كان لا يوجد حياة بعد الموت، يقول: «فلنأكل ونشرب لأننا غدًا نموت» (إش ٢٢: ١٣). وسياق الشاهد المقتبس من إشعياء مُلفت، فأورشليم كانت تحت الحصار والأشوريون على أبوابها يستعدون لغزوها، ويطلب الله من شعب المدينة التواضع والصلاة والتوبة، فإذا بهم يقيمون المآدب والأفراح، وينحرون الأغنام ويعاقرون الخمرة، وإذا استهجن أحد ما يفعلونه يجيبونه: لنأكل ونشرب لأننا غدًا نموت. فبدلاً من الكفاح لحماية المدينة يتلهون بما لا قيمة له. فالتمسك بالقيم في الحياة أسمى مما يُشبع البطن. فلا قيمة للحياة إذا كانت أكلاً وشربًا، بل إن القيمة العليا للحياة تكمن في قيامة المسيح وعيشها في ضوء هذه القيامة.

وهنا يناشد بولس أهل الكنيسة لئلاَّ يُضلِّلهم أحد، فيحذرهم من عُشراء السوء أصحاب البدع أو الأخلاق الردية، بقوله: إن المعاشرات الرديئة تُفسد الأخلاق الجيدة. وهذا القول المأثور كان شائعًا زمن بولس، وورد في كتابات ميناندر في القرن الرابع قبل الميلاد. ونجد كلامًا مشابهًا له في المزمور الأول، وأم ٢٢: ٤٢-

www.christianlib.com

٢٥. ويجب علينا جميعًا أن نصحو ونعمل الصواب والخير، ولا ننحرف وراء الباطل ووراء أناس لا يعرفون الله حقًّا (ع. ٣٤). وهذا الكلام يحتاجه عالمنا اليوم، والأهل في تربية أولادهم.

١٥: ٣٥–٤٩ كيفية القيامة وطبيعة الجسد المـُقام قد يستصعب أحد كيف تتم القيامة فيسأل: «كيف يَقومُ الأموات؟ وبأيِّ جسم يعودون» (ع. ٣٥)؟ ويُجيبه بولس بتهكم لاذع: «يا عديم الفهم!» وقد يساعد هذا الأسلوب بعض الغافلين، فيستعيدوا وعيهم. ويستعين بتشبيه من عالم الزراعة: «إنَّ ما أنت تزرعه لا يَحيا إن لم يمت» (ع. ٣٦). وهذه حقيقة ثابتة. ثم يتابع: وما تزرعه، أنت في الأرض لا تزرع الجسم الذي سوف يتحول إليه بعدما ينبت من الأرض، بل أنت تزرع حبةً عارية مجردة من قشرتها، ربما من الحنطة، أو من بعض باقي البزور (ع. ٣٧)؛ ولكن الله يَهَبُها جسمًا لمـّا تنبت كما يشاء، ولكلٍّ من البزور جسم خاص به (ع. ٣٨). وفي العدد التالي يقول بولس: ليس لكل الأجساد شكلٌ واحدٌ، بل للناس جسد، وللحيوان، أي حيوان الاقتناء والماشية، جسد آخر، وللطير جسد آخر، وللسمك آخر (ع. ٣٩). ويُغيِّر بولس في هذا العدد استعمال جسد (*soma*) للجسم (*sarks*) لأنه يتحدث عن أجسام لحمية. ثم يعود إلى (*soma*) فيقول: «ويوجد أجسام سماوية وأجسام أرضية؛ ولكن للسماويات بهاء، وللأرضيات غيرَه (ع. ٤٠). وللشمس بهاء، وللقمر بهاء آخر، وللنجوم بهاء آخر؛ فإن نجمًا يختلف عن نجم ببهائه (ع. ٤١).

فبعد أن يثبت بولس طرحه أن القيامة تشبه عملية الزرع تموت البزرة في الأرض ثم تنبت ناهضة للحياة من جديد، يقول: هكذا أيضًا تحصل قيامة الأموات: يُزرع الجسد بحالة الفناء، ويُقام عديم الفناء (ع. ٤٢). يُزرع بهوان، ويُقام بمجد، يُزرع بضعف، ويُقام بقوة (ع. ٤٣). يُزرع جسمًا حيوانيًّا، أي الجسم في مكوناته الأساسية اللحمية الأساسية التي تتحول إلى تراب، ويُقام جسمًا روحانيًّا، كحالة جسد المسيح المـقام الذي يدخل من الأبواب وهي مغلقة (يو ٢٠: ١٩). فإن كان يوجد جسم حيوانيٌّ، فيجب أن يوجد أيضًا الروحانيُّ (ع. ٤٤). وهكذا أيضًا قد كُتب: صار آدم، الإنسان الأول، نفسًا حية (تك ٢: ٧)، وآدم الأخير، المسيح، روحًا مُحييًا (ع. ٤٥). ولكن ليس الروحانيُّ أولاً، إنما الحيوانيُّ، يليه الروحانيُّ (ع. ٤٦). الإنسان الأول، آدم، من الأرض ترابيٌّ، الإنسان الثاني، المسيح، من السماء (ع. ٤٧). وعلى مثال الترابي، آدم، يكون الترابيون، أبناء آدم، وعلى مثال السماوي، المسيح، يكون السماويون، المسيحيون (ع. ٤٨). وكما لبسنا صورة الترابيِّ، في حياتنا على الأرض، سوف نلبس صورة السماويِّ، في حياتنا في السماء بعد القيامة (ع. ٤٩).

١٥: ٥٠–٥٨ لحظة حدث القيامة: الأحياء يتحولون والموتى يقومون يوجز بولس في العدد الخمسين ما قاله في الأعداد ٤٢–٤٩، ويؤكد أن اللحم والدم (مت ١٦: ١٧) لا يقدر (الفعل بصيغة المفرد عند متى وبولس) أن يرث ملكوت الله، ولا ما يفنى يقدر أن يرث ما لا يفنى. ويُستعمل الفعل المفرد للتأكيد أن المـُراد باللحم والدم «الفرد البشري الواحد». ولا يقدر البشري بطبيعته اللحمية أن يعيش في الأبدية لأن طبيعته هذه فانية.

ثم ينتقل ليكشف سرًّا لما سيحدث لحظة القيامة، فيقول: «لا نرقد كلنا، ولكن كلنا نتغيَّر» (ع. ٥١). وهذا يعني أن المؤمنين لا يموتون كلهم، فبعضهم سيكون حيًّا عندما تحين لحظة القيامة، ولكن كلهم سوف يتغيرون، أي الأحياء منهم والأموات (يو ١١: ٢٥–٢٦). ولأنه «في لحظة، في طرفة عين، عند البوق الأخير، فإنَّه سيُبَوِّقُ، فيُقام الأموات غيرَ قابلين للفناء، ونحن الأحياء نتغيَّر (ع. ٥٢). وهذا الكلام يشبه ما سبق وقاله بولس إلى أهل كنيسة تسالونيكي (١تس ٤: ١٣–١٧؛ ٥: ١٠)، ويريد به أن الأموات يقومون إلى الحياة ويلبسون «الجسم الروحاني» (ع. ٤٤)، والأحياء يتغيرون، ويلبسونه أيضًا (٢كو ٥: ١–٤)، وكلا الفريقين يرتفعان لملاقاة المسيح الآتي، ويكونان معه على الدوام.

ويعتبر بولس أن القيامة مع المسيح تجعلنا نلبس جسمًا روحانيًّا لا يموت ولا يفنى «فمتى لبس هذا الفاني ما لا يفنى، ولبس هذا المائتُ ما لا يموتُ (ع. ٥٤)، ماذا سيحدث؟ يُجيب: حينئذ تتم الكلمة المكتوبة: «ابتُلع الموت بالنَّصر» (إش ٢٥: ٨)، «أين نصرُك، أيها الموت؟ أين شوكتُك، أيها الموت؟» (هو ١٣: ١٤). حقًّا إن آخر عدو يُزال هو الموت (ع. ٢٦)، ويلي القيامة الخلود السعيد المجيد.

ويُنهي بولس هذا الفصل بشرح معنى «شوكة الموت»، والشوكة هي إبرة العقرب تلسع وتلدغ بها (رؤ ٩: ١٠)، أو هي المنْخاس، كنصل الرمح. فيقول إن الخطيئة هي الشوكة التي تسبب الموت، والقوة التي تثبت الخطيئة هي الناموس (رو ٧: ٧ و١٣)، ويشكر الله لأنه يهبنا النصر على الخطيئة والموت بربنا يسوع المسيح (ع. ٥٦–٥٧). ويناشد المؤمنين أن يكونوا «راسخين غير متزعزعين، مُستفيضين في عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم في الرب لا يذهب سُدىً، وهباءً باطلاً» (ع. ٥٨).

١٦: ١–٢٤ إرشادات وتوصيات وبركة الختام

بعد كلامه على القيامة، يصل بولس إلى نهاية رسالته، فلا يبقى غير إرشادات ختامية مختصرة يرغب أن يُبلغها إلى أحبائه المؤمنين. وصحيح أنها ملاحظات غير أساسية كتلك القضايا اللاهوتية والعقيدية التي تتضمنها الرسالة، ولكنها تضفي لمسة من الود على العلاقة بين بولس وأهل كنيسة كورنثوس لا بد منها.

١٦: ١–٤ جمع التبرعات للمحتاجين في أورشليم كان بولس يرغب في شدِّ أواصر الصداقة بين كنائس الأمم والكنيسة الأم في

www.christianlib.com

أُورشليم. وكان التمييز العنصري لا يزال هاجعًا في نفوس الذين يؤمنون من الفريقين، ويريد بولس القضاء عليه من طريق بناء جسور من الثقة بينهما، وإزالة ما بقي من جدران عازلة (أف ٢: ١٤– ١٦). ولذلك كان يغتنم الفرص في كل مرة ينوي السفر إلى أُورشليم، فيجمع التبرعات من الكنائس التي يؤسسها وغالبية أعضائها من خلفية وثنية، ويحملها هو، أو يرسل مُساعديه بها، لسد حاجة الفقراء من الذين آمنوا (رو ١٥: ٢٥– ٢٧؛ ٢كو ٨ و٩؛ أع ١١: ٢٧– ٣٠؛ غل ٢: ١٠). وهنا يشجع بولس أهل كورنثوس على جمع تبرعاتهم كل بمفرده مطلع كل أسبوع (ع. ٢)، حتى عندما يصل إليهم يكونون جاهزين لإرسال الهبة إلى أُورشليم. ويصف بولس كيف كان يتم إرسال المال من كنيسة إلى أخرى: «أرسل الذين تحسبونهم أهلاً برسائل ليحملوا هبتكم» (ع. ٣). فقد كانوا يختارون الجديرين بالثقة ويزودوهم برسائل توصية لتكون الغاية واضحة وتلقى القبول بروح شاكرة. ومن جهة موقع كنائس غلاطية، فهي تقع في وسط تركيا اليوم إلى الشرق من بر «الأناضول» وتعني الشرق إذا نُظر إليها من اليونان. وكان بولس في أفسس (ع. ٨) عندما كتب هذه الرسالة، في بر الأناضول، بين إقليم غلاطية في الشرق وإقليم أخائية في الغرب التي كانت كورنثوس مدينة فيه.

ويضع بولس هذا المثال، فقتدي به في عصرنا الحاضر، فلا أفضل من المؤازرة الأخوية في الضيقات لشد ربط المحبة بين الكنائس وشعب المسيح بعضه ببعض (٢كو ٨: ١٤؛ ٩: ١٢– ١٤).

١٦: ٥– ٩ خطط سَفَر وهنا يشرح بولس خطة سفره، فيقول إنه سيبقى في أفسس إلى يوم الخمسين (من عيد الفصح اليهودي). ويوم الخمسين يقع عادة في أواخر شهر مايو (ع. ٨). ثم يقوم بزيارة شمال اليونان، مقدونية، ويبدو أنه يرغب أن يصرف الصيف هناك، ويتجه بعد ذلك جنوبًا إلى كورنثوس (ع. ٥؛ قارن، أع ٢٠: ١). ويعبِّر عن رغبته في البقاء لفترة طويلة بينهم في كورنثوس، وربما يصرف فصل الشتاء (ع. ٦). ولماذا يقضي فترة طويلة عندهم؟ الجواب: «لتعينوني (تشيعوني) في سفري حيثما أذهب» (ع. ٦). وكلمة «تشيِّعوني» لا تعني كما نعتقد مجرد مرافقة المسافر إلى السفينة لوداعه، بل تعني في الأصل اليوناني «تزويد المسافر ما يحتاج إليه من نقود ومؤونة وثياب خلال سفره» وترد العبارة أيضًا بالنسبة إلى تيموثاوس «أعينوه ليسافر بالسلامة» (ع. ١١). وكانت زيارة بولس إلى كورنثوس بعدما تركها مسألة شائكة سببت الكثير من القيل والقال وسوء التفسير بينه وبينهم (٢كو ١: ١٥– ٢٤)، لذلك يُفصح لهم عن رغبته في ألاَّ يزورهم قبل زيارته لمقدونية، بل بعدها، لكي يتسنى له أن يبقى عندهم زمانًا أطول، ولا تكون زيارته زيارة عابرة (ع. ٧). وكان يأمل من الإقامة الطويلة بينهم إصلاح العلاقة المتوترة بينه وبينهم، وإعادة الأمور إلى نصابها كما كانت أيامَ حمَلَ الإنجيل إليهم (٤: ١٥– ٢١).

فإن السبب الذي يجعل بولس يمكث في أفسس هو أنه قد انفتح باب واسع والعمل نَشِط، والمقاومون كثيرون (ع. ٩). ولقد ذكر لوقا ما عاناه بولس من مقاومة لرسالته في أفسس باستفاضة (أع ١٩). فإن صاحب الدعوة لا يتزحزح من موقعه في خدمة رسالة المسيح مهما تألبت عليه الصعاب وقاومه المعارضون، فشعاره الدائم، ما قيل في الترنيمة الخالدة: ها المسيح الرب قادم، لا تخافوا من مقاوم، واحفظوا الحصون!

١٦: ١٠– ١٨ توصيات بخدام الإنجيل في هذه الفقرة يوصي بولس ببعض خدام الإنجيل الذين يعاونونه، ويكلفهم بمهام يقومون بها ليتمكن من الاهتمام بالعديد من الكنائس وتغطية حاجاتها رعاية ونصحًا (٢كو ١١: ٢٨). وفي هذا نصيحة للرعاة ليُمارسوا الإحالة والتفويض، فينتدبوا من يساعدهم للقيام بالأنشطة والخدمات الكنسية، وفي هذا راحة لهم وقدرة على إنجاز أوسع، وفي الوقت ذاته تدريب لهؤلاء المنتدبين ليصبحوا قادة المستقبل (٢تي ٢: ٢).

ويبدأ بولس بالتوصية بتيموثاوس حتى حين يصل إليهم (٤: ١٧) يحرصون ليكون غيرَ وجِلٍ عندهم (ع. ١٠). ولكي يحترموه، يقول فيه: «إنه يعمل عمل الربِ مثلي»، ويزيد: «فلا يستخف به أحد» (ع. ١١). وهذه العبارة الأخيرة تشبه ما سيكرره بولس على تيموثاوس (١تي ٤: ١٢)، ويظهر فيها أن تيموثاوس كان شابًا يافعًا، ولم تقوَ شكيمته بعد، فيُسهُل إسكاته أو إخافته، وفي الشواهد التالية ما يلقي ضوءًا على حاجة شخصية تيموثاوس إلى دعم وتشديد (١تي ١: ١٨؛ ٤: ١٤؛ ٥: ٢٠؛ ٦: ١٣، ٢٠؛ ٢تي ١: ٨؛ ٢: ١، ٣؛ ٢: ٢٢؛ ٤: ١– ٢). فإن تحديات الخدمة الرعوية كثيرة وصعبة، لا يُستهان بها، وكم من مرة يشعر الرعاة أنهم أمام حائط مسدود، وقد يُسقط في يدهم، غير أن تشجيعات مثل تلك التي قدمها بولس إلى تيموثاوس، تكون كمياه مروية لنفس يابسة من العطش، وقريبة من اليأس، ولكننا نستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوينا (في ٤: ١٣).

ولربما كان أهل الكنيسة في كورنثوس يفضِّلون أن يزورهم أبلوس بدل تيموثاوس، فيخبرهم بولس أنه ترجَّى أبلوس وألحَّ عليه أن يذهب إليهم «فما كان لديه رغبة إطلاقًا أن يذهب الآن، غير أنه سيذهب متى ناسبه الوقت» (ع. ١٢). فكان أبلوس معروفًا ومحبوبًا لدى أعضاء كنيسة كورنثوس وله أنصار يؤيدونه (١: ١٢؛ ٣: ٤). ويبدو أنه فضَّل البقاء في أفسس على أن يذهب إلى كورنثوس لتخلو الساحة لبولس فيعالج المسائل العالقة بينه وبين الكنيسة لكونه مؤسسها (٤: ١٥). ولا كان أبلوس يرغب أن يظهر بمظهر المزاحم لبولس، لذلك تنحى عن الذهاب إليهم، وهذه فضيلة تُسجَّل له.

وهنا يقدم بولس عددًا من النصائح (ع. ١٣– ١٤) مناشدًا

www.christianlib.com

المؤمنين أن يسهروا لئلاً يفاجئهم السارق، فيسلبهم ما جنوه من بركات روحية! وأن يثبتوا في الإيمان المسيحي ولا يتزعزعوا! وأن يكونوا رجالاً بالغين ناضجين كاملين، ويهجروا عهد الطفولة! وأن يكونوا أقوياء بمواقفهم الأخلاقية والروحية! وأن تجري كل أمورهم بالمحبة. نصيحة لا تثمَّن!

وهنا يعود بولس للتوصية ببيت استفانوس (ع. ١٥– ١٦)، ويصفهم بأنهم أول من قَبِل البشارة (باكورة) في أخائية (الإقليم الذي تقع فيه مدينة كورنثوس). وكان استفانوس واحدًا من العاملين مع بولس في نشر الإنجيل وخدمة المؤمنين (ع. ١٧)، وله بنون (وبنات) مكرسون للرب، وقد ألزموا أنفسهم بخدمة احتياجات الكنائس. لذلك يناشد بولس أهل كنيسة كورنثوس أن يقبلوهم كقادة عليهم مع الذين يقومون معهم بالخدمة ويتعبون. ويعبِّر بولس عن فرحه بزيارة قام بها استفانوس واثنان من القادة له جاءوا من كورنثوس إلى أفسس، وكانوا لا يزالون عنده لما كتب هذه الرسالة. وسبب فرحه بهؤلاء الأحباء أنه رأى من خلالهم الكنيسةَ في كورنثوس «لأنهم سدوا فراغ غيابكم» (ع. ١٧). وقد يكون بولس يشير بسد النقص إلى أن ما قصَّرت كنيسة كورنثوس به من دعم مالي له هؤلاء قد قاموا به من جيوبهم. وتعني عبارة «أراحوا روحي وروحكم» أن هذه الزيارة أراحت فكر بولس القلق والمضطرب، وطمأنه من جهة موقف الكنيسة هناك منه، وبالتالي عندما يعود هؤلاء إلى كورنثوس سيحملون أشواق بولس ومحبته من نحوهم فيطمئنُّون (ع. ١٨). وفي العبارة الأخيرة من هذا المقطع: «فاعرفوا جيدًا قدر مثل هؤلاء»، يطلب بولس من كنيسة كورنثوس، كما فعل في الأعداد ١٥– ١٦، أن تُكرم هؤلاء الإخوة وأمثالهم. والإكرام لا يكون بالتقدير وإظهار الامتنان اللفظي فقط، بل يجب أن يتعداه إلى سد الحاجة المادية عند العوز، فخادم الإنجيل من الإنجيل يعيش (٩: ١٤؛ ١تس ٥: ١٢– ١٣؛ ١تي ٥: ١٧– ١٨).

وهناك حاجة ماسة لأن تتعلم الكنائس ضرورة الاهتمام بحاجات رعاتها، والموضوع الذي يثيره بولس هنا يقع في صميم الواقع المؤلم الذي يعيشه الكثير من رعاة الكنائس في شرقنا. فإن دعم الرعاة ليتجاوزوا العوز وشظف العيش إكرام للرب الذي يخدمه هؤلاء الرعاة في حياة أولاده المؤمنين.

١٦: ١٩– ٢٤ تحيات وبركة الختام وكنائس آسيًا هي الكنائس التي أسسها بولس في غرب تركيا المعاصرة وجنوبها (ع. ١٩)، ومنها أفسس التي كان فيها بينما يكتب هذه الرسالة (رؤ ١: ١١). وأكيلا وبريسْكا مشهوران بإضافة الكنيسة، شعب الرب، في بيتهما، هنا وعندما رحلا إلى روما (ع. ٣– ٥). وهنا يذكر بولس زوجة أكيلا باسمها «بريسْكا»، لا باسم الدَّلع المُصغَّر «برسكيلاَّ» الذي يُستعمل للتحبُّب. ويستعمل بولس دائمًا اسم «بريسْكا» (رو ١٦: ٣؛ ١كو ١٦: ١٩؛ ٢تي ٤: ١٩)، وجرى تعريبه مرة بلفظة «فرسكا» (٢تي ٤: ١٩)، وكان يجب «بريسْكا» وعدم قلب الباء فاءً، بينما يستعمل لوقا دائمًا اسم التحبُّب «برسكيلاَّ» (أع ١٨: ٢، ١٨، ٢٦)، ولربما لصداقة تجمعه بهذه الأسرة.

والقبلة المقدسة (ع. ٢٠) هي قبلة القبول والسلام والمحبة في مقابل قبلة يهوذا الخائن (مر ١٤: ٤٤؛ لو ٢٢: ٤٨)، وهي قبلة في سياق يختلف عن قبلة الغرام (نش ١: ٢). فترد في رسائل بولس أربع مرات (رو ١٦: ١٦؛ ١كو ١٦: ٢٠؛ ٢كو ١٣: ١٢؛ ١تس ٥: ٢٦)، ودائمًا تقترن بعبارة «سلِّموا»، وتكون على الخدِّ، ويُسميها بطرس قبلة المحبة (١بط ٥: ١٤). وجرى استعمال القبلة المقدسة في الكنيسة الباكرة عندما يُقابل المؤمنون بعضهم بعضًا ويُرفقونها بالسلام. وتلا ذلك تداولها كجزء من العبادة في نهاية الاجتماع. ثم جرى تبادلها خلال العشاء الرباني، ثم أصبحت علامة السلام والمصالحة عندما يلتقي كبار رجال الكنيسة كالأساقفة ورؤساء الأساقفة ليمثلوا كنائسهم في المجامع الكنسية والاحتفالات الكبيرة مما يترك تأثيرًا إيجابيًّا على الشعب المحتشد. وفي العصر الحاضر تترك هذه العادة لتمارسها كل كنيسة محلية حسب مقتضيات المفاهيم الاجتماعية والسلوكية السائدة، وعليه نراها تنتشر في بيئة وتنحسر في بيئة أخرى، أو تعود ليزدهر استعمالها في جيل، بينما نراها تخبو في جيل آخر. ويبقى أن المحبة كمبدأ لا تحتاج إلى رمز ليؤكد وجودها، إنما الرمز، كالإطار للصورة، يُبرزها ويدل إليها.

وتعني عبارة «السلام بيدي» (ع. ٢١): هذه التحية أخُطُّها بيدي، و«أنا بولس» هي بمثابة التوقيع في نهاية الرسالة. كان بولس يستنجد بمن يُدوِّن له الرسائل (رو ١٦: ٢٢)، وفي النهاية يوقعها بولس بيده (غل ٦: ١١؛ كو ٤: ١٨؛ ٢تس ٣: ١٧؛ فل ١٩).

ويستعمل بولس عبارة قاسية ولكنها صادقة بقوله: «إن كان أحد لا يحب الربَّ، فليكن أناثيما» (ع. ٢٢)؟ وكلمة «أناثيما» هي يونانية وتعني «محرومًا»، أي محكومًا عليه بالهلاك (را. ١٢: ٣؛ وتث ٧: ٢٦؛ ١٣: ١٥). ونسأل: من هم الذين يُخاطبهم بولس بهذه اللهجة القاسية؟ أيخاطب عامة البشر أم أهل الإيمان؟ إنه يُخاطب تحذيرًا أهل الإيمان، فهذه الرسالة ومحتواها موجهان إليهم. ونلاحظ لهجة مشابهة تحذيرية في رسالة كورنثوس الثانية موجهة للكنيسة ذاتها، وتقع أيضًا في نهاية الرسالة كما يفعل هنا (٢كو ١٣: ٥). وكان في الكنيسة المسيحية على مر العصور مؤمنون حقيقيون وأشخاص مزيَّفون (يه ٤؛ ٢بط ٢: ١)؛ منهم القمح، وبينهم الزؤان (مت ١٣: ٢٤– ٣٠)؛ أصحاب عمل له وزن وقيمة، وأصحاب كلام فارغ (مت ٧: ٢١– ٢٧). وإلى الصنف الثاني من كل هؤلاء يوجه بولس كلامه. فإن الإيمان لا يُرى من دون أعمال صالحة ترافقه، لأن جسدًا بلا روح هو ميتٌ، كما أن الإيمان من دون أعمال ميت (يع

www.christianlib.com

٢: ١٨ و٢٦).

ثم يضيف بولس عبارة آرامية– سريانية بأحرف يونانية تعادل (*Maranatha*)، ولذلك تصعب قراءتها ويصعب تحديد معناها. فهي إذا قُرئت مارانا تا: (*marana tha*) تعني: يا ربَّنا تعال، وأمَّا إذا قُرئت: مارانْ آتا (*maran atha*) فهي تعني الربُّ أتى، أو الرب آتٍ. هل يساعد السياق والمقارنة في تحديد المعنى؟

إذا أخذنا بعين الاعتبار العبارة «فليكن أناثيما» التي سبقت «مارن أثا»، فالمعنى المرجَّح هو «الرب آت (للمحاسبة والدينونة)»، ومعاقبة من لا يحب الرب محبة صحيحة (أف ٦: ٢٤). وإذا اعتبرنا أن معنى «مارن أثا» هو «الربُّ أتى»، فذلك يعني أن الرب حاضر الآن وسط شعبه «ورفشه في يده ويُنقِّي بيدره»، القمح للمخزن والتبن للحريق (مت ٣: ١٢؛ ١كو ٥: ١٢– ١٣). أما المعنى الثالث «يا ربَّنا تعال» فيُمكن اعتباره المعنى الأقرب لعبارة «مارن أثا» لأنه يُماثل عبارة «تعال أيها الرب يسوع» (رؤ ٢٢: ٢٠)، التي يبدو أنها ترجمة لعبارة «مارن أثا». وعندما نلاحظ أن عبارة «مارن أثا»، وعبارة «تعال أيها الرب يسوع»، تردان في خاتمة رسالة كورنثوس الأولى وكتاب الرؤيا، يمكن أن نستدل أن هذه العبارة كان يُنطق بها عند نهاية الاجتماع في الكنائس، قبل انصراف العابدين، وفيها ما فيها من الرجاء بعودة الرب يسوع بمجد ليجمع إليه كنيسته الموزعة جغرافيًّا في الأرض مع تلك التي في السماء، «وهكذا نكون مع الرب دائمًا» (١تس ٤: ١٧).

المراجع

Barrett, C. K. *A Commentary on the First Epistle to the Corinthians*. Second Edition. London: Adam & Charles Black, 1971.

Conzelmann, Hans. *1 Corinthians; a commentary on the First Epistle to the Corinthians*. Philadelphia: Fortress Press, 1975.

Murphy-O'Connor, Jerome. *The First Letter to the Corinthians*; *The New Jerome Biblical Commentary*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1990.

Thiselton, Anthony C. *The First Epistle to the Corinthians*. Grand Rapids, Michigan: Eerdmans Publishing, 2000.

Witherington III, Ben. *Conflict & Community in Corinth, A Socio- Rhetorical Commentary on 1 and 2 Corinthians*. Grand Rapids, Michigan: Eerdmans Publishing, 1995.

الدكتور القس غسان إيليا خلف